أضواء على القرآن العظيم

السفير

محمد أمين جبر

AMBASSADOR
MUHAMMAD AMIN GABR

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : **أضواء على القرآن العظيم**

المــــــؤلف : السفير : محمد أمين جبر

رقــم الإيداع :

الترقيم الدولي:

الطبعة الثانية 2018

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ
مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ
وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ
وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:15 – 16].

المحتويات

مقدمة ....

عن لغة القرآن العربية ....

عن القرآن العظيم ....

عن سورة الفاتحة ....

عن إعجاز القرآن وخصائص أسلوبه..

رؤية الأستاذ الإمام محمد عبده ....

رؤية الإمام المجدد محمد ماضي أبي العزائم ....

أمثلة من التفاسير التراثية القديمة ....

العناية بالقرآن ....

الخلاصة والخاتمة ....

الفتح الأول : توضيح مسائل في القرآن ....

الفتح الثاني : القرآن العظيم ....

حديثنا عن القرآن العظيم ....

القرآن العظيم والعلم ....

الفتح الثالث : خصائص القرآن ومقاصده ....

الفتح الرابع : القرآن وحرية العقيدة ....

القرآن كتاب التوحيد ....

مفهوم الإله في القرآن ....

الفتح الخامس : القرآن ودولة المدينة المنور الأولى ....

قاعدة الاعتقاد والأساسية في التصور القرآني ....

أخلاقيات في جوانب اقتصادية في القرآن ....

أخلاقيات في جوانب مالية في القرآن ....

كلمة للأستاذ الدكتور والشيخ على جمعه ....

الفتح السادس : القرآن والعلاقات الدولية ....

القرآن والعلاقات في السلم والحرب ....

الفتح السابع : الأخلاق في القرآن الكريم ....

الفتح الثامن: القرآن عن الكون والإنسان ....

القرآن والذروة ....

الدراسة التي أعدها موريس بوكاي ....

الفتح التاسع : من آفاق التفكير العلمي في القرآن ....

كونيات وإنسانيات في القرآن ....

القرآن والنفس الواحدة ....

استعمالات النفس الواحدة في القرآن ....

القرآن العظيم وعلم المستقبل ....

القرآن العظيم ومفاهيم في الزمان........

الفتح العاشر : مختصر من القرآن عن الإنسان ....

من هو إنسان القرآن ؟ ....

القرآن والتطوير الإلهي للجنين ....

الماء ....

الطين ....

النفخة من الروح ....

الوعي الإنساني في القرآن العظيم ....

الفتح الحادي عشر : القرآن العظيم عن نعم الله ....

الفتح الثاني عشر : حقائق عن القرآن العظيم . (القرآن معجزة عقلية) ....

القرآن والتربية ....

القرآن العظيم ويوم القيامة ....

طبيعة الخطاب القرآني ....

توجهات سكرتارية الفاتيكان لإقامة حوار مع المسلمين ....

الأمم المتحدة وقرار الحوار بين الحضارات ....

القرآن وحضارة المسلمين السابقة ....

القرآن والفرق بين الناس تجاه هذا الكتاب ....

وبعد ....

نبذة عن المؤلف ....

كتب للمؤلف ثم نشرها ....

كتب للمؤلف لم تنشر بعد ....

مقدمة

قبل أن أبدأ كتابي هـذا عـن القـرآن العظـيم لابـد أن يعلـم كـل النـاس أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن عـلى عبـده ونبيـه ورسـوله محمـد ﷺ مفسـرًا للـذكر لتحصيل به همه التذكرة ويحصل الادكار كما يقـول : ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ وكما يقـول أيضًـا :﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾[مريم:97] .

ومن هنا فإن حديثي في كتابي هذا يتناول على قدري الثرى المحدود وفي إطـار علمي الذي له حدود مفاهيم لبعض آيات غي هذا الكتاب المقدس العربي اللغـة في إصداره الموحى به من الله ميسرًا للـذكر وللإدكـار ولفهـم وتفهـم واسـتيعاب الناس كافة في بيانه العربي الكامل والمكتمل الذي فيه علمه سـبحانه أي متضـمنًا علمه سبحانه وتعالى الذي لا يحيط أحد به وهو فوق كـل ذي علـم علـيم .. وقـد شرَّف الله سبحانه وتعالى زمن الليلة التي نزل فيها القرآن العظيم (ليلة القدر العـالي المباركة) التي استقبلت الشرف القرآني في قدره الأعلى وتشريف الإنسان والجـان والملائكة والروح والمخلوقات كلها بهذا الكتاب المقدس الذي تنزل إلى الوجود في دنيا الأرض في ليلة هي خير مـن كـل زمـن ووقـت يمثـل هـو ألـف شـهر .إن الإصدار العربي اللغة المنزل من الله بالوحي على قلب محمد ﷺ لا يعلـم تأويلـه إلا الله ورسوله والراسخون في العلم وهو كلام الله وكلام الله صفته وصفته قديمـة ليست من جنس الأصوات والحروف وهي متعلقـة باسـمه واسـمه متعلـق بذاتـه ويكون كلام الله في الكتاب المنزل باللغة العربية على قلب خاتم أنبيـاء الله ورسـله

مقدرًا ومعبرًا عن مستوى (قرآن الذات) في علمه والذي لا يعلم تأويله إلا هو سبحانه في هذا المستوى الإلهي الذاتي .

لأنه ليس لأحد علم كعلم الله أو مساوي له فهو ليس كمثله شيء في كل شيء وقد وسع علمه كل شيء أي أنه بكل شيء عليم وفوق كلب ذي علم عليم ولا يحيط أحد به علما ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء .وكان الإمام محمد ماضي أبو العزائم رضي الله عنه يقول عن قرآن الذات أنه : (كلام قديم قائم بذات الله تعالى وهو صفة أزلية ليس محرف ولا صوت ولا يقبل العدم وهو مع وحدته دال أزلا أبدًا على جميع معلومته سبحانه التي لا نهاية لها وقد عبَّر سبحانه بالنظم العربي المعجز المسمى أيضًا بكلام الله تعالى وهو معجزة رسول الله ﷺ القائمة الدائمة (كتاب الله القرآن الكريم) المنزل على رسول الله مقروء بالألسنة ومكتوب في المصاحف ومحفوظ في القلوب) انتهى .

وقد استعرضنا مفهوم(قرآن الذات) الذي عبرنا عنه سابقًا من كلام مرشدنا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه.

لقد نزل القرآن العظيم (كتاب الله) فارقًا بفرقان آياته بين طريق الهُدى وطريق الضلال . وبين طريق الإيمان وطريق الكفر والإلحاد وبين طريق التوحيد وطريق الشرك شاملاً ومحيطًا بأمور الدين والدنيا والآخرة بسر قول الله سبحانه وتعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:38] .

أي ما قصَّرنا أو ضيقنا أو أهملنا أو تركنا في الكتاب وهو القرآن العظيم من شيء من أمور الناس دينًا ودنيا وكما يقول :﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر:27- 28] .أو كما يقول :﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء :10]وهذا الكتاب (القرآن العظيم) . ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ . ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة:78]

. و(محفوظ) . (في اللوح المعلوماتي) [البروج:21- 22] وهو في هذه المستويات .

وكما هي نفسها في إصداره العربي الموحى به إلى خاتم النبيين محمد ﷺ بسر قوله تعالى :﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف :1-4] أي عالى القدر والمنزلة والمستوى محكم بقدر عظمة وحكمة الحكيم سبحانه وتعالى : بسر قوله تعالى :﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النور:58-59] .

ومحفوظ عند الله من التغيير أو التبديل أو التدخل بأي قدر وبأي صورة أو شكل ، مطهر ومنزه أن تمسه أيدي الغير أيا كانوا شياطين أو ملائكة أو أرواح أو روح أمين أو إنس أو جان... إلخ. فلا يقترب من مستوياته كلها أي ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ إلا المطهرون تطهيرا كاملاً ظاهرًا وباطنًا حيث أنه في ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ عنده سبحانه وتعالى :﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾ في قدرها ومستواها وأحاطتها يحفظها الملائكة النورانيون وهم (السفرة الكرام البررة) . لقد بشّرت الكتب الإلهية السابقة بهذا الكتاب الخاتم (القرآن العظيم) ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:196] وكما يقول الإمام أبو العزائم فإن القرآن كلام الله والفرقان أحكام الشريعة والنور تزكية النفوس والكتاب جامع التاريخ والذكر العبر والتذكرة والتنزيل الأخلاق .

ورغم تباين مستويات الناس في تأويل القرآن العظيم وتفسيره وفهمه والعلم به، فإنه قرآن واحد وكتاب واحد نزل به الروح الأمين (جبريل) على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه بلسان عربي مبين في ليلة القدر العالي في الزمان والقدر العالي للكتاب المنزل ؟؟؟؟؟؟؟؟ للحق والحقيقة

إن القرآن العظيم الذي أوحاه الله على نبيه ورسوله الخاتم محمد كتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب (التوراة والإنجيل) كلهم مصدرهم واحد هو الله الواحد الأحد ..

فالقرآن يحتوي على الحق والحقيقة كاملين وعلى يقين العلم في قوانينه .

ذو مرجعية مطلقة بينما الكتب السابقة نسبية في مرجعيتها .

الدستور والمنهاج الواجب تطبيقه في واقع المسلمين ودولهم .

يوضح أن الاختلاف بين الناس في الأفكار والمذاهب والنظم سنة من سنن الله في خلقه.

يبين أن عطاء الله للإنسان المسئول مقترن بالاختيار الحر لهذا الإنسان فيما يتعلق بمعتقداته وسلوكياته ودوافعه الموجهة لها أي نياته .

قد تحدى الله سبحانه أن يأتي أحد بمثله فلم يستطيع وسيستمر إعجازه باقيًا في كل زمان وإلى أن تقوم الساعة ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:88] .

فيه من الوعد ومن الوعيد والإنذار ما يحذر الإنسان من اليوم الآخر ..الزلزلة والقيامة والحساب والعذاب في النار وأيضًا النعيم في الجنة ويقدر أن حساب الناس قد اقترب وهم عنه معرضون .

لا يستوي عنده الذين يعلمون والذي لا يعلمون فهو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وهم الذين يؤمنون به كل من عند ربهم ، ولا يجحد بآيات الله إلا الظالمون .

به كمل الدين واكتملت النعمة على الإنسان ورضي الله رب الناس الإسلام القرآني دينا لكل الناس وهم كلام الله الآخر ليس بعده كتاب منزل من عند الله .

من اهتدى بالقرآن الكريم فإنا يهتدي لنفسه ومن يضل عنه فإنما يضل عليها وما ربك بظلام للعبيد وهو سبحانه وتعالى يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب :﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:93] .

من هو الإنسان الذي يحق له إبداء القول بالرأي عن القرآن ؟

إن الإنسان الذي له الحق في إبداء الرأي أو الحكم الصحيح والمحايد على القرآن العظيم والمؤهل الذي يستطيع ذلك إن جازو لك يجب أن يكون من المؤمنين الذين أوتوا العلم ومن العلماء المتقين العالمين باللغة العربية يجيدون لغة القرآن وخفاياها . لأنهم الأقدر من غيرهم على فهم آيات القرآن العظيم كتاب الله كله لتكون النتيجة الطبيعية والمنطقية والعقلانية بالنسبة لهم هي التحقق بالشروط التي جاءت في الآيات السابقة . وهي التصديق بهذا الكتاب والإيمان به وبما جاء به وفيه كما يقول الله تعالى :﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج:54] أو كما جاء في سورة سبأ : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[سبأ:6] . إن العلم الموحى به من الله عزل وجل في القرآن هو علم كلي وشامل ومحيط وسع كل شيء وأحاط بكل شيء والقرآن العظيم كتاب موحى به من الله عز وجل :﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ والآيات هنا الكتاب في ؟؟؟؟؟؟؟ وبيانها للحقائق حُكمه وما أنبأ به فيقول للعلماء المؤمنين الراسخين في العلم في مختلف العلوم وخاصة علوم اللغة العربية الذين يعلمون وليس كغيرهم من الناس من الذين لا يعلمون . كما أن إدراك معاني آيات القرآن العظيم لن يأتي إلا مع تقدم المعارف والعلوم الإنسانية في كل مجالاتها المادية والروحية وعندئذ فسوف تعلم وتدرك البشرية

كلها من كل معتقد ودين ، معاني وآفاق وأسرار القرآن . سر قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ﴾ [ص:87- 88] .

وربما قد يرتقي إبداء القول بالرأي في القرآن العظيم إلى مستوى أو مقام التعليق على آيات هذا الكتاب أو بعضها ولكن لا يمكن بل لا يستطيع أن يفعل ذلك عن علم ومعرفة غلا عالم من العلماء المؤمنين بل إلا عالم راسخ في العلم من العلماء المؤمنين إن العلوم والمعارف كثيرة جدًا ومجالاتها كثيرة جدًا وتخصصات العلم فيها أكثر وأكثر ويصعب جدًا جمعها أو حصرها في كتابي هذا كما أن آيات القرآن فيما تتناوله من العلوم والمعارف يصعب إن لم يستحيل على أي إنسان جمعها أو حصرها . ولذلك فلن يحيط بآيات القرآن علما أو معرفة إلا مجموع العلماء في تخصصاتهم المختلفة ولن يصل على مستويات اليقين في ذلك إلا المؤمنون الراسخون في العلم وليس أي علماء ولما كانت هذه المهمة صعبة التحقيق كانت استحالة الإتيان بمثل هذا القرآن وكان عجز الجن والإنس متضافرين عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:88] والإتيان بمثله ليس فقط في نظمه العربي المعجز وإنما في حقائقه وجوهره ومعاني آياته ما ظهر فيها وما خفي وأسراره وباطن معاني وحقائق آياته ومجالات علومه ومعارفه ومنظومة معلوماته وما تطرق أو أشار إليه ويدخل ضمن مختلف العلوم والمعارف التي تطرق إليها في عالمي الشهادة والغيب وفي ظواهر ومظاهر العالم الطبيعي وقوانينه والعالم الروحي الغيبي واللامادي الذي ما زالت معلوماتنا فيه وقليله ، وفي كل شئون الإنسان وكافة الأمور والمسائل والنظم والأحكام والتشريعات التي تتعلق به وبحياته الفردية والأسرية والمجتمعية والاجتماعية والدولية .. إلخ في إطار عقيدة كاملة ومكتملة أساسها (التوحيد) ومما ينبغي أن يعلمه كل الناس من كل ملة ومعتقد ودين أن تأويل القرآن العظيم له من العلماء

مستويات . أما المستوى الأول هو تأويل الله وهو قاصر على الله سبحانه وتعالى لا يعلمه بغيره أيا كان ولا يعرفه بالتالي أي مخلوق غيره أيا كان إنسان أو ملك أو جان أو كائن روحي أونوري أو لاماوي .. من العلماء أومن غير العلماء .. وهذا المستوى خارج عن دائرة علوم العلماء جميعهم وإمكاناتهم وقدراتهم ومعلوماتهم في الحاضر والمستقبل ولا يجوز بل يصح أو يحق التحدث بشأنه بالنسبة للقرآن العظيم لأنه مستوى (قرآن الذات) الذي يعكف علمه الذاتي الذي لا يحيط به غيره لأنه سبحانه وتعالى ليس لمثله شيء في كل شيء أي لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته وعلمه الأزلي البدي الكلي الشامل المحيط .

والمستوى الثاني هو مستوى الراسخين في العلم في كل مجالات وتخصصات المعارف والعلوم داخل دائرة الإيمان ، وهؤلاء من خلال علومهم ومعلوماتهم الإيمانية في تناولهم لآيات القرآن العظيم يقولون : ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:7] ثم تتنزل مستويات تأويل القرآن العظيم وآياته إلى غير العلماء وغير المتخصصين ثم والذين يُنون بما لا يعلمون ويخوضون فيما يعلمون وهم كثيرون من كل معتقد وملة ودين يقول في شأنهم القرآن العظيم : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج :8] ويقول أيضًا في نفس السورة : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج :3] وعلى كل حال فإن الإنسان كان أكثر شيء جدلا كما يصفه القرآن العظيم ويقول عنه : ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس :17- 22] ويقول :﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:54] وأبرز مثال المثل هذا الصنف من الناس هم المستشرقون العارفون للقرآن العظيم .

وإن كان منهم من لا يحمل أي عداء وكراهية لكتاب لله ومن أمثالهم قارتا

هودجون وتوماس أرنولد وغيرهما وعلى سبيل المثال أقول الفيسلوف المعاصر والرياض برتراند راسل كان يقول عن روح ومنهج الدين الإسلامي : « إن ديانة النبي محمد ﷺ كانت ديانة توحيد بسيط ليس فيه التعقيد الذي نراه في عقائد الثالوث والتجسيد ، والنبي محمد لم يزعم لنفسه أنه إلهي ولا زعم أتباعه له هذه الطبيعة نيابة عنه .. » قال ذلك في كتابه (تاريخ الفلسفة العربية) وهو قد أدرك كذلك إن اتجاه خارج روح الإسلام لم يأتي من العرب فاقهم بل كان وخيلا عليهم من القدس .

إن القرآن العظيم كتاب إلهي لا ريب فيه وهدى للمتقين ، فهمه وتأويله مستويات وقرأنه وتلاوته وترتيله مستويات . ففي مقام الكتاب الذي نزل به الروح الأمين على قلب النبي صلوات الله وسلامه عليه بلسان عربي مبين يقول : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:106] ويقول : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:98] ويقول : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء:45] .وفي وقت وهي الروح الأمين بكلام الله (هذا الكتاب) لحضرة النبي يقول :﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة:16-19] هذه كلها أمثلة فقط لصلة النبي بالقرآن في هذا المستوى الدينوي في سماواته وأراضيه حيث لا يعلم تأويله إلا الله والرسول والراسخون في العلم الذين يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمرن:7] .

وقد تعلم منه النبي خصائص ومعاني وأسرار ومعارف لآيات سر قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

لقد خلق الله الوجود الكوني كله مما نعرف ونعايش ومما لا نعرف ولا نعايش

ولا نرصد وفق علمه الأزلي القديم والأبدي الدائم كما هو في (قرآن الـذات) التـي تنزل كاملا بإرادته وأمـره سـبحانه وتعـالى بـالوحي عـلى قلـب النبـي المصـطفى صلوات الله وسلامه عليه خاتم أنبيائه ورسله متضمنًا علمـه الـذاتي وفيـه معـارف وعلوم ومعلومات وحقائق محيطـة بكـل شـيء في الوجـود الكـوني وفي الوجـود الإنساني في الأرض التي وضعها الله للأنام بما يبـين ويوضـح مـا في هـذا الكتـاب (القرآن العربي) من حقائق ومعاني وأحكام تحوي وتحتوي الحق كلـه والحقيقـة كلها مما نعلم ومما لا زلنا لا نعلم وحتى يرينا الله آياته في هذا الوجـود الكـوني في آفاقه وآفاق النفس الإنسانية وما فيهما من إعجاز أو كمـا يقـول القـرآن العظـيم : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:53] .

لقد خلق الله وبنى وركّب مفرادت هذا الكون وكل ما فيه مقدر عنده في علمـه فيما وصفه القرآن بأنه (كتاب) أي كتاب القدر وفيما نقدره سبحانه في (قضـائه) و (كان) بأمره من سر الكلمة الآمرة (كن) الظاهرة بطاقاتها في الكـون ومـا فيـه فيمـا كان وفيما هو كائن وفيما سيكون وكمـا يقـول : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس :82] . ولنا في أسرار الكلمة الآمرة قول آخر في كتـاب آخـر لنا مثل إن شاء الله .

ومن آيات القرآن العظيم نختار بعض الآيات للدلالة على صدق ما قلناه :

1- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:41-42].

2- ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر:27-28] .

3- ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:15- 16].

4- ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:37] .

5- ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3] .

6- ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:13] .

7- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:88] .

8- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:9] .

9- ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:113] .

10- ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:15] .

11- ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:48] .

12- ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[النحل:64].

13- ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾

[الأحقاف:12] .

14-﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ ﴾[المائدة:44] .

15-﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾[المائدة:46] .

16-﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[الأعراف:157] .

ويعتبر القرآن العظيم كتاب إلهي (سماوي أوجب على الإنسان التفكير في أسرار الكون وخفايا الوجود ووصف المتأملين في هذا بأنهم وحدهم أولو الألباب وإن الذين لا يتدبرون ولا يعقلون وهوبهذا يرد أن يصل الإنسان المؤمن بهذا التفكير والنظر إلى معرفة المبدع الأول ووحدانيته وكماله والإيمان به عن طريق العقل لا عن طريق التفكير أوالموروث الخاطئ ولتكون المعرفة عند العلماء والصفوة متراوحة بين المعرفة العلمية والمعرفة الرياضية والمعرفة الميتافيزيقية والمعرفة الصوفية والمعرفة البصيريه في ؟؟؟؟؟؟؟ الزائدة على الحواس .

(EXTRA SENSOKY PERe EPTION – E. S . P)

وإن إشعاع القرآن في جنبات الأمة العربية أنارها بعد ظلمه وهداها بعد حيرة ونظمها بعد اضطراب وفتح أذهان أبنائها بعد انغلاق لأنه أضاف إلى لغتها ألفاظ جديدة وتعبيرات فنية وعلمية لم يكن للعرب عهد بها من قبل وعرَّب كثيرًا من الكلمات الأعجمية فاتحًا بذلك بابا عظيمًا للتراث اللغوي منبهًا إلى وجوب النظر في الكون العام وفي النفس الإنسانية وفي قوانين وسنن الإله والأسباب والمسببات منيرًا بذلك مصابيح طريق الحكمة واكتسابها إن كل ما وصلت إليه الإنسانية

بعقول وما كثر فيه أفذاذ المفكرين أذهانهم عن طريق المعرفة ووسائل كشف أسرار الكون موجود في القرآن الذي فيه كنوز نفسية تعجز أفصح اللغات عن وصفها أو أو التعبير عنها لأنها سماوية واللغات أرضية ، والأرض لا يتسع للسماوي إلا تقريبًا للأذهان رحمة لأهلها وتيسيرًا على العقول إشفاقًا على أربابها وتفضلا عليهم لاسيما لظواهرها ولا تصويرًا لمظاهرها ولا حصرًا لأسرارها ولا تحديدًا لخفاياها ولا تغلغلا إلى أعماق حكمها : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:109] .

إننا سنجد في القرآن العظيم جميع طرق المعرفة التي تتطابق مع مراتب الإنسانية ودرجاتها وتتجاوب مع حاجاتها وضروراتها .. فنجل هذا الكتاب ونوقن بإلهيته .ومن هذه الطرق طريق النظر إلى ملك السماوات والأرض . وطريق السباب والمسببات وطريق الشعور الباطن وطريق المعقولات المختصة .وطريق البديهيات العقلية النقية . وطريق التنسك . وطريق النظر والتأمل . وطريق التجربة .. وغير ذلك .

عن لغة القرآن العربية

إن في العربية وهي لغة القرآن خصائص لغوية وبيانية وموسيقية . قلّ أن تجتمع لسواها .

غنها لغةُ الإيجازِ البليغ ، والسُّلّم الموسيقيِ الكامل .

لغةٌ اجتمعت لها كلُّ الحروف ، وصَحَّت المخارج : لا تندغَمُ في الحلق ، ولا تتآكل على أطراف اللسان ، ولا تَتَحَور في ذبذبات اللهاة ، فيها ما يقرع السمع عنيفًا ، وفيها الدمْثُ اللين ، وما بين بين .

لغة غَنِيَت حروفًا ، فَغَنِيَت جذورًا : لا تعرف اللواصقُ من وراكب وروادف وفي غيرها ينوء جَذْرُ اللفظ بأوزاره ، فيغيمُ المعنى في ضباباته ، أما هي فَتَنْحِتُ الألفاظَ والأوزانَ للمعنى وضده ، وللمعنى وقريبه ، وللمعنى والمشتق منه ، وللمعنى والمتداخل معه ، ما أن يقع بصرك على اللفظ حتى يَسْتَعِل نلك معناه ، ودلالاتِه .

لغة تَفَنَّنَت في أوزانها ، ونَوَّعَت في تراكيبها طرائق شتى .تمد بالإعرابِ أواخِرَ الكَلِمِ ، تهْمِزُ وتُسَهِلُ ، وتصل وتقف ، وتُنَوَن وتُرَخْمِ ، فما استعصى عليها نَغَم .

وتلك كلها خصائص قرآنية .

وقد أفاد القرآن من العربية ، وأفادت العربية من القرآن .لكن الذي أفادته العربية من القرآن أضعاف الذي أفاد القرآن :

جَمَع مادتها ، وأحكم نحوَها وصرفَها وإِعرابَها ، ورسم لها نموذجها الأعلى

ليس هذا فحسب ، بل تَكَفَّل الله بحفظ القرآن ، فكفل لها القرآن حياتها ، ونماءها وبقاءها .

وقد مضى على نزول القرآن بالعربية أربعة عشر قرنًا ، بادت خلالها لغات وتحورت لغات ولا تزال اللغة العربية تعيش بساعاتها الأولى .

وليس لها كما يعرف أهل العلم – نظير في كل اللغات قديمها وحديثها .

وأما الذي أفاده القرآن من العربية و فهو أنها اللغة التي هُيِّئت له لا يصلح إلا لها .

ولسنا هنا في مقام المفاضلة بين لغة ولغة ، فاللغات كلها من آيات الله سبحانه وقد أنعم بها على الإنسان العاقل الأول المكتمل العقل باكتمال التسوية والنفخ من الروح (آدم) .

ولكن الذي لا يتوقف عنده كثيرون ، وربما قل من يفطنون إليه .هو أن اللغة العربي – عصر بدء نزول القرآن في مطلع القرن السابع للميلاد ، على قلة الناطقين بها يومذاك – كانت هي دون منازع أرقى لغات العالم القديم ، ليس فحسب أرقاها بلاغة وفصاحة وجمالا ، وغنما أيضًا ، وبالمقياس اللغوي البحت ، أرقاها دقة وكاملا وعلى سبيل المثال فإن الأبجدية العربية (28 حرف ليس من بينها اللام ألف) تزيد على الأبجدية العبرية (22 حرف) تشبه أحرف كما توجد فروق بينهما في النحو والصرف وتفوق العربية بوفرة المادة اللفظية الأصلية (الجذر الثلاثي) إنما يعني أصالة العربية وسبقها للعبرية (وللآرامية أيضًا)في الزمان والمكان وصح عند اللغويين أن العربية هي أم اللغات السامية جميعًا وهي اللغة الأكثر حروفًا الأعز جذورًا والأوفر أوزانًا الأضبط نحوًا وموازين صرف (1) .

(1) يراجع في تفصيل ذلك كتاب « من إعجاز القرآن» لرؤوف أبو سعدة وفيه معلومات كثيرة عن اللغات وعن اللغة العربية وتميزها .

لم يكن ينقصها لتصبح اللغة العالمية الأولى يومذاك غلا أن تتجاوز حدودها الجغرافية السياسية الضيقة ، فتشيع بين الناس في المشارق والمغارب .

وقد تكفل القرآن بذلك . يقول المؤرخ جوج سارتون في كتابة «تاريخ العلم » (الكتاب الأول) : «إن المسلمين عباقرة الشرق في القرون الوسطى لهم أثر عظيم على الإنسانية تتمثل في أنهم تولوا كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمة وأكثرها أصالة وعمقًا مستخدمون في ذلك لغتهم العربية التي كانت بلا شك لغة العلم للجنس البشري في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر لأنه كان يتحتم على الشخص الذي يريد الإلمام بثقافة عصره وبأحدث ما يجري فيه من علوم أن يتعلم اللغة العربية » .

وهي لغة القرآن .. ولكن ..

ولكن .. ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان:30]

وفي منطقتنا في الشرق لم تعد هناك حضارة قائمة تقوم عليها اللغة وإن اللغة تهادت عندما تهادت الحضارة نفسها ولكن لم يكن في أي من اللغات التي ازدهرت بازدهار الحضارات القديمة في الشرق الأدنى ثم انهارت بانهيار هذه الحضارات ، لغة تنتمي إلى كتاب في عظمة القرآن يعصمها أن تزول ولذلك لم يكن لنا نحن المصريين في مطلع القرن السابع للميلاد أثارة من لغة حضارتنا الفرعونية القديمة التي درست ولا لغتنا الفصحى في هذه الحضارة وهي اللغة التي ترنَّم بها اخناتون قديمًا أو التي حاور بها فرعون موسى وهارون .

لم يبق من المصريين في مطلع القرن السابع من تكلم المصرية الفصحى أو يفك رموزها أو يكتب بها وإنما آلت المصرية الفصحى إلى قبطية دارجة تكتب بأحرف يونانية ابتدع رسومها الفينيقيون من قبل بلهجات تعرف وتظهر فيها ألسنة الغزاة الإغريق فالرومان ومسحة من آراميو وفارسية انتقلت إليها مع جيوش قمبيز .

واللغة الآرامية هي (اللغة التي كان يتحدث بها السيد المسيح وبها كان إنجيليه الذي لا وجود له الآن بين الأناجيل المتداولة حاليا التي كتبها أصحابها باليونانية (بعد أزمان طويلة من قبل نزولها على الرسول عيسى) وكانت اللغة العربية هي أم اللغات السامية جميعها قبل نزول القرآن الكريم .

يقول مارتن برنار في كتابة «أثينا السوداء» أنه : «لدى دراسته لمفردات اللغة اليونانية اكتشف أن 25٪ منها تعود لأصول سامية وأن 25٪ أخرى تعود لأصول مصرية بما في ذلك معظم أسماء الآلهة والأماكن اليونانية وتعود بقية المفردات لأصول أخرى» .

وقال أنه عندما درس تاريخ اليونان القديم وجد أن اليونانيين القدامى كانوا يعتقدون أن حضارتهم نشأت نتيجة استيطان مصري فينيقي واختلاط هؤلاء مع سكان أصليين حوالي 1500 عام قبل المسيح ، وأن اليونانيين استمروا يستمدون كثيرًا من ثقافات الشرق الأدنى .

وقد كشف الدكتور إدوارد سعيد في كتابيه : «المستشرقون» ، «وتغطية الإسلام» مدى تحريف المعارف الغربية للحقائق الموضوعية وذلك لخدمة مصالح ذاتية وعلى سبيل المثال كان المستشرق (كريمر) يعتبر أن الفضل في التصوف الإسلامي مثلاً يرجع إلى الرهبانية المسيحية وقال إن تصوف الحارث المحاسبي تصوف مسيحي وهو قول خطا تمامًا لأن تصوف المحاسبي سني خالص ويعتبر المقدمة للإمام أبو حامد الغزالي قمة التصوف السني ، وهذا مثال واحد فقط من التحريفات الكثيرة للحقائق الموضوعية في الإسلام وفي المعارف المشتقة من القرآن العظيم التي نشرها كثير من المستشرقين خطأ وتخريبًا .

عن القرآن العظيم

إن القرآن العظيم هو القرآن المجيد والقرآن الكريم والكتاب الحكيم والكتاب المكنون وكتاب لا ريب فيه وأم الكتاب أي أصل كل الكتاب وكل تقدير [1] وكل شيء في الوجود ومعلوم لله في علمه الذاتي .

أن القرآن العظيم كما يقول الدكتور المهندس/ محمد الحُسيني إسماعيل[2] :

«القرآن العظيم» : المعجزة الخالدة .. الباقية على مر الدهور والعصور والحضارات ..إلى أن تقوم الساعة .. هو دستور الوجود الكلي الذي بنيت على أساسه مفردات وكليات هذا الوجود على نحو مطلق . بصياغة «رياضة / فيزيائية » بالمعنى المطلق تمثل نهاية الإحكام والدقة يتضمن –القرآن المجيد- البرهان الذاتي والبرهان العام على صدقه وتفرده في الدقة والكمالات يحدد بدقة متناهية ماهية الله (عز وجل) وكمالاته وفعله الكلي . كما يحدد بدقة علاقة «الله»(سبحان الله) بالبشرية والخلائق . كما يحدد الهدف من خلق الإنسان (أي لماذا خلق الإنسان؟) ، والغايات من وجوده .. كما يعرف المصير والتناه كما يحدد الوجود

(1) أي المكنون (المُقَدَّر) في كتاب القدر فيما هو معلوم لله في علمه الذاتي .

(2) الحاصل على دكتوراه في هندسة القوى والمحركات من جامعة القاهرة – ودكتوراه في الهندسة الكهربائية من جامعة أيوا(IOWA) الأمريكية والعضو المتميز بجمعية المهندسين الأمريكية الدولية والعضو الناشطة بأكاديمية العلوم الأمريكية بنيويورك وعضو عالمي بجمعية تقدم العلوم الأمريكية والحاصل على وسام الجمهورية (من الطبقة الثانية في مصر) . والنقل من كتابه «الحقيقة المطلقة» ، الناشر مكتبة وهبة .

وغاياته فيتحدث «الله» - الخالق المتعال- بكلماته المطلقة .. على البشرية جمعاء .. من خلال كلمته القرينية الخالدة .. وعلى البشر والخلائق جميعا أن تسمع في خشوع .. !! يحدث الإنسان بوجود العوالم الأخرى .. وهي عوالم مكلفة شأنها في هذا شأن الإنسان ..!!! يحدد صلات هذه العوالم بالإنسان .. وصلات الإنسان بهذا العوالم ..!! وهي عوالم تحكمها قوانين مغايرة لما نألفه في عالمنا المادي هذا ..!! كما يشرح النظريات الكبرى .. فهو دستور الوجود لهذا كان قوله تعالى عن كلمته الخالدة للرسول ﷺ :

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:89] .

(ونزلنا عليك : يا محمد / الكتاب : القرآن المجيد/ تبيانا لكل شيء: لبيان كل شيء في هذا الوجود) .

تمثل نصوص «القرآن الكريم» - المعجزة الخالدة والمتحركة مع الحضارات والزمن – تناهي الصياغة البشرية الغير متطاولة .. لأنه نزل بلغتهم ..صياغة ذات تناهي الإحكام الرياضي والفيزيائي معا .. في التشريع .. المعاملات .. في الأخلاق في العبادات .. في الحكمة .. في العلم .. في الوجود كله ..أكوانه .. وسماواته .. وما فيها .. ومن فيها ..!!

يفتح الآفاق أمام الإنسان لتخطي حدود المحدود .. ليتحقق التناغم بينه وبين اللا محدود تحت إيقاع قيثارة لحن الوجود .. !! » انتهى .

إن القرآن عظيم لأنه تنزيل من العظيم والقرآن حق لأنه تنزيل من الحق والقرآن نور لأنه تنزيل من الله النور والقرآن روح لأنه طاقة والقرآن حجة لأنه برهان ودلالة وهو دعوة لأنه شريعة وحقيقة وهو رسالة لأنه ؟؟؟؟؟ علم ومعرفة وهو دين لأنه دنيا وآخرة .. وهو كلام الله الآخر لأنه تنزيل من الله الأول والآخر

وهو ذكر وتذكرة ومحفوظ من رب العالمين كما يقول :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : 9] .

والقرآن بهذه المعاني وغيرها مما لا أعلمه ولا أدركه ولا أحيط به تنَزَّل بالبيان العربي في ليلة من ليال دنيا الأرض هي ليلة القدر العالي والمقدار الأعلى بواسطة الروح المقدس الأمين شديد القوى وذو الحصافة نزل ليحتويه قلب إنسان بشر مصطفى من الله لإبلاغه للناس كافة هو محمد خاتم رسل الله وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه .

هذا القرآن العظيم قد بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته وأحكمت آياته وفصلت كلماته . وجامعًا للكلمات التامات ورموزها في السور والآيات وأصبح محفوظًا في القلب والعقل والذاكرة للنبي بسر :﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى:6- 8] وحتى صار النبي لوح محفوظ فيه القرآن العظيم وبيت معمور معاني آياته وقلب منير بأوجه إعجازه وعقل مستنير بهديه .

وقد وصف الله هذا القرآن بأوصاف معبرة عن قدرة العظيم ومقداره الكبير وإعجازه البالغ في ألفاظه ومعانيه وفي احتوائه ومحتواه للحق والحقيقة في الموجود في الوجود المشهود والغائب وحقائق كل شيء فيهما ولذلك قال جل شأنه لرسوله المتلقى للقرآن ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل:5] وقال :﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:21] وفي نفس المعنى وصفت الجن كتاب الله بأنه :﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ .

والقرآن ليس كتابًا للنظريات العلمية أو جامعا لها ولتفصيلاتها العلمية لأنه

كتاب دعوة وحجة نزل برسالة خالدة لدين خالد هو جوهر كل الأديان الإلهية التي سبقته وكتبها التي سبقت القرآن العظيم خاتمها ينظم ويصحح للبشرية عقائدها في الله بالتوحيد الصحيح توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية ويضع لها أسس وأصول التنظيمات والنظم الواجب مراعاتها في بنيان الدولة ؟؟؟؟؟ فيها بالشورى و الحكم والاقتصاد والمال والاجتماع والخلاق والمعارف والعلوم والعلاقات فيها والصلات الأسرية الإنسانية وبين الرجال والنساء والكبار والصغار والشعوب والدول القبائل والأقوام والأوطان .. والكثير غير ذلك مما لم أذكره ..ومع ذلك أقول إن القرآن العظيم لا يتناول تفصيلات كل علم بما يتناوله من حقائق وتفاصيل ودقائق وفروض وافتراضاته ونظريات ومسائل إذ ليس من طبيعته ذلك باعتباره كما قلت دعوة وحجة بالدين فهو يهيئنا للحقائق ويدعونا في نهجه إلى الأخذ بالعلم واحترام العلم والعلماء والراسخين في العلوم والاستزادة من العلم في كل أنواعه ومجالاته واستخداماتها في إطار عقائد وأخلاقيات الدين وقيمه الروحية وفيما ينفع الإنسانية ولا يضر أو يفسد أو يعكر السلام والتعاون السليم بين الناس والأمم والشعوب . ويجدد التنويه أيضًا إلى أن القرآن العظيم يدعو الناس إلى استعمال العقل والتعقل والتفكير والفهم والنظر والتدبر والبحث والدرس والتعلم والاعتصام بالوحي الذي يعتبر مصدرًا صحيحًا ومأمونًا ويقينيًا من مصادر المعرفة للإنسان . فالقرآن الكريم كتاب جاء بالحق من الله الحق مصدقًا لما أنزل الله من كتب على رسله السابقين ويقول في ذلك : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران :1–4] .

وبمصدر التنزيل الواحد كانت الوحدة في التنزيل نفسه أي التوافق وعدم الاختلاف في كل الكتب الإلهية التي حملها وبلغها رسل الله إلى الناس للأقوام

الموجهة لهم رسالتهم حسب تتابع الرسـالات وتتـابع رسـل الله وتنتهـي في زمـن ووقت خاتم الرسالات ووقت وزمان ظهور وبعث خاتم الرسل .

إن كلمة الله واحدة وقد أتمها في خاتم كتبه التي أنزلهـا ويقـول فيهـا :﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعـام:115] وهكـذا كان الإنجيل الذي أنزله الله على نبيه المسيح عيسى بن مريم مصدقًا لما بـين يديـه من التوراة وفي الاثنين هدى ونور وموعظة للمتقين [المائدة :46 في القرآن] .

وهكذا بشر موسى وبشر عيسى بن مريم بخاتم رسل الله الذي يأتي من بعدهما واسمه أحمد (أي المحمد) وهو الرسول الذي كما يقول الله في خاتم كتبه القرآن العظيم :﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات:37] ويقول : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس:37] ويقول لمحمد رسول الله وخاتم النبيين : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة:48] إن وحدة الجوهر ووحدة الغايات ووحدة الأهداف التي تتماثل في كل الكتب السماوية وتعبر عنها هذه الكتب يمكن أجمالها في توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية والتنزيه اللائق بالإله وصفاته العلى وفقا لمفاهيم طاقات الجمال والجلال والكامل في مظاهرها أو تخص بها أو منها وما ينبني على هذه المفاهيم من قيم ومثل الأخلاق الفاضلة الكريمة في كافة تشعب مجالاتها ومحيطاتها وشؤونها المتعلقة بالإنسان في حياته . حيث إن ؟؟؟؟؟؟؟ في قوامة الحق وفي تقييم الإنسان المؤمن المتدين بحق يه والخلق الفاضل الكريم الذي يقول عنه خاتم رسل الله والنبيين «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وكان هو ﷺ كما وصفه الله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:4] .

أي أنه قد بعثه ربه ليتمم مكارم الأخلاق التي بدأها رسل الله السـابقون وكـان

آخرهم قبله عيسى بن مريم الذي قنن منظومة كبيرة وعظيمة من مكارم الأخلاق استطاع الرئيس الأمريكي السابق الموحد بالله توماس جيفرسون إبرازها في الإنجيل الذي وصفه باسمه (إنجيل جيفرسون)وقال عنها «أنها أعظم دستور أخلاقي جاء للإنسان والإنسانية عن المسيح النبي ورسول الله الذي لم يدعي أكثر من أنه إنسان بشر ورسول من عند الله » والذي يجب أن يعلمه كل إنسان أن رسالات الله كلها ودياناته القديمة والحديثة كلها جوهرها واحد وهو (التوحيد) وكتبها جوهرها واحد يقوم على (مكارم الأخلاق) وعلى القيم والمثل العليا في السلوك والتعامل والعلاقات لأن مصدرها وباعثها واحد ثابت لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل لا شريك له لا في ذاته ولا في سننه وقوانينه ولا في مبادئه وتعاليمه ولا اختلاف أو خلاف في كتبه أو بين أنبيائه ورسله .ولذلك يقول القرآن العظيم :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:30] وهكذا على سبيل المثال كانت الديانة التاوية ( )الصينية القديمة والبراهما ( ) والبرهانية الهندية وكانت البوذية التي جاء بها البوذا في أصل وهو(المستنير) .. وغيرها .ويقول القرآن العظيم للنبي محمد ﷺ عن رسل الله ورسالاتهم : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [غافر:78] ولا اختلاف بين رسل الله إلا بمقدار سعة الرسالات نفسها وقدرها وقدر الرسل عند الله سبحانه وتعالى وبما يدخل في أحد معاني ما يقوله القرآن العظيم : ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾ [البقرة:253] وإن كان المؤمنون لا يفرقون بين أحد من رسله باعتبارهم الاصطفائي الرسولي وما جاؤا به من الله سبحانه وتعالى جميعًا

.فالدين واحد في حقيقته وجوهره وأهدافه وهو الإسلام بمعنى التسليم لله الواحد والإنابة إليه في المعنى الذي تحويه الكلمة وفي الإتباع للمعنى الذي يمثلـه كتـاب الله الخاتم (القرآن العظيم) لهذا المعنى في شموله وإحاطتـه و؟؟؟؟؟؟؟؟؟ دائمًـا عن الحق في المسطور والمنظور مما كتبه الله رب العالمين سبحانه وتعـالى قـديمًا أو محدثًا ومخلوقًا ، .ولكن أكثر الناس لا يعلمـون وربمـا لا يفهمـون المعنـى في الاسم أو المبنى الديني . الذي قالت به الكتب السابقة وقال به الأنبيـاء والرسـل السابقون جميعهم . إنه بهذا المعنى من (الإسلام) الذي فهمه واعتقـده وتحقـق بـه السابقون من الأنبياء والمرسلين جميعهم المبعوثين من الله الواحـد رب العـالمين برسالات متماثلة في جوهرها من مكـارم الأخـلاق وفي مبناهـا مـن التوحيـد وفي معناها من الإسلام والتسليم لله. وكانت الرسالات كلها للرسـل كلهـم واحـدة في معناها من التسليم له والسلام معه ومع النفس الذي يقول عنه رب العزة في القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران:19] ولذلك كان من المنطقي والمفهوم والمقبول أن يقـول القـرآن العظـيم :﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:85] والآيات في هذا السياق والمعنى كثيرة أذكر منها :

1-﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينًا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾[النساء:125] .

2-﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الأنعام:161] .

3-﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل:123] .

إن ملة إبراهيم كانت الحنيفية أي أنه كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:120]. وكما يقول القرآن العظيم في سورة آل عمران: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:67]. لأن التوراة (كتاب موسى) والإنجيل (كتاب عيسى) لم يتنزلا إلا من بعد إبراهيم الذي كان كما ذكرنا تابعًا ومتبعًا لدين الله الواحد في معناه الصحيح الواحد (الإسلام) أي التسليم لله الواحد. وكان عليه السلام يقول عند رفعه القواعد من البيت الحرام (الكعبة) هو وابنه إسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:128] ويقول الله في القرآن العظيم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة:131- 132]. إن العلاقة بين إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليه علاقة وثيقة قوامها (الإسلام) وكانت لإبراهيم دعوتان تحققتا بعد سنين طويلة في الزمان – الدعوة الأولى إلى ربه سبحانه وتعالى أن يبعث في الناس رسولا منهم بنفس دين الإسلام الذي كان يعتقده ولكن في كمال واكتمال ووسعة وإحاطة وشمول يبينون حقيقة التوحيد ومقاماته مع التوجه إلى الله وحده دون شريك بالإسلام له والإنابة إليه وتسليم الوجه والوجهة له سبحانه والسلام معه ومع النفس ومع الآخرين: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:129] والدعوة الثانية كانت كما يقول القرآن العظيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:35] والبلد هي 0مكة) وكان النبي ﷺ في زمانه يقول: «اللهم إن أبي إبراهيم دعاك أن تحرم مكة وأنا أدعوك أن

تحرم المدينة » (1) لقد كان منبع الإسلام عند إبراهيم ومحمد ﷺ منبعًا واحدا والمعين واحدا والساقي إله واحد والمعتقد الديني التوحيدي واحد ، بنفس القيم الأخلاقية ونفس التربية ونفس العبادة ونفس اليقين وحق اقتران اسم إبراهيم باسم محمد صلوات الله وسلامه عليه في الصلاة في التحيات .

ولذلك يقول القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:68] .

وإنني في كتابي هذا تناولت موضوعات محدودة قليلة جدًا من الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن العظيم لأنه ليس في استطاعتي ولا في استطاعة غيري أيا كان أن يتناول كل وكافة الموضوعات التي جاءت في كتاب الله الخاتم الذي لم يفرط الله فيه من شيء وهو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم شاملة لكل شيء أسسه وأصوله أومحيطة بكل شيء في أسسه وأصوله إجمالاً و تفصيلاً أحيانًا .وذلك في صورة ميسرة للذكر وللفهم والتفهم والتدبر والاتعاظ والاعتبار وحتى يفعل ويفهم العالمون والراسخون في العلوم أمثاله وآياته ومعانيه وقصصه وحقائقه ومعارفه وعلومه في دلالاتها وإشاراتها في ظاهرها وباطنها ونظمها وتنظيماتها وأحكامها وأوامرها ونواهيها في شريعتها وحقيقتها ومنهاجها وكل مجالاتها . لذلك ولغير ذلك لم يكن وليس في استطاعة أحد ، ولن يكون إنسان كان عالم أو غير عالم أو جان أو ملك أو شيطان ، أن يأتي (بمثل) هذا القرآن ، والمثلية كما ذكرت في السابق في مبناه ليست فقط في نظمه اللغوي وإعجازه البلاغي وإنما هي مثلية في كل شيء ومعناه وشموله في محتواه وكافة مجالات وأشكال إعجازه الكثيرة وهو قد كان التحدي الذي واجه به محمد رسول الله ﷺ قومه أهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن الإتيان بمثله أو حتى بمثل سورة من عبر العصور

(1) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد .

وعبر الأجيال من الناس ومن العلماء ومن الـذين يعلمـون العـاجزون دومًـا عـن الإتيان بمثل هذا القرآن في كل ما اخبر به في نظمه ومبناه وفي مضـمونه ومعنـاه وفي معارفه وعلومه وفحواه المنظور والمشهود والغائب غير المرئي أو المشـهود مـن محتوى إخبار لآياته .

وسيكون كتابي هذا مشتملاً على أفكار من عندي تعتبر مفاهيم لي ليس إلا فتح الله بها عليَّ وألهم نفس بها في تقواها ، كما سيكون مشتملاً على أفكار ومفاهيم مـن عند غيري عبرت عنها بكلماتهم تلقى أيضًـا -كمفـاهيمي – أضـواء عـلى القـرآن العظيم مما ربما لا يعرفه كثيرون ممن تناولوا آيات كتـاب الله بالبحـث والدراسـة من غير المؤمنين به الذين منهم كثيرون لا يجيدون أو يتقنون فنـون اللغـة العربيـة لغة القرآن العظيم في بلاغتها وفصاحتها ودلالاتهـا في ألفاظهـا ومعانيهـا الظـاهرة والباطنة وحَدَّها ومطلعها خاصة من المستشرقين غير المؤمنين الـذين لم يدرسـوا أو يتقنوا أو يجيدوا اللغة العربية التي من خلالها يتيسر فهـم وتفهـم آيـات القـرآن العظيم ودلالاتها باللغة العربية من خلال كل وكافـة فنـون البلاغـة مـن بيـان فيـه التشبيه والمجاز والكنايـة والاسـتعارة ومعـاني بليغـة في خبرهـا وإنشـائها وبـديع يحوي الطباق والجناس والسجع والتورية والمقابلة وأحـوال اللفـظ ثـم اشـتقاق القرآن والسورة والآية والكلمة والحـرف ومـا احتـوى عليـه القـرآن مـن تلـوين الخطاب وفنون الفصاحة والبلاغة في ظـاهر اللفـظ ومـا فيـه مـن مجـاز وحـذف وإضمار وعموم وخصوص وإطلاق وتقييد .. وغير ذلك .

وإن ما ذكرت في كتابي هذا عـن القـرآن العظـيم لـيس كمـا قلـت إلا مفـاهيم وخواطر وإلهامات وليس تفسيرًا أو تأويلاً لأن تفسير القرآن العظـيم لـيس مباحًـا لكل الناس وبدون قيد أو شـرط وخاصـة الدراسـة بعلـوم العربيـة ، وكـل الـذين تعرضوا لقضية إعجاز القرآن أجمعوا على أ، فقه العربية لغة وبيانا هـو أداة النظـر في

الإعجاز . وكما تقول الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) [1] : «اتجهت الجهود لحماية لغة الإسلام دينا ودولة إلى جمع تراث الفصحى الأصيل وتدوينه ، وعكف عليه العلماء من القرن الثاني للهجرة يستخلصون منه الفصحى معجم ألفاظها ويستنبطون بالاستقراء والقياس ، قواعد نحوها وتصريفها واشتقاقها وخصائص أساليبها في التعبير والبيان . ويمكن القول بأن جمهرة الكتب المؤلفة في مفردات القرآن وأقسامه وإعرابه ومجازه وبديعه ودلائل إعجازه ، تأخذ مكانها في المكتبة اللغوية والبلاغية . ويأتي مع علوم العربية سائر علوم القرآن مما لا يتصور أن يتصدى مفسرًا لتأويله وهوي جهل مثلاً أسباب نزوله والمحكم بالتفصيل والمتشابه وقراءاته ورسم المصحف مع دراية بعلوم الحديث من حيث كانت السنة مفسرة للقرآن ومفصلة لما أجمل فيه مع دراية كذلك بعلم التوحيد وأصول الدين وأحكام الفقه المستنبطة من الكتاب والسنة ..» انتهى.

إن القرآن الكريم يحتاج في الحديث عنه والقراءة المتدبرة له بالفهم والتأويل والبيان والإعراب إلى نسخه مطابقة تمامًا للأصل الكامل المكتمل الموجود والمحفوظ في المصحف الجامع لآياته وسوره ، أي أن القرآن الكريم موضوع كتابي هذا يحتاج لتبيين وتوضيح وبيان موضوعه في محتواه بقدره الصحيح الحق إلى القرآن نفسه أي أن كتاب الله يحتاج إلى كتاب الله نفسه ليبينه وليس لي أي كتاب آخر من وضع وإعداد وصنع الإنسان أو غير الإنسان لأن مثل هذا الذي يعده الإنسان لا يوفي كتاب الله حقه ولا حتى يقترب من ذلك ولا يصح أن يستدل به على ذلك لأنه ليس في استطاعة أي إنسان أيا كان ولا في استطاعتي طبعًا أداء مهمة إعطاء كتاب الله ما يستحقه من قدر ومقدار يوفيه حقه ولسبب منطقي بسيط وهو أن المخلوق لا يستطيع ولا يقدر أو يمكن أن يتناول بالتأويل والتفسير والشرح

(1) في كتابها : «لغتنا والحياة» .

والبيان والتناول الشامل الكامل لكلام الخالق الذي يسع كل شيء علما وهو فوق كل ذي علم عليم ولا يحيط أحد به علما . إن القرآن لـذلك هـو الكتـاب الإلهـي الذي لا ريب فيه هـدى للمتقـين وجامعًـا لكـل وكافـة الموضـوعات والمسـائل المنظمة لدين ودنيا المؤمنين به فرادى وأسـر ومجتمعـات وأوطـان ودول وأمـم وشعوب وتأملها من خلال آياتـه التـي تتنـاول كـل المجـالات وبمـا يتبـين منهـا إعجازه سواء البلاغي البياني أو الإخباري والقصصي أو التشـريعي أو العلمـي في لفظه ومعناه ومبناه وغير ذلك ومن أوجه الإعجاز والتحدي . إن المصحف الذي يحوي كلام الله القرآن لا يحتاج على مؤلف مني أو من غيري لأن الناس في فهمهم المعلوماتي ومحدودية إمكاناتهم العلمية وضعفها الموضوعي لن يصلوا إلى وصفه أو التعريف به في حقيقة وحق قدره . فهو فوق منال أعلى القوي والطاقـات إدراكًـا وفوق منال أعظم النفوس إشراقًا وفوق منال أكبر وأعلـم العلمـاء علمـا ومعرفـة ولأن الله الذي أنزله بعلمه بكل شيء عليم وفـوق كـل ذي علـم علـيم في عـالمي الغيب والشهادة وفي كل العوالم لا يخفي منها عليه سبحانه شيئًا فقد وسع سـبحانه كل شيء علما .

وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية بعضًا من أقوال العلماء المسـلمين في إعجـاز القرآن العظيم [1]

البلاغة فذكر أن بعضهم قال إعجازه من جهة إيجازه واحتواء لفظه القليل على

---

(1) في كتابه :«علومالقرآن وعلـم البيـان » نشـرته مكتبـة القـرآن بعابـدين بالقـاهرة والكتـاب تنـاول علومالقرآن البلاغية عامة وعلم البيان خاصة 57 .

فتحدث عن الفصـاحة والبلاغـة وعـن الحقيقـة وأنواعهـا والمجـاز وأقسـامه والاسـتعارة والمعـاني وأنواعها وما يتعلق بالألفاظ من الفصـاحة وأحـوال اللـف ثـم اشـتقاق القـرآن والآيـة والسـورة والحرف والكلمة وما احتوى عليه القرآن من تلوين الخطاب وفنون الفصاحة والبلاغة وأجنـاس التجنيس ..

المعاني الكثيرة .

وقال بعضهم إعجازه من جهة حسن تركيبه وبديع ترتيب ألفاظه وعذوبة مساحتها وفخامتها وفصل خطابها . وقال قوم إعجازه من ؟؟؟؟؟؟؟ أسلوبه العجيب واتساقه الغريب الذي خرج عن أعاريص النظم وقوانين النشو وأساجيع الخطب وألفاظ الأراجيز وضروب السجع .

وقال قوم إعجازه بما فيه من المعاني الخفية والجلية وفنون العلوم النقلية والعقلية. ومنهم من قال إعجازه بما فيه من الأخبار بما يكون وما كان مما وضع على حكم ما أخبر به وفيه آيات كشف فيها عن أخبار المارقين وأسرار المنافقين وكان جميعه كما اخبر . وقال بعضهم إعجازه بما احتوى عليه من العلوم التي لم يسبق إليها أحد من البشر قبل نزوله ولا اهتدت إليها فطن العرب ولا غيرهم من الأمم .

وقال بعضهم إعجازه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية وفير الواعية إليه وإقبالها بوجه المودة إليه واستجلاء لهم عذوبة ألفاظه ومعانيه وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشراته المبهجة ومحذراته المزعجة وآياته المطلقة وأخباره الموثقة وضع كثرة قرعه للأسماع وصدعه بما يخالف الطباع ومع ذلك فالقلوب مقبلة على أذكاره راغبة في تكراره شجية عند سماع مزماره يجد ذلك فهم البر والفاجر والمؤمن والكافر .

وقال آخرون إعجازه يضع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة ما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة وما يلحقها من الخشية سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة أو عالمة بما يحتويه أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة .

وقال قوم إعجازه حفظ آياته من التبديل وصون كلماته من النقل والتحويل ولا يستطيع أحدج أن يزيد فيه شكلاً ولا نقصًا ولا يدخل فيه كلمى من غيره ولا

يخرج منه أخرى ولا يدجل حرفًا بحرف .. إلخ .

واختار ناس ومنهم القاضي عياض أن الإعجاز الظاهر المتحقق في أربعة أمور الأول : حسن تأليفه والتئام كلمة وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة لعادات العرب والثاني : صورة نظمه العجيب الأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب . والثالث : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن وما لم يقع فوجد كما أخبره . والرابع : ما أتى به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة . وأما عاد هذه الأربعة ما دلت عليه خصائص تفردبها ومآثر يستأثر بحصولها) .

وقال قوم إعجازه في خروج الإتيان بمثله عن مقدرو البشر . وقال قوم إعجازه في صرف الله خلقه عن القدرة عن الإتيان بمثله . وقال قوم إعجازه الأقرب إلى الصواب مما قيل هو قول من قال إن إعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيف والتحريف والزيادة والنقصان ، فإنه ليس على إيراد ولا مطعن .

وقال بعض العلماء إن إعجازه إنما وقع يكون المتكلم به عالما بمراده من كل كلمة وما يليق بها وما ينبغي أن يلائمها من الكلام وما يناسبها في المعنى ولا يخفى عنه ما دقَّ من ذلك وما جلّ ولا مصرف كل كلمة ولا مآلها وغير الله تعالى لا يقدر على ذلك لأنه أحاط بكل شيء علما وأحص كل شيء عددا وقال علماء إن التحدي في الإتيان بمثله أو شيء من آياته قد وضع بالكلام القديم الذي هو صفة ذاتية أي قائمة بذات الله ومن هنا عجز العرب وعجز كل الخلق من بعدهم على الإتيان بمثله لأنه ليس في قدرتهم أو طاقاتهم ، وأوجه الإعجاز في القرآن العظيم كثيرة جدًا غير تلك التي ذكرناها وقد أورد فيها العلماء نماذجًا أخرى كثيرة غيرها ما ورد الإمام ابن قيم الجوزية نماذجًا فهما في كتابه في فصله الأخير ويمكن الرجوع إليه لمن يشاء .

وكتب في أوجه إعجاز القرآن كثيرون منهم الإمام عبد القادر الجرجاني (دلائل الإعجاز في علم المعاني) والباقلاني (إعجاز القرآن) والرافضي (إعجاز القرآن) ورشيد رضا (تفسيره المنار) وابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن) وابن جرير الطبري(جامع البيان) وأبو الحسن الأشعري (مقالات الإسلاميين) والجاحظ (الحجة في تثبيت النبوة) وأبو الحسن الخياط وأبو على الجبائي (نقد كتاب «الدافع» لابن الراوندي) وحديثًا الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة (المعجزة الكبرى القرآن) والدكتور عبد الله شحاته (علوم التفسير وكتابه في التفسير) وغيرهم كثيرون .

وقد ذكر الإمام القرطبي مثلا عشر أوجه للإعجاز في الأسلوب والمعنى أوجيزها فيما يلي :

1-النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيره .

2-الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب .

3-الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال .

4-التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يضع فهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف في موضعه .

5-الإخبار عن المور الماضية التي تحققت .

6-الوفاء بالوعد في كل ما وعد الله سبحانه والمدرك بالحس في عيان .

7-الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي ولا يقدر عليه البشر .

8-ما تضمنه من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام والموضوعات والمجالات .

9-الحكم البالغة غير التي تجري بها عادة الناس .

10-التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرًا وباطنًا من غير اختلاف .

سورة الفاتحة

ذكر الإمام القرطبي أن للفاتحة اثنى عشر اسمًا وردت في أحاديث رُويت عن رسول الله ﷺ وأن أشهر هذه الأسماء ثلاثة هي : الفاتحة وأم الكتاب والسبع المثاني .ونفس المعنى رواه الترمذي عن أبي بن كعب ورواه الإمام أحمد في المسند .أما الحديث الذي خرَّه البخاري وذكر فيه أن النبي قال لأبي بن سعد بن المُعلى : «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن : الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتينه» فالمعنى الواضح أن الفاتحة سورة من سور القرآن وأعظمها وأنها بما تضمنته واشتملت عليه من أصول الدين وفروعه ومعاني القرآن العظيم ومقاصده ومبادئه وأحكامه كما في العقيدة والعبادة والتشريع والإيمان بالبعث وبأسماء وصفات الله الحسنى والتوحيد وإمداده سبحانه بالعبادة والاستعانة واللجوء إليه بالدعاء من خلال رحمته ورحمانيته وبيانها (أي الفاتحة) لأصناف الناس من الذين أنعم الله عليهم بالهدى والهداية والاهتداء ثم المغضوب عليهم المنحرفين غير المهتدين ثم الضالين في عقائدهم ومعتقداتهم كفرًا وإلحادًا وشركًا ونفاقًا وفي سلوكهم ومعاملاتهم وتعاملاتهم وقد

سميت الفاتحة بعدد من الأسماء كما ذكرت ووصفها بالقرآن العظيم ليس لأنها فعلا كل وكامل كتاب الله أي القرآن نفسه وإنما لتضمنها ما ذكرناه من موضوعات أصول الدين وفروعه ومعتقداته في توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية . والفاتحة هي السورة الوحيدة في القرآن العظيم التي يجب قراءتها في كل ركعة من ركعات الصلاة المفروضة والمسنونة على السواء (وإن كان في هذه المسألة أقوال أخرى) وقد روى عن النبي ﷺ «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» (رواه الجماعة) وذلك لما تمثله من أهمية خاصة في كل ما اشتملت عليه في ألفاظها ومعانيها التي ذكرناها سالفًا وغيرها مما لم نذكره ولا نعرفه . وأود أن أذكر هنا ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره ونقله عنه الدكتور وهبة الترحيلي في تفسيره «التفسير المبين» من أن أغلب الأحاديث المروية في فضائل سور القرآن موضوعة أو مكذوبة وضعها الزنادقة أو أصحاب الأهواء والمطامع أو السؤال الواقفون في الأسواق والمساجد أو واضعوا الحديث حسبة كما زعموا ؟.

وذكر صاحب المنار[1] سبعة أوجه لإعجاز القرآن أهمها :

صدور القرآن من امي ، وبلاغته الفائقة ، وغرابة أسلوبه ، وأنباؤه الغريبة الصادقة .

وقد بالغ بعض المحدثين في عد وجوه الإعجاز حتى ادخل فيها ما ليس منها والقرآن غني عن إطرائه بما ليس فيه ولا من خصائصه ويحضرني في هذا المعنى ما رواه البخاري :أن رسول الله ﷺ قال : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، قالوا إنه ابن الله » .

كما أن بعض المبشرين المحدثين حاول النيل من القرآن فذكر أن إعجاز القرآن مقصور على الناحية اللفظية وهي ناحية الفصاحة وحدها . وتطرق من ذلك

(1) الأستاذ رشيد رضا .

إلى أن الفصاحة لا تخص القرآن وحده يشترك معه كل كلام فصيح ،وهي مغالطة مكشوفة ، فأسلوب القرآن يتميز على غيره من الأساليب من ناحية لفظه ومن ناحية معناه .

عن إعجاز القرآن وخصائص أسلوبه

فمن خصائص الأسلوب القرآني ما يأتي :

1-مسحة البداوة مع اشتماله على بسائط الحضارة .

2-إرضاؤه العامة والخاصة .

3-إرضاؤه العقل والعاطفة .

4-جودة السبك وإحكام السرد .

5-براعته في تصريف القول .

6-جمع القرآن بين الإجمال والبيان .

7-القصد في اللفظ مع الوفاء بالمعنى .

وكذلك قال الإمام أبو طالب المكي : (ظاهر كلام القرآن على معنيين عجيبين هما مجمل مختصر ومفصل مكرر ، فإجماله واختصاره للبلاغة والإيجاز قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾. ويكرره وتفصيله للإفهام والتذكار قال

تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾. وقال تعالى في المبهم المجمل والتوحيد المفصل (الر) فهذه ثلاثة أسماء الله لطيف رحيم وقيل هي حروف من اسم الرحمن ثم أظهر السبب فقال : ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ يعني بالتوحيد ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾. أي بالوعد والوعيد ثم قال :﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ أي للأحكام ﴿خَبِيرٍ﴾. أي بالأحكام خبير بالتفصيل للحلال والحرام ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.وهو التوحيد الذي أحكمه ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾. وهو الوعد والوعيد الذي أعلمه .) انتهى .

ثم تحدث الإمام أبو طالب المكي عند الإعجاز في المختصر للإيجاز والمبدل المضمر المختصر والمضمر والمبدل والموصول المكرر والمكني المبهم المشتبه والموحد معناه الجمع والجمع المراد به الواحد والجمع المكني والمقدم والمؤخر والمعطوف المضمر وما حمل على المعنى والمؤخر بعدى توسط الكلام ، وهو مشهد عموم أهل العلم بأوجه إعجاز القرآن العظيم البلاغية وهي وجه واحد فقط من اوجه أعجاز القرآن الكريم الأخرى .

وكل ذلك يسير من كثير جرى التنويه به للذين لا يعلمون والذين هم على اكتمال صحيح المعلومات؟؟؟؟؟؟؟ وخاصة من الذين يوصفون بأنهم مستشرقون وفهم باللغة العربية وبالإفتاء جاهلون ومنهم متحاملون وغير منصفين أو محايدون ولا يعرفون إن ترجمة القرآن بأي لغة غير العربية ليس قرآنا وليست متضمنة قدره الإعجازي .

يقول الدكتور عبد الله شحاته [1]:

«وإنما صار القرآن معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظام وتأليف ، متضمنًا أصح المعاني من توحيد الله وتنزيهه في صفاته ودعاء إلى طاعته ، وبيان

(1) في كتابه «علوم التفسير» نشر دار الشروق .

لطريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر وإباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعـروف ونهي عن منكر وإرشاد إلى محاسن أخلاق وزجر عـن مسـاوئها ، متضـمنًا أخبـار القرون الماضية منبئًا عن العصور الآتية جامعًا في ذلك بـين الحجـة والمحـتج لـه والدليل والمدلول عليه .ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق مما يعجز عنه قوى البشر ولا تبلغـه قـدرتهم . فـانقطع الخلـق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله ، أو مناقضته في شكله ، ثم صـار المعانـدون لـه يقولون مرة إنه شعر لما رأوه منظومًا ، ومرة إنه سحر لما رأوا أثره في القلوب ، ولم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعًا من الاعتراف ، ولذلك قالوا إن لـه لحـلاوة وإن عليـه لطلاوة .

ومما انفرد به القرآن وباين سائر الكـلام أنـه لا يخلـق عـلى كثـرة الـرد وطـل التكرار ، ولا تمل منه الإعادة ، وكلما نظرت فيه رايته غضا طريًا وجديـدًا مونقًـا . وصادفت من نفسك له نشاطًا مستنأنفًا وحسًا موفورًا ، وهذا لعمر الله أمـر يوسـع فكر العاقل ويملأ صدر المفكر بما يرى من إعجاز النظم وبلاغـة الـنغم بـالهمس والجهر والقلقة والصفير والمد والغنة ونحوها ، ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطًا وإيجاز وابتداء وردا وإفرادًا وتكريرًا .

ومن خصائص القرآن أنه جمع بين صفتي الجزالة والعذوبة وهمـا كالمتضـادين لا يجتمعان غالبًا في كلام البشر .

حقًا إن القرآن آية الله الباقية وحجته البالغة وهو النور الساطع والتراث الخالد: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:9] .

آراؤهم في الإعجاز :

تنوعت آراء العلماء حول بيان إعجاز القرآن فأرجعوا إعجازه إلى نوح متعـددة في معناه ومبناه.

قال الفخر الرازي : وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب .

وقال ابن عطية : الصحيح والذي عليه الجمهور ،والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله فإذا أنزل لفظًا من القرآن علم بإحاطته أي لفظه تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن على آخره ، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول . ومعلوم ضرورة أن أحدًا من البشر لا يحيط بذلك ، فلهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة . وبهذا يبطل قول من قال إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك ، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ، لهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا .. وكتاب الله لو نزع منه لفظه ثم أدير لسان العرب على لفظه أحسن منها لم يوجد ، ونحن نتبين البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع ، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة .وقد قامت الحجة على العالم بالعرب ، إذ كانوا أرباب فصاحة ومظنة المعارضة .

قال بعضهم : وجه الإعجاز في القرآن استمرار الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها استمرارا لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر ، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة فيه إلا في الشيء اليسير المعدود ، ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه .

الإعجاز عند الرافعي :

تناول الرافعي إعجاز القرآن في أقصر سورة منه فقال : « إن لهذا القصار لأمرا وإن لها في القرآن لحكمة هي أعجب ما ينتهي إليه التأمل حتى لا يقع من النفس

إلا موقع الأدلة الإلهية المعجزة .

فقد علم الله أن كتابه سيثبت الدهر كله على هذا الترتيب المتداول فيسره للحفظ بأسباب كثيرة أظهرها في المنفعة ، وأولها في المنزلة هذه السور القصار التي تخرج من الكلمات المعدودة إلى الآيات القليلة ، وهي مع ذلك أكثر ما تجيء آياتها على فاصلة واحدة ، أو فواصل قليلة ، مع ما بين الفاصلة والفاصلة ، فكل آية في وضعها كأنها سورة من كلمات قليلة . لا يضيق بها نفس الطفل الصغير وهي تتماسك في ذاكرته بهذه الفواصل التي تأتي على حرف واحد أو حرفين أو حروف قليلة متقاربة فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه ويثبت أثره في نفسه فلا يكون بعد غلا أن يمر فيه مرا وهو كلما تقدم وجده أسهل ووجد له خصائص تعينه على الحفظ وعلى إثبات ما يحفظ ، فهذا من معاني قوله تعالى :﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:82] ، وهي لعمر الله رحمة وأي رحمة .

وإذا علمنا أن ترتيب القرآن توقيفي أدركنا فضل الله في تيسير حفظ كتابه على الناس حيث جعل هذه السور آخر القرآن كتابه وهي أول ما يحفظ الصبي من القرآن وكلما تمرن على الحفظ اتسعت السور واتسع معها ذهن الصبي واستعداده.

وإذا أردت أن تبلغ عجبًا من ذلك فتأمل آخر سورة من القرآن ،وهي أول ما يحفظه الأطفال ، تلك سورة : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ، وانظر كيف جاءت في نظمها ، وكيف تكررت الفاصلة ، وهي لفظة «الناس» ، وفيها السين أشد الحروف صفيرًا وأطربها موقعًا من سمع الطفل الصغير وأبعثها لنشاطه واجتماعه ، وكيف تناسب مقاطع السورة عند النطق بها تردد النفس في أصغر طفل يقوى على الكلام حتى كأنها تجرى معه وكأنها فصلت على مقداره ، وكيف تطابق هذا ألمر كله من

جميع جهاته في أحرفها ونظمها ومعانيها » [1]. انتهى .ويستطرد الدكتور عبد الله شحاته :

« ويضاف إلى ذلك حكمة أخرى وهي تيسير أداء الصلاة على العامة ، فإنهم لولا هذه السور لتركوا الصلاة جميعًا إذ لا تصح الصلاة إلا بآيات مع الفاتحة ، وقد أغنتهم القصار ويسرت عليهم فكانت على قلتها معجزة اجتماعية كبرى .

وحدة النظم

من إعجاز القرآن ، اتساق عبارته وإحكام نظمه ، واتحاد طريقته في الإبداع والقوة كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين .

«ومرد ذلك إلى روح تركيب التي تنعطف عليها جوانب الكلام الإلهي ، وتلمح جمال هذا التركيب في نظم الكلمة وتأليفها ثم في تأليف هذا النظم ، فمن هنا تعلق بعضه على بعض وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي صفة إعجاز في التركيب وإن كان فيما وراء ذلك متعددة الوجوه التي يتصرف فيها من الأرض الكلام ومناحي العبارة على جملة ما حصل به من جهات الخطاب ، كالقصص والحكم والتعليم وضرب الأمثال إلى نحو ما يدور عليه » [2] .

فأنت ما دمت في القرآن حتى تفرغ منه لا ترى غير صورة واحدة من الكمال وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب ومواضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام كأنها تفضي إليك جملة واحدة .

وقد ذهب العلماء إلى أن ألفاظ القرآن متميزة من جنسها بحيث إذا وجدت تركيبًا قرآنيًا في نسق الكلام دل على نفسه وأرشدت محاسنه إليه لما له من صفة

(1) إعجاز القرآن للرافعي ص 262 هامش .

(2) إعجاز القرآن للرافعي .

إلهية : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ [الطارق: 13-14] .

وحدة الفكرة :

ومن وجوه الإعجاز في القرآن أن معانيه تجري في مناسبة الوضع وإحكام النظم مجرى ألفاظه ، ولا يعدم المفكر وجها صحيحًا من القول في ربط كل كلمة بأختها وكل آية بضريبتها وكل سورة بما إليها وهو علم عجيب أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ، وقد قال إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

ويقال إن أول من اظهر هذا العلم الشيخ أبو بكر النيسابوري ، وكان غزير المادة في الشريعة والدب ، فكان يقول في تفسيره لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة على جنب هذه السورة؟ثم كان يزري على علماء بغداد لأنهم لا يعلمون هذه المناسبات .

وللإمام برهان الدين بن عمر البقاعي المتوفى سنة 885 هـ تفسير مخطوط بدار الكتب المصرية ، اسمه : «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» وهو تفسير جليل جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير فيه العقول ، واهتم ببيان ارتباط الجمل بعضها ببعض وتناسق الآيات واتساق المعنى وترابطه .

ومن اظهر من كتب في هذا المعنى من المفسرين في العصر الحديث الإمام الشيخ محمد عبده ، فقد عنى ببيان الوحدة الفكرية للسورة وبيان التناسب بين آياتها وتعلق نظم القرآن بعضه ببعض ، ورأى أن فكرة السورة يجب أن تكون أساسًا في فهم آياتها والموضوع يجب أن يكون أساسًا في فهم الآيات التي نزلت فيه ، ورفض كل تفسير لا يحقق و حدة الهدف والتناسق بين أجزاء السورة ، وتأثر بالإمام جيل من أساتذة التفسير في هذا العصر منهم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز عليه رحمة الله .

لقد كانت رؤية الأستاذ الإمام للقرآن الكريم [1]، والنهج الذي نهجه عندما عزم على تفسيره أحد المعالم البارزة في الإصلاح الديني عنده، فنحن واجدون في هذه الرؤية مثلاً:

1- تحديده لمعنى الإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم .. فهذا ليس لغويًا، في الأساس، كما أنه غير مستمد من كونه كتاب فن أو أدب أو تاريخ أو علوم.. وإنما من كونه كتاب دين يهدي الناس إلى المجتمع الفاضل والطريق السوي والخلق العظيم، على مر الأزمنة . ورغم اختلاف المكان وتعدد الأجناس .. ذلك هو الإعجاز الحقيقي للقرآن .. «فالقرآن ليس كتابًا فنيصا فيكون لكل مقصد من مقاصده باب خاص به، وإنما هو كتاب هداية ووعظ ينتقل بالإنسان من شأن من شئونه إلى آخر .. ولذلك فإن التفسير الذي نطلبه هو: فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصود الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له، أو وسيلة لتحصيله .. ».

2- إعلاؤه شأن العقل في تفسير القرآن، وهو كتاب الدين الأول الأساسي، ورأيه في وجوب أن يطرح الذين يريدون تفسير القرآن تفسيرًا حديثًا مستنيرًا، أن يطرحوا جانبًا «رؤية» السابقين من المفسرين، وأن يتزودوا فقط بالأسلحة والأدوات اللغوية، وشيء من أسباب النزول، ومعلمات السيرة النبوية، ومعارف التاريخ الإنساني عن حياة الكون والشعوب التي يعرض لها القرآن الكريم .

فهو يعتبر أن «رؤية» المفسرين السابقين قد ارتبطت بالمستوى العقلي ودرجة العلم التي بلغوها وتحصلت لمجتمعاتهم وبيئاتهم الثقافية، وليس بالضرورة أن يكون عقلنا واقفًا عند ما بلغوه فقط، ولا أن تكون حصيلتنا الفكرية هي فقط ماغ

(1) نقلاً عن كتاب «الإمام محمد عبده» للأستاذ الدكتور محمد عمارة .

حصلوه .. وهو لذلك يحدد منهجه في تفسير القرآن ، ويدعوه إليه عندما يخاطب أحد أعضاء [جمعية العروة الوثقى] ، فيقول له : «داوم على قراءة القرآن ، وتفهم أوامره ونواهيه ، مواعظه وعبره ، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي ، وحاذر النظر إلى وجوه التفاسير إلا لفهم مفرد غاب عنك مراد العرب منه ، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصله ، ثم اذهب إلى ما يشخصك القرآن إليه ، واحمل نفسك على ما يحمل عليه ، وضم إلى ذلك مطالعة السيرة النبوية ، واقفًا عند الصحيح المعقول ، حاجزًا عينيك عن الضعيف والمبذول » .

وفي إطار النهج التجديدي للأستاذ الإمام في تفسير القرآن نلتقي بملامح متميزة ، ونلحظ عددًا من المبادئ التي حددها والتي تستوجب منا الإشارة والانتباه .

فمنهجه العقلاني في التفسير ، عندما ينظر للقرآن «ككتاب دين » في الجوهر والأساس ، يدعونا إلى رفضه مذهب أولئك الذين ينظرون إلى القرآن كديوان للعلوم والفنون . ذلك أن حمل العلوم على القرآن ، وما يسمى «بالتفسير العلمي » لبعض آياته ؛ إما أن يؤدي إلى قسر هذه الآيات كي تطابق النظريات العلمية ، أو تكلف الصلات بين هذه الآيات وتلك النظريات ، أو إلقاء الشبهات على صدق النظريات ، عند قوم ، وعلى صدق الآيات عند آخرين ؟! .. وفي كل الحالات ، فإن هذا المنهج يقيد «العقل العلمي » بما لا ضرورة له ولا فائدة فيه من القيود والأغلال ! الأمر الذي ينافي إرادة الله وأمره لنا بالنظر والتدبر في كتاب الكون وما فيه من سنن ولآيات .. ثم إن هذا النهج ، اللاعقلي ، في تفسير القرى، إنما ينطلق من فهم خاطئ لطبيعة الدين والرسالة السماوية ، عندما يخلط بين مقاصدها الروحية ، التي هي المقاصد الأولى ، والهم لها ، وبين نشاط العقل الإنساني وثمرات التجربة الإنسانية ، اللذين لم يشأ الإسلام أن يقيدهما بما يعوقهما عن الغزو والسياحة ، والفتح في مختلف الميادين .

وتطبيقًا لهذا المنهج الذي نهجه الأستاذ الإمام في التفسير ، وجدناه ينكر ويستنكر موقف الذين يبحثون عن حقائق العلوم الطبيعية في القرآن والدين .. فيقول :« إنه لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية ؛ لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل ، وينزع الاستقلال من الإنسان ، ويلزم بأن يتلقى كل فرد من أفراده كل شيء بالتسليم ، ولوجب أن يكون عدد الرسل في كل امة كافيًا لتعليم أفرادها في كل زمن ما يحتاجون إليه من أمور معاشهم ومعادهم ، وإن شئت فقل : لوجب ألاَّ يكون الإنسان هذا النوع الذي نعرفه ! نعم ، إن الأنبياء ينبهون الناس ، بإجمال ، إلى استعمال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي ترتقي بها نفوسهم ، ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوى الإيمان ويزيد العبرة . لقد أرشدنا نبينا ﷺ ، إلى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا في واقعة تأبير النخل ؛ إذ قال :« أنتم أعلم بامور دنياكم» ،ومن هنا كان السؤال عن حقيقة الروح خطأ .. كما كان السؤال عن علة اختلاف أطوار الأهلَّة خطأ .. بل عده القرآن من قبيل إتيان البيوت من ظهورها ! ..» فأبواب بيوت هذه العلوم هي العقل والتجريب ، وليس النقل وكتب الدين .

أما ما عرض له القرآن الكريم من إشارات كونية ، فإن مقصده منه – في رأي الإمام محمد عبده – هو العظة والعبرة ، لا تقرير الحقائق وإيراد النظريات ، فمثلا : «حقيقة البرق والرعد والصاعقة وأسباب حدوثها ، ليست من مباحث القرآن ؛ لأنها من علم الطبيعة (أي الخليقة) ، وحوادث الجو ، التي في استطاعة الناس معرفتها باجتهادهم ، ولا تتوقف على الوحي وإنما تذكر الظواهر الطبيعية في القرآن لأجل الاعتبار والاستدلال ، وصرف العقل إلى البحث الذي يقوى به الفهم والدين .. يذكر القرآن إجمالاً ، من آثار الله في الكون تحريكًا للعبرة وتذكيرًا بالنعمة ، وحفزًا للفكرة ، لا تقريرًا لقواعد الطبيعة ، ولا إلزامًا باعتقاد خاص في الخليقة » وقد أكد الأستاذ الإمام أن الدين إذا اجء بشيء بعلو على الفهم فلا يمكن

أن يأتي بما يستحيل عند العقل فالدين عرف بالعقل ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معًا حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة في المدينة الجديدة .

وجدير بالذكر أن فضيلة محمد الغزالي رحمه الله كان يقول : «لا خصام عندنا بين العقل والدين فالعقل هو أداة فهم الوحي والكون على السؤال ، وما دمت مستقيمًا مع عقلي فأنا متشبث بديني بعيد عن الانحراف عنه ، فالإسلام يعتمد الفكر الذكي والحواس اليقظة في تقرير مختلف أنواع المعارف وقد عد القرآن «الغباء» و و «بلادة الحواس » و «قلة الوعي» طريقًا إلى النار : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

وقد سبق أن عبَّر علماء المسلمين عن الصلة الحميمة بين الدين والعقل بما لا يدع مجالا لأي تناقض بينهما وفي ذلك يقول حجة الإسلام الغزالي المتوفى 1111م) . «العقل كالأساس والشرع كالبناء ولن يغنى أساس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما متضادان بل متحدان» . وكذلك فإن للإمام الشاطبي أقوال في هذا الموضوع الذي يتناول مقاصد الشريعة والعقل ، وغيره كثيرون .وهذا موضوع فيه دراسات وآراء عديدة ويحتاج إلى بحث ودراسة أخرى مستقلة عن كتابنا هذا .

أما مرشدنا الروحي الإمام محمد ماض أبو العزائم فيعتبر تفسيره «أسرار القرآن» من جملة التفاسير التي ألقيت دروسًا في المسجد الجامع بمدينة الخرطوم حيث امتدت إقامته هناك إلى ما يقرب من عشر سنين (1905- 1915) . ولم يكن يرونها قبل نشرها بين الناس ولذلك كان رضي الله عنه يعني ببيان المعاني أكثر من غايته بتخريج الأحاديث والآثار ونسبة الأقوال إلى أصحابها نظرًا لما قد يمليه الموقف أو تحكمه الظروف ، وقد بنى الإمام أبو العزائم نهجه في التفسير على التفسير المأثور ثم التفسير بالرأي .فكان يعني في الأول بكشف معاني التنزيل

.وبيان المداد من نصوص القرآن الكريم بما جاء في القرآن نفسه أو نقل عن حضرة النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين ، أي أنه رضي الله عنه أقام منهجه في التفسير بالمأثور على الأسس الستة التالية :

1-العناية بتفسير القرآن بالقرآن .

2-وتفسيره القرآن بالسنة النبوية .

3-تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

4-إراد القراءات وتوجيهها .

5-ذكر أسباب النزول .

6-الاحتراز من ذكر الروايات الإسرائيلية .

كما كان الإمام أبو العزائم يُعني بالاستعانة بالصحيح من أسباب النزول ويؤكد دائمًا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

أما التفسير بالرأي أو بالدراية أو بالاجتهاد في فهم النص القرآني والكشف عن معانيه في حدود الضوابط الشرعية والكشف عن مدة ألفاظه ومدلولاتها فهو اجتهاد ضمن دائرة النص الموجودة في الأصول اللغوية والشرعية وبعد تحصيل العلوم والتحلى بالآداب التي ينبغي توافرها في المعسر لكتاب الله تعالى . ويلاحظ أن تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد نوعان :

الأول : التفسير المقبول الممدوح وهو التفسير المبني على المعرفة الكافية بالعلوم اللغوية والقواعد الشرعية والأصولية : أصول الدين وأصول الفقه .وعلم السنن والأحاديث ولا يعارض نقلاً صحيحًا ولا عقلا سليمًا ولا علمًا يقينيًا ثابتًا مستقرًا . مع بذل غاية الوسع في البحث والاجتهاد . والمبالغة فيتحدي الصواب وتجريد النفس من الهوى والاستحسان بغير دليل مع مراقبة الله تعالى غاية المراقبة

في كل ما يقول .

والثاني : التفسير المذموم وهو التفسير من غير تأهيل له بالعلوم التي لابد منها للمفسر أو التفسير بالهوى والاستحسان أو التفسير المقصود منه تأييد المذهب الفاسد والرأي الباطل أو تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى .

اهتم الإمام أبو العزائم بالعناية ببيان المناسبات بين الآيات وقد قال الإمام السيوطي أن علم المناسبات والمناسبة بين الآيات والسور : « ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها ، عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ..» .وهذا علم قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته وإن كان تميز فيه الإمام فخر الدين الرازي وقال عنه :«أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط » وهذا العلم يظهر خاصية من أهم الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن الكريم واعتبرت من أسرار إعجازه الأسلوبي .وعني به الإمام أبو العزائم في تفسيره عناية فائقة وأصبح ركيزة أساسية في منهجه وله عنده ملامح متعددة أهمها بيانه لها بين الآيات داخل السور ثم بيانه لها بين أجزاء الآية الواحدة ثم بيانه لها بين صدور الآي وخواتمها ثم بيانه لها بين قطع السور وخواتمه .

ومما اعتنى به الإمام أبو العزائم أيضًا في تفسيره بيان أسرار التناسق في ألفاظ القرآن الكريم وهو من خصائص الإعجاز الأسلوبي في كتاب الله وهو قد أجلى بذلك جوانبًا عظيمة من وجوه هداية وإعجاز القرآن الكريم ومؤيدًا منهجه وبيانه بنصوص من القرآن الكريم نفسه .

وأخيرًا أذكر أن الإمام أبو العزائم اعتنى بدفع التعارض والتناقض المتوهم بين بعض آيات القرآن الكريم وأثبت أنه عند التأمل والبحث يزول هذا التوهم ويتضح أن الآيات متفقة غير مختلفة ومنسجمة في المعنى غير متعارضة وذلك أن القرآن كلام

العليم الحكيم المنزه عن الهوى ولعبت قال تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:82] وللإمام أبي العزائم وقفات كثيرة في تفسيره وضع فيها ما قد يتوهم من تعارض بين بعض آيات القرآن الكريم وجدير بالذكر أنه لأهمية هذا العلم من علوم القرآن فقد عنى به جمهور المفسرين قديمًا وحديثا في تفاسيرهم كما الفت فيه مؤلفات خاصة أذكر منها كتاب «تأويل مشكل آيات الكتاب» للعلامة محمد أمين الشنقيطي وكتاب «البيان في وضع التعارض المتوهم بين آيات القرآن» للأستاذ الدكتور محمد أبو النور الحديدي .

وقد جعل الإمام أبو العزائم اللغة العربية أساسًا من الأسس التي انبنى عليها منهجه في تفسير القرآن الكريم وكان في ذلك يعتني :

1-ببيان معاني مفردات القرآن الكريم .

2-بالتحليل الصرفي والنحوي .

3-ببيان الصور البلاغية ومنها صور ؟؟؟وأسراره والإيجاز وأسراره والاستفهام وأسراره والتشبيه وأسراره والمجاز وأسراره والكتابة وأسرارها والجناس وأسراره – وغير ذلك – وأخيرًا نبّه مرشدنا الإمام أبو العزائم في تفسيره مواضعه كثيرة على جانب من أهم جوانب الهداية في القرآن الكريم وهو عموم المعنى القرآني وشموله لكل عصر ومصر إلى قيام الساعة ، ويقول رضي الله عنه :« فما خاطب الله تعالى به أصحاب رسول الله ﷺ يخاطبنا به الآن وبعد الآن إلى قيام الساعة .

فإن القرآن الكريم يزال طريًا غضًا كأنه نل علينا اليوم لا تنتهي معجزاته ولا تنحصر آياته ، ألفاظه قدسية جذابة للأشباح وأنواره إلهية مسكرة للأرواح » وكان رضي الله عنه يقول في تجديد التفسير : « إن العلماء ورثة الأنبياء قد شرحوا القرآن المجيد في كل عصر بما يناسب أهله لا بقدر الكلام لأن الكلام صنعة المتكلم ،

قال تعالى :﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى: 11] يعني في كل شيء فليس كالقرآن شيء من الكلام حتى يحيط الشارح له بحقيقة ..» (1) .

أما مجهودات العلماء المؤمنين في التفسير والتأويل فمجهودات محمودة تلقي ضوءًا من الفهم على بيان القرآن العظيم وملابسات الأحداث وأسباب نزول الآيات ولكنهم بيان القرآن العربي اللغة ومفردات ألفاظه العربية بما يحقق للقارئ أو ؟؟؟؟؟ أو؟؟؟؟؟؟؟؟؟ لكتاب الله نوعا من الفهم المطلوب للأمور التي تناولتها الآيات ليفهم القارئ ما يقرؤه بالقدر الذي يبينه المفسر أو المؤول من خلال معلوماته وعلومه ومعارفه للأحداث والموضوعات التي تتصل بكتاب الله ، وعلى قدرة نفسه في العلم والدراسة في التفسير والتأويل للإعراب الذي لا ولن يرقى إلى المستوى الذي يقول عنه القرآن نفسه : ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:7] وخط ومقدارت العلماء في ذلك تتباين وتختلف لأنه في واقع الأمر : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[المجادلة:11] . أي أن العلماء المفسرين والمؤولين للقرآن درجات ومستويات ورؤاهم مختلفة واهتماماتهم متباينة ، وتناولتهم متعددة وكذلك مذاهبهم واتجاهاتهم ومدارسهم . وتختلف من عصر إلى عصر حسب مستوى البنيان العلمي والمعرفي عند العلماء في كل وكافة المجالات وفروع وتخصصاتهم العلمية التي تتور باستمرار وتتجدد مع تطورها وتراكمها وتزداد معها المعلومات وحتى يتبين بها الحق في كتاب الله المتطور (الكون) متطابقًا مع الحق في كتاب الله المسطور (القرآن العظيم) ويصدق ويثبت ما يقوله القرآن العظيم نفسه : ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ

(1) يراجع في تفسير الإمام ابي العزائم كتاب : «الإمام أبو العزائم والتجديد في التفسير وعلوم القرآن » الذي نشرته مشيخة الطريقة الصوفية بعناية شيخها القائم السيد / محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم . والكتاب عبارة عن رسالة ماجستير المقدمة لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر من الباحث ربيع يوسف شحاته .

أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:53] .

ولذلك نجد هناك تفاسير عقلية وعلمية وتفاسير إشاردية وتفاسير لأهل الرأي والأثر وتفاسير مليئة بالإسرائيليات وبالقصص وأحياناً بأحاديث ضعيفة أو موضوعة إلى جانب ما يتصل بالمفسرين من فهم وتأويل حسب معارفهم وقدراتهم والمؤثرات الفكرية والثقافية واللغوية والعلمية عندهم .. إلخ .

ويحتاج الناس إلى تفسير القرآن وتأويله من ناحية بلاغته وفصاحته لما يتضمنه من أساليب اللغة المختلفة ففيه الحقيقة والمجاز والصريح والكناية والإيجاز والإطناب والقصص والأمثال والرموز والأخبار والحكام والعقيدة والشريعة والتربية والأخلاق والإشارة والمصطلحات الشرعية والاعتبارات العرفية والزمانية والمكانية وفيه المجمل والمفسر والمحكم والمتشابه إلخ .. وقد ظهرت الحاجة إلى التفسير منذ نزول الوحي فبين القرآن العظيم بعضه ببعضه ونصر رسول الله ﷺ بالتبيين والبيان بذاته وفعل مثل ذلك الصحابة كبارهم وعلماؤهم حتى إن ابن عباس لقب بترجمان القرآن على سبيل المثال ولقب ابن جرير الطبري بشيخ المفسرين .وسيظل مثل هذه التفاسير أساسًا من المأثور الذي يُرجع إليه دائمًا ولكن يُزاد عليه تفسيرات في المجالات التي لم يتناولها السابقون من حيث المستوى العلمي السائد في عصورهم وأزمنتهم التي لم تكن تشهد أو تعرف حتى أو تقترب من المستويات العلمية والمعرفية المتوفرة في العصور التي جاءت بعد عصورهم والعصور الحديثة وعصرنا الحالي خاصة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن العظيم ، والله في القرآن العظيم يخاطب خلقه بما يفهمونه ومنذ بداية المر وحتى منتهاه لأن القرآن العظيم كتاب الدين كله وكتاب الزمن كله وكل الناس في كل العصور والأزمنة وحتى قيام الساعة ، وعلى قدر عقول الناس وما يتفهمونه كان رسول الله ﷺ أيضًا يخاطب الناس .

ومن أمثلة التفاسير التراثية القديمة والرازي في التفسير الكبير وأبي حيان الأندلسي في البحر المحيط والألوس في روح المعاني الزمخشري في الكشاف ، وكانت هذه التفاسير توضح القصص القرآني وأخبار التاريخ كتفسير الخازن والبغوي أو ببيان الأحكام الفقهية بالمعنى الضيق للمسائل والفروع والقضايا كالقرطبي وابن كثير والجصاص وابن العربي أو بالاهتمام باللغويات كالزمخشري وأبي حيان أو بالقراءات كالنسفي وأبي حيان وابن الأنباري وابن الجوزي فيكتابه « النشر في القراءات العشر » . أو بقدر محدود بعلم الوقت في زمن التفسير كطنطاوي جوهري في تفسيره جواهر القرآن .. وفي النهاية أذكر ما أخرجه الإمامان البخاري ومسلم عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قال : قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه» ومع تطور العلوم وتشعبها وازديادها تتسع الفهوم والمفاهيم لآيات القرآن العظيم وتتجدد وتجتاز التفسيرات والتأويلات الأطر التي أمن فيها السابقون في عصورهم النواكب المستجدات في عصور التقدم والتوسع والترقي العلمي وليكون الهدف الأسمى هو تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وعلوم القرآن وهدى وهدايات القرآن وإعجاز آيات القرآن في شتى الميادين والمجالات وبصفة خاصة الإعجاز العلمي في آيات القرآن الكريم ليواكب المستجدات في عصرنا عصر العلم .

العناية بالقرآن (1)

لقد عَنِي المسلمون الأولون بالقرآن قراءة وفهما ودراسة وحفظًا وعلمًا وعملاً ، فكان القرآن كتاب حياة ووجود ، اتبعوا أحكامه ونفذوا أوامره واحلوا حلاله وحرموا حرامه ، فكانوا سادة الدنيا وأساتذة العالمين ، ثم تحول القرآن إلى كتاب دراسة ، بعد أن كان دستور حياة ، فنشأت حول القرآن دراسات متعددة كان المقصود منها خدمة القرآن الكريم ، فالنحو الذي يقوم اللسان ويعصمه من الخطأ ، أريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن ، وعلوم البلاغة التي تبرر خصائص اللغة العربية وجمالها ، ومنها التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتعريض أريد بها بيان نواحي الإعجاز في القرآن ، والكشف عن أسراره الأدبية ، وتتبع مفردات اللغة والتماس شواردها وشواهدها وضبط ألفاظها ، وتحديد معانيها ، وصيانة ألفاظ القرآن ومعانيه ، أنتعدو عليها عوامل التحريف أو الغموض ، والتجويد

(1) يراجع كتاب «علوم التفسير » للدكتور عبد الله شحاته . وأيضًا له «تفسير القرآن الكريم » نشر دار غريب .

والقراءات لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته والتفسير لبيان معانيه والكشف عن مراميه وفي التاريخ وعلوم كثيرة أخرى كالفلك والنجوم والطب والرياضيات وعلوم الحيوان والنبات .. إلخ .

والفقه لاستنباط أحكامه والأصول لبيان قواعد تشريعه العام وطريقة الاستنباط منه ، وعلم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد ، وأسلوبه في الاستدلال عليها .

حفظ الله القرآن وعصمته له

القرآن كتاب الله – تعالى – الذي لم يدع أمر حفظه للبشر – مثل الكتب السابقة التي أوكل الرسل الذين أنزلت عليهم حفظها إلى الحواريّين والربّانيِّن والأحبار فحرفَّوها وضيعوها : [المائدة:44] . ربما كانت حكمة الله – تعالى – في ذلك إظهار خصوصيِّتها – أعني اختصاصها بشعوب أولئك الأنبياء ، وتاريخانيِّتها – أعنى اختصاصها بمرحلة تاريخيِّة محددة ، فيما هو غير دائم ومستمر من التشريعات والمعالجات ، الخاصة بتلك الشعوب في تلك المراحل من عمر البشريَّة .

إنَّ القرآن المجيد قد حفظه الله بنفسه ، وتكفل بداومه وبقائه واستمراره إلى يوم الدين : يحمل خطابًا عالميًا ، وشريعة تخفيف ورحمة عالميَّة شاملة ، وأوكل إليه الحاكميَّة ، وأودع فيه التصديق والهيمنة على ما سبق ، وما يأتي به الناس إلى يوم الدين ؛ ونسخ به كل ما أدخله المرجفون والمحرِّفون على رسالات الأنبياء ، وحفظه بنفسه ، وحفظ به خلاصات وثوابت رسالات المرسلين : فقد حفظه من داخله وبيانه وأسلوبه وإعجازه ، وتحدي الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، أو ينالوا منه بتحريف أو تغيير ، وحفظه من خارجية بتهيئة الملايين عبر العصور لحفظه في الصدور .

نظم القرآن حافظه الداخليّ

إن «نظم القرآن» هو حافظه وحارسه الأمين من داخل .و«نظم القرآن » يقوم على دعائم كثيرة لا يمكن لكلام بشر أن يشتمل عليها – كلّها – في وقت واحد ، منها :

* وفرة الإفادة وتعدّد الدلالة وتنوّعها مع وجازة الآية واشتمالها على أدق وجوه البيان ، وأجمل أنواع البديع .يقول الإمام الرازي :« إنّ القرآن » كما أنّه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه – هو أيضًا – معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته ». ولعل الذين قالوا :« إنّه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك »(1) .

فآيات القرآن الكريم المكنون ، والعبارات والجمل التي يشتمل عليها ، لها مستويات متعدّدة من الدلالة (2).

* فلها دلالة بحسب الوضع اللُّغويّ وتركيب الجمل ، وهي مستوى من الدلالة يشاركها فيها الكلام العربيّ كلّه .

* ولها دلالة وصيغ بلاغيَّة ، وهي على مستويات عليا ووجوه كثيرة ؛ فكلام سيد البلغاء المتقنين رسول الله ﷺ وهو «أفصح من نطق بالضاد ، ثم أهل البلاغة من أصحابه وآل بيته نحو الإمام عليّ – رضي الله عنه – قد يصل إلى المستوى القريب من بلاغة بعض الجمل والعبارات القرآنية وفصاحتها ، لكنَّه لا يمكن أن يصل إلى مستوى بلاغة السورة مهما قصرت ، ولا إلى المستويات العليا من بلاغة

(1) في كتابه البلاغي المطبوع عدة طبعات :« نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » القاهرة : الآداب والمؤيد .

(2) لعل عدم إلمام غالبية المترجمين للقرآن المكنون بهذه الدلالات من أهم أسباب وقوعهم في الأخطاء التي قد يقع فيها من يعتبرون حسني النية منهم . لأن اللغات المترجم إليها لا تحمل مثل خصائص العربية ، خاصة في هذا المجال . أما سيئو النية فأولئك لهم حديث آخر .

القرآن المجيد المعجز ، ولو على مستوى الجملة .

* وهناك «الدلالات المكنونة » أو المطويَّة فالقرآن الكريم وصفه المتكلم به ومنزّلة سبحانه بأنّه : ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴾ [الواقعة:78] ففي ثنايا النص وفضاء آية يعثر المتدبَّرون الغواصَّون على اللآلئ والجواهر – عديمة النظير ، وتتكشف مكنوناته كذلك عبر العصور عن معان تناسب تلك العصور بحيث تبدو كأنها لم تنزل إلا في تلك الفترة وعلى أهل ذلك العصر .

* وهذه الدلالة ذات مستويات متعدِّدة كذلك ، فمنها :

* «دلالة ما يُذكر على ما يقدِّر – مثل تقدير القول ، وتقدير الموصوف والصفة / وما شابه ذلك من فنون وجوانب التقدير .

* دلالة السياق (1)، وذلك مستوى يدرك من التدبُّر في مواقع الجمل من

(1) السياق أمر ذو أهمية بالغة ، حيث يعد «السياق » في القرآن المنتج للدلالة والموجه إلى المدلولات، ومع شدة عناية البلاغيين وكثرة حديثهم عنه غير أنهم لم يعرفوه تعريفًا جامعًا مانعًا ، وكأنهم اعتبروه مما يدرك بدون تعريف ، أو أنهم اكتفوا بوصفه وبيان آثاره ، واستغنوا بذلك عن تعريفه . والأصوليون قد أبدوا اهتمامًا شديدًا بدلالة السياق فالسياق يرشد إلى تبين المجمل ، وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد . . وذلك لأن دلالة النصوص نوعان : حقيقة وإضافية ، فالحقيقة تابعة لقصد المتكلم وإرادته وهذه الدلالة لا تختلف . والإضافة تابعة لفهم السامع وإدراكه ، وجودة فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها . وهذه الدلالة تختلف اختلافًا متباينًا بحسب تباين السامعين في ذلك .. » راجع بدائع الفوائد لابن القيم (914-10) وإعلام الموقعين (1/ 350- 351) وقد أوردت ابنتنا . د. رقية العلواني تفاصيل هامة في «دلالة السياق» وتقسيمات قديمة وحديثة أوضحت هذه الدلالة بما لا يستغني الباحث في هذا المجال عن مراجعته فراجع ذلك في رسالتها القيمة » أثر العرف في فهم النصوص : قضايا المرأة أنموذجًا رسالة دكتوراه طبع ونشر وتوزيع دار الفكر في دمشق عام 1424 هـ 2003 م ص 260 – 265. وكذلك رسالة صديقنا . د . إبراهيم أصبان التي نال بها درجة الدكتوراه بعنوان «دلالة السياق في القرآن» لم تطبع طبعة عامة بعد . أما السياق : فهو لصيق جدًا بالسياق ، وكبير

الآيات والآيات من السور والسور من مجمل القرآن ، وذلك بالنظر فيما قبلها وفيما بعدها لتظهر بذلك المناسبة ، وتتحدد صفة الجملة وهُويتّها في معرفة ما إذا كانت جوابًا عن سؤال ، أو تعليلاً لمضمون كلام سابق ، أو أنّها وردت في موقع الاستدراك ، أو في موقع الدليل لما سبق وفي سائر الأحوال فإنّ هناك وفرة في الدلالة لا يستطيع أبلغ البلغاء وأفصحهم أن يقارب أيَّ مستوى من مستويات دلالاته الوفيرة على أنواع من المعاني لا تقع تحت حصر ؛ ولذلك قال من قال : «إنّه حمّال أوجه» (1). وذلك هو الإطلاق الذي يتفرد لسان القرآن به عن كل ما سواه فكل ما عداه داخل في دوائر النسبيَّة .أما هو فمطلق مستوعب متجاوز لكل ما عداه من كلام البشر ، ومنهم الأنبياء والمرسلون . وفي الحديث الشريف :الذي رواه السيد الإمام أبو طالب – رضي الله عنه – في أماليه ، والحافظ المحدِّث أبو عيسى الترمذي في جامعة من حديث الحارث بن عبد الله الهمذاني صاحب علي – رضي الله عنه – قال : مررت في المسجد ،فإذا الناس يخوضون في الأحاديث ، فدخلت على عليّ – رضي الله عنه – فأخبرته فقال : أو قد فعلوها ؟ قلت :نعم . قال : أمَا إنِّي سمعت رسول الله – ﷺ- يقول : «ألا إنّها ستكون فتنة ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه .هو الذي لم تنته الجن إذ

الأثر في إدراك المناسبات ،وهو ربط الكلمات والآيات والسور بما يسبقها ، واعتبارها حلقة في سلسلة مترابطة .

(1) نقلت هذه الكلمة عن الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه إنه قالها عندما وجه ابن عباس – رضي الله عنهما – لمحاورة الخوارج . ونقلها الشهرستاني في الملل والنحل وغيره عنه ».

سمعته حتى قالوا :﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾[الجن:1– 2]. من قال به صدق ، ومن عمل به أجِرَ ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُـدي إلى صراط مستقيم » . انتهى هذا الحديث الجليل .

ويقول الإمام فخـر الـدين الـرازي (ت 606هــ) : «..لـو أردت أن اكتـب في تفسير سورة الفاتحة وقْرَ بعير لفعلت» (1).

وتفسيره المطبوع لسورة الفاتحة مجلد كبير يقع في (خمسين وأربعمائة) صفحة من القطه الكبير .ط التجاريَّة في مصر عام 1938م .

إن نظم القرآن الفريد هو الذي جعله كتابًا ميسرًا للذكر – كله – فهو يقرأ بيسـر وسهولة ، إذ هو في مفرداتـه يسـتعمل أقـرب الكلمـات ،وأبلغهـا في الدلالـة عـلى المقصود ، وأفصحها ، فلا تجد في كلماته كلمة واحدة مصابة «بتنـافر الحـروف » لتباعد مخارجها ، أو لثقل اجتماعها في كلمة بحيث تثقـل عـلى اللسـان ويصـعب نطقها ،ولن تجد في جمله وآياته كلمات متنافرة لأيّ سبب من الأسباب ، ولن تجد فيه لفظًا مستغلقًا ، ولا لفظًا مستنكرَها ، أو نابيًا أو فاحشًـا أو بـذيئًا .يقـول الإمـام الرازي :

«... إنّ المحاسن اللّفظيِّة غير مهجورة في الكلام الحكْميّ ، والكلام له جسـم وهو اللَّفظ ، وله روح وهو المعنى .وكما أنَّ الإنسان الـذي نـوَّر روحـه بالمعرفـة ينبغي أن ينوَّر جسـمه بالنظافـة كـذلك الكـلام ، ورب كلمـة حكميـة لا تـؤثِّر في النفوس لركاكة لفظها » (2).ولدقـة نظـم القـرآن سـهل حفظـه ، وتيسَّـر ترتيلـه ، واستطاع الناس تلاوته وتدبُّره وفهمه وتعقُّله وتذكره والتفكّر فيه بيسـر وسـهولة ، وبقطع النظر عن مستوياتهم المعرفيَّة وطاقاتهم الذهنية .فإنّ مما اتفقـت عليـه آراء

---

(1) مقدمة تفسير :«مفاتيح الغيب» .

(2) التحرير (1/ 112) ونهاية الإيجاز للأمم الرازي .

الذين تناولوا إعجاز القرآن أو خصائصه ومزاياه « تـأثير القـرآن في نفـوس قارئيـه وسامعيه » وقدرتهم على الميز بينه وبين سواه فمـن طبيعتـه النـزول عـلى القلـب ، وتحريك الوجدان والتأثير في النفوس . فأيّ تغيير في بنائه يضع حاجزًا بـين الـنص المختلق أو المغيَّر والفطرة والنفس والوجدان .وهذا ما لا يدركه .

المفبركون ، أو يغيب عنهم ، فيقعون في حبائل الشيطان ،ويتوهمون القدرة على المعارضة والفبركة .

ولدقة نظم القرآن استحال على الباطل أن يأتيه من بـين يديـه ولا مـن خلفـه . واستحال على الخلق أن يأتوا بمثل سورة من سوره .

عصمة القرآن من أي نوع من التحريف :

ولدقَّة نظمه اتَّسم «بالوحدة البنائَّية» في بنائه – كلّه – مع تعدُّد محاوره ، وتفنُّنه في تناول مختلف الأغراض التي تحتاج – لو تناولها غيـره- إلى آلاف المجلـدات ولن تستوعب تلك الأغراض .

فهو تارة يعتمد الأسلوب القصصيَّ من غير مشابه وللقصة في أسلوبها وبنائها ، ومن خروج عن الواقع والوقائع الحقيقية ، ولذلك فإنّ من المستحيل إلحاقهـا أو النظر إليها بمثل قصص العهدين القديم والجديد .وتارة يوظَّف الوقائع التاريخيَّة، وتارة يوجز دون أيّ تقصير في تناول المعنى المراد ، وأخرى يفصّل دون إطنـاب ، وأحيانًا يطلق الجمل ، وفي أحيان أخرى يقيِّدها ، ويوظِّف الإجمال ليفـتح العقـول ويحملها على التفكَّر والتدبُّر .ويستعمل البيان من غير أن يشعر القارئ بـأن هنـاك إجمالا أو إطلاقًا ، أو إيجازًا إلاّ إذا أمعن النظر ، وأجال الفكر وقام بـالتلاوة «حـق التلاوة» .

جمع القرآن:

جُمع القرآن الكريم في عهدين – عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين ، جمعا في الصدور وجمعا في السطور ، وكان لكل طريقة نصائحها ومزاياها ، ولذلك ظل القرآن الذي نتلوه اليوم هو نفس القرآن الذي كان يُتلى في عهد النبوة وقت تنزيل الوحي . القرآن تجمَّع عليه ولا تختلف على مصدره الإلهي ، ونعتقد أنه مرشدنا وموجهنا في كل وقت وزمان وفي كل أمر جلل ، ليس فقط لأننا نؤمن به في معتقدنا الديني وإنما أيضًا لأننا نؤمن بفائدته وجدواه في توجيه وتشيد طريق حياتنا ونهضتنا الشاملة المرجوة لدولنا وما تتطلبه من علم وعمل وسلوك أخلاقي حضاري ، وذلك حين ننظر إليه على أنه دستور للمعارف والعلوم وطاقة للعمل والبناء ، وروح للهداية للمعارف والعلوم ، وطريق للتمدن والتحضر ، ومنهاجًا للأخلاق والسلوك ،ورمز للتوحيد والتجميع ونور للرؤية والتبصر ، وأحكام للتشريع والتنظيم ،ومناخ للحقوق والحريات ،وضمانة للأداء والقيام بالواجبات ،ومُوجّه لإتقان الإدارة ، منفتح على التجديد والتحديث بالاجتهاد ، فرقان بين الحق والباطل والصحيح والفاسد والهدى والضلال .

الخلاصة الخاتمة

لقد نزل القرآن العظيم في بيئة غارقة في البداوة في أشياء كثيرة في حياتها وخاصة البداوة في الفكر والأخلاق والسلوك وسيطرت على أهل هذه البيئة العداوة والصراع على النفوذ وعلى أماكن الرعي ومصادر المياه وكان المجتمع يضم سادة وعبيد كما كان جمود العقل يحكم اختيارهم وكانوا أسرى للتقليد الأعمى لما ألفوا عليه آباءهم .

ولما نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وكانت النبوة والرسالة ، حوَّل القرآن العظيم كل مظاهر الضلال والفساد والظلمة إلى الهداية والصلاح والنور . نوَّر القرآن عقول البشر ونوَّر عقول الأمة وحررها من التقليد الأعمى وجعلها تقيم اختياراتها على أسس فكرية والإيمانية وأيقظ القرآن العقل وجاءت عشرات الآيات فيه تحث العقل على التفكير والقلب على الفقه والفؤاد على العلم والمعرفة

والتعلم وتوقير أهل العلم والمعرفة وتكررت في نهايات آيات القرآن العظيم (أفلا تعقلون) و (أفلا يعقلون) وغير ذل .

لقد حوَّل القرآن المجتمع القبلي على مجتمع متمدن وصنع منه حضارة الخير والعدل أفاد أصحاب التنوير الحضاري والتمدن في أزمانهم الماضية في عصورها الذهبية حيث صنع القرآن العظيم حضارة الخير والعدل والمساواة بين الناس والمؤمنين ونشر قيم الخير والصلاح والعمل الصالح والإتقان والتميز فيه والعدل والعدالة الاجتماعية والحب والتسامح والعطاء والتعاون والأمانة والصدق والإخلاص مه الدعوة إلى الحرص على «نظافة البيئة» وحمايتها من التلوث الضار بالإنسان وحياته .

إن اهتمام القرآن العظيم بالعلم وبالتعليم وبالبحث العلمي وبالعلماء يؤكد ويوضح دور التعليم والعلم في التفاعل بين الحضارات وبين الأديان وتتجاوز الكثير من سوء الفهم ونقص المعلومات الصحيحة اللذان يؤديان إلى ؟؟؟؟؟؟؟ مخاطر الصراع أو الصدام بين الحضارات أو بين الأديان وتقيم صورة مشوهة ومتحيزة وغير صحيحة من كل طرف عن الطرف الآخر بينما التواصل والتعاون والتعارف المشترك يقتضي الاحترام المتبادل والفهم الصحيح المشترك للأخر أي للغير وأن (التعارف) بين الشعوب الذي دعا إليه القرآن العظيم يساوي في حقيقته (الحوار) بين هذه الشعوب في ثقافاتها ومعتقداتها وحضاراتها المختلفة والقرآن يقول :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات:13] فالحوار المتكافئ في إطار التعارف والتعاون على أسس الأمثل لحل التوترات والنزاعات والاختلافات والخلافات وتحسين العلاقات بين الشعوب والدول والأمم .

ولذلك يجب أن ننظر كلنا نحن البشر إلى الأديان الإلهية كلها نظرة قوامها

التسليم لله والإنابة غليه والسلام معه ومع النفس ومع الآخرين ومع كل الناس وبالاعتراف بها كلها بحيادية لا تعنت فيها ولا تعصب أو تطرف أو كراهية أو عداوة أو إرهاب أو نادي أو فكري وإنما بفكر وتفكير حر وعقلاني ومستقل يستشف مضمون الرسالات الدينية الإلهية بحيادية وإيمان لا ينحرف أو يزيغ عن الحق نتيجة تعصب أو تطرف أو هوى أو جهل أو عداء متأصل ناتج عن اعتقاد موروث وخاطئ وناقص أو تخوّف غير صحيح ولا مبرر له بتاثير أحادث تاريخية مضت ولن تعود أو تتكرر في دنيانا التي ينشد أبناؤها السلام والتعايش السلمي بين الشعوب وحكوماتها نجد الإنسان والإنسانية القابلة للآخر المؤن في التزامه بالقيم الأخلاقية التي تدعو إليها كل الأديان الإلهية .

وأخيرًا وليس آخرًا أقول :

القرآن الكريم هو كلام الله – سبحانه –النهائي للبشر ، وقد أنزله وحيًا على رسول الله ﷺ فهو كتاب المسلمين ،ودستورهم الخالد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ففيه من الأحكام والشرائع ، والآداب والمعاملات ، وتفصيل الحلال والحرام ، وبيان المغيبات من الأخبار والقصص ، وبه من المواعظ وضرب الأمثال ما فيه من مزذجر ، كما أن فيه إخبار بالبعث وحججه ، وتذكير بالحساب ووصفه ، وبيان لليوم الآخر ومناقشة الناس فيه ، ما لم يُذكر في أي كتاب آخر ، أو أخبرت به شريعة أخرى ،ولذلك فإن ربنا جل وعلا يُذكرنا بهذه النعمة الكبرى فيقول عز من قائل :﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾[البقرة:231] .

ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى قد يَسّر لنا قراءته ومذاكرته وحفظه ، فإذا فاز أحدنا بميزة حفظه ، فلابد أن يتعهده بمداومة الذكر والقراءة حتى لا ينساه ، والله تعالى يقول – وهو أصدق القائلين: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾

[القمر:17] .

وقد جمع الخليفة الرابع لرسول الله ﷺ الإمام على بن أبي طالب - رضي الله عنه – كرم الله وجهه – مقاصد القرآن وأهدافه في الحديث الذي رواه الترمذي عن الحارث العور عن الإمام على كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ حيث قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله فما المخرج منا ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخير من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ،وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأفئدة ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا تمله الأتقياء ، ولا يخلق – أي يبلى – على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا :«إنا سمعنا قرآنا عجبا» من علم بعلمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به اجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم » .

وبعد ....

فإني أسأل الله وأدعوه في افتقار إليه وذل له واحتياج إلى صمديته وأملا في رحمته وفضله واستجابته وأبتهل إليه سبحانه « اللهم اجعل عملي هذا على قدره المتواضع وحسن النية فيه وسلامة القصد منه مقبولا عندك ومرضيًا عنه من جنابك ومن حضرة رسولك واجعله نورا لي يوم لقائك وثقلا في ميزان حسناتي ساعة حسابك ولا تؤاخذني فيما أكون فيه قد نسيت أو أخطأت أوقصَّرت أو جهلت .

وأدعوه سبحانه وتعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا

وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 286] .

وحسبي الله وما توفيقي إلا بالله .

الفقير إلى الله

محمد أمين جبر

(□

الفتح الأول:

توضيح مسائل فى القرآن (

(1) الشيخ حسنين محمد مخلوف من تفسيره «صفوة البيان لمعاني القرآن».

الأولى: في المكيّ والمدنيّ:

أشهر الأقوال في تعريف المَكِّيِّ والمدنيّ: أن المكيّ ما نزل قبل الهجرة في مكة أو في ضواحيها كمنى وعرفات والحُديْبية. ومنه ما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي ﷺ.

والمدنيّ: ما نزل بعد الهجرة في المدينة أو في ضواحيها: كبدْر وأُحُد وسَلْع ومنه ما نزل بمكة عام الفتح، أو عام حَجَة الوَادع، وما نزل في سَفر من الأسفار بعد الهجرة.

والمرجع في معرفة المكيّ والمنديّ إلى حفظ الصحابة والتابعين. ومعرفتُه تُعين تاريخ الناسخ والمنسوخ.

الثانية : في معنى السورة :

السورة طائفة من القرآن ، لها ابتداء وانتهاء ، وترجمة باسم خاص بها أو بعدة أسماء ، عُرف المشهور منها بالتوقيف من النبيﷺ .مأخوذة من سور المدينة لاحتوائها على فنون من العلوم، احتواء سُور المدينة على ما فيها ، أو لارتفاع رتبتها كارتفاعه .أو من السُّورة ، وهي المنزلة الرفيعة .أو من التَسَوُّر ، وهو العلو والارتفاع لارتفاعها بكونها من كلامه تعالى .

وأجمعوا على أن عدد سُوَر القرآن مائة وأربعَ عشرَ سورة . وَمَنْ عدّها مائة وثلاثة عشرة جعل الأنفال والتوبة سورة واحدة .

والحكمة في تسوير القرآن أن يكون أنشط للقارئ ،وابعث على التحصيل ، وأن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن من أن يكون بابًا واحدًا ، وفي التسوير إشارةٌ إلى أن كلّ سورة نمطٌ مستقل .

***

الثالثة : في ترتيب الآيات والسُّور وتسميتها :

ترتيب الآيات في السُّور بتوقيف منه ﷺ ، وبأمره إجماعًا .وترتيبُ السوَر توقيفيّ عند الجمهور . قال أبو بكر الأنباري :« إن جميع القرآن الذب أنزله الله تعالى ،وأمر بإثبات رسمه ،ولم ينسخه ، ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو هذا الذي بين الدَّفتين ، الذي حواه مصحف عثمان ، وأنه لم ينقص منه شيء ، ولا زيد فيه شيء ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسوله من آي السُّور ، لم يقدَّم من ذلك موخَّر ، ولا أخَّر مقدَّم . وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي السور كلها ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات ، وذات التلاوة ».

وقال البغوي : «إن الصحابة جمعوا بين الدَّفتين القرآن كما أنزله الله على

رسوله، مع غير أن زادوا فيه أو نقصوا منـه شـيئًا ، خـوف ذهـاب بعضـه بـذهاب حَفظَته ، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ ، من غير أن قدّموا شـيئًا أو أخّـروا شيئًا ، أو وضعوا ترتيبًا لم يأخذوه منه ﷺ وكان رسول الله يلقّن أصحابه ويعلّمهـم ما نزل عليه من القرآن ، على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا ؛ بتوقيف جبريـل عليه السلام إياه على ذلك . وإعلامه عند نزول كل آية ، أنّ هذه الآية تُكتـب عقـب آية كذا في سورة كذا .ومنه يعلم أن أسماء السور توقيفية .

وقال ابن الحصّار :« ترتيب السُّور ووضع الآيات مواضعها غنما كان بالوحْي ، كان رسول ﷺ يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا .وقد حصل اليقين من النقـل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ .ومما أجمـع الصـحابة عـلى وضـعه هكذا في المصحف» .

الرابعة : في المحْكَم والمتشابه :

من آيات القرآن آياتٌ محكَمات هنّ أمّ الكتاب وأصله ، وأُخَرُ متشابهات .

والمحكَم : ما عُرف المعنى المراد منه .والمتشابه : ما استأثر الله تعالى بعلمه ؛ كقيام الساعة ،والحروف المقطّعة في فواتح السُّور .

وقيل : المحكَم ما لا يحتل من التأويل بحسب وضع اللغة إلاّ وجهًا واحـدًا ، والمتشابه : ما احتمل أوجهًا عديدة واحتاج إلى النظر ؛ لحمه على الوجه المطابق .

وقيل : المحكَم ما اتضح معناه .والمتشابه بخلافـه .وهنـاك أقـوال أخـرى في تفسيرهما .وسياتي لذلك مزيد بيان أول سورة آل عمران .

وجعل الخطابي المتشابه على ضربين : أحدهما ما إذا رُدَ إلى المحكَم واعتُبر به عُرف معناه .والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته . فمن المتشابه مـا يمكـن الاطلاع على معناه ، ومنه ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

ومن المتشابه آيات الصفات ، نحو : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ ، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ .ومنه أحاديث الصفات .

ومذهب جمهور أهل السُّنة – ومنهم سفيان الثّوري وابن المبارك وابن عُيينة ووكيع ، والأئمة الأربعة – أنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن حقيقتها ؛ لاستحالة مشابهته تعالى بالحوادث ؛ قال تعالى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ .

وعن أمّ سَلَمَة –رضي الله عنها – في تفسير قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ : الكَيْف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر .

وعن مالك فيه :الكيف غير معقول ، والاستواء مجهول ، والإيمان به وجاب ، والسؤال عنه بدعة .

وعن محمد بن الحسن : اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

قال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتُها ، وإيّاها اختار أئمة الفقهاء وقادتها وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامُهم .

وقال إمام الحرمَيْن أخيرًا في الرسالة النظامية : الذي نرتضيه دينًا ، وندين به عقدًا اتباع سلف الأمة ، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها .

وممن ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام ابن القيّم ومن تبعهما ، وكثيرًا من المفسرين كالبغويّ والرازي والجلالين والآلوسي ،وصاحب فتح البيان ، وغيرهم.

وذهبت طائفة من أهل السُّنة إلى تأويل هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات بما يليق بجلاله تعالى ، مع تنزيهه عن حقيقتها ؛وهو مذهب الخَلَف .

وقال الإمام الرازي : إن الذي اختاره الأئمة المحقّقون من السلف والخلف ترك الخوض في تعيين الـاويل ، بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .

ومن المتشابه :الحروف المقطّعة في أوائل السُّور ؛ فقد افُتتحت تسع وعشرون سورة من القرآن بنصف أسماء حروف المعجم ؛ وهي : الألف واللام ،والميم والصاد ، والراء والكاف ، والهاء والياء ، والعين والطاء ، والسين والحاء ، والقاف والنون.

فالمبدوء منها بالألف واللام ثلاثة عشرة ، وبالحاء والميم سبع ، وبالطاء ، وبكل من الكاف والياء والصاد والقاف والنون واحدة ، وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي ، وص ، ق ، ن وبعضها ثنائ وهو: طه ، وطس ، ويس ، وحم ، وبعضها ثلاثي ، وهو: آلم ، وآلر ، وطسم وبعضها رباعي ، وهو آلمص ، وآلمر ، وبعضها خماسي ، وهو كهيعص ، وحم عسق . ولا تزيد على ذلك .

والمختار فيها – كما ذكره الجلال في الإتقان - :أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى . وعن أبي بكر الصديق : في كل كتاب سِرّ ، وسِرُّه في القرآن أوائل السور .

وعن ابن عباس : عجزت العلماء عن إدراكها ، وعو الشَّعبي :هي سِرّ الله فلا تطلبوه ، وممن ذهب إلى ذلك عمر وعثمان وعليّ وابن مسعود والربيع .

وخاض في معناها آخرون ؛ فقال بعضهم : إن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله تعالى ؛ والعرب تنطق بالحرف الواحد ، تدلّ به على الكلمة التي هو

منها .وقيل : هي أسماء للسوَر . قال الزَّمَخْشِري : وعليه إطباق الأكثر .

وأما الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور مع قطه النظر عن معانيها في أنفسها فقيل :إنما ذكرت في مفتتح السور بيانًا لإعجاز القرآن ، وأنه كلمات مركبة من حروف الهجاء التي تتألف منها الكلمات التي ينطقون بها ، وقد عجز الخلق عن معارضته ، فلو لم يكن وحيًا من عند الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضته ، حكاه الرازي عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكاه القرطبي عن الفراء ، ورجّحه الزمخشري ، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزِّيّ .

وقد ذكر العلماء لوقوع المتشابه في القرآن فوائد ، منها في المتشابه الذي يمكن علمه :أنه يوجب مزيد المشقة في الصول إلى المراد ،وهي توجب مزيد الثواب . ومنها :ظهور التفاضل وتفاوت درجات الخلق في معرفة القرآن إذ لو كان كله محكمًا لا يحتاج تأويل ونظر ،لاستوت منازل الخلق فيه ، ولم يظهر لا فضل العالم على غيره ،ومنها في المتشابه الذي لا يمكن علمه : ابتلاء العباد بالوقوف عنده ، والتوقف فيه ، والتفويض والتسليم ، والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة ، وإقامة الحجة عليهم ؛ لأنه لما نزل بلسانهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم ، دلّ على أنه منزّل من عند الله تعالى . انتهى .

وخلاصة القول في المتشابه فإن السلف والخلف متفقون على تنزيه الله تعالى عن مشابهة المحدثات والحوادث وعن مشابهة خلقه لكن السلف يرون التنزيه مع تعويض المعنى المراد من الآيات التي توهم التشبيه إلى الله تعالى والخلف يرون أن التنزيه يقتضي حمل الآيات التي توهم التشبيه على معنى لا تشبيه فيه ونحن لنا أن نأخذ بمذهب السلف أو بمذهب الخلف .

والملاحظ أننا نكاد نعتمد على الرموز خلال تعاملنا مع العالم الطبيعي وكائناته

كما أننا نعتمد على الرموز كثيرًا في حياتنا اليومية دون أن نشعر ، فالكلمات اللغوية عبارة عن مجموعة منسقة من الرموز الحرفية مجتمعة لكي تؤدي إلى معاني ومفاهيم ومقاصد معينة ضمن اللغة المستعملة ففي اللغة الغربية مثلا نجد الكلمة مكونة منة حروف،والكلمة تعبير تام مكتمل يفيد معنى معين متعارف عليه بين علماء اللغة أو أهل البيئة العربية التي تجد أصولها في المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية الذي نزلت في رحابه الرسالة السماوية الإسلامية الخاتمة بلسان عربي مبين على النبي الأمي العربي في المجتمع العربي في مكة ابتداء ، فالكلمة التامة هي التعبير اللغوي أو البياني عن الشيء بأسلوب حضاري مفهوم وشائع في المجتمع رغم إمكان اختلاف قراءة الكلمة الواحدة حسب اختلاف اللهجات والمصطلحات في البيئة الواحدة .

ونفس الشيء ينطبق على الرياضيات خاصة الجبرية التي تعتبر الأرقام والحروف فيها رموزًا تفيد معاني وحقائق متكاملة تدل عليها المعادلات الرياضية، كما أن الرمز يكون بالإشارة باليد لإيصال المعنى المقصود إلى الشخص المقابل ، وهو الأسلوب المتبع حاليًا .

بالنسبة للصم والبكم والمسمى طريقة «برايل» لتعليم الكتابة باللمس .

وقد أشار القرآن إلى هذا النوع من الرمز بالتعبير اليدوي حين طلب زكريا عليه السلام أن يجعل الله له آية فوجهه ربه إلى أن آيته ألا يتكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران :41] .

وقد ربط القرآن بين القرآن والمخلوقات بصفة عامة وبينها وبين الإنسان بصفة خاصة في أول سورة نزلت على النبي ﷺ وهي سورة العلق ، ووضحت الآيات الأولى من هذه السورة أن القراءة والكتابة مع فكرة مبدأ الأواسط

والأسباب هم أساس كل ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان من معرفة ، كما أشارت بدايات سورة الرحمن إلى مبدأ القراءة باعتباره نعمة من نعم الله على الإنسان ورحمته به : ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ وإلى أن الإنسان تعلم البيان أي النطق المستعمل في اللغة – الكلمات أو الأسماء – ليتبين عن طريق القراءة والكتابة والإشارة جميع معرفة حقائق الأشياء مع ملاحظة أن القراءة تعني المعنى الواسع الذي يشمل التفكير والتأمل والنظر والاستدلال والاستقراء والاستنتاج والافتراض والبحث والدراسة والتحليل إلى غير ذلك من وسائل اكتساب الإنسان للمعرفة بالبيئة المحيطة به والبعيدة عنه .

وبذلك تكون الحقائق الثابتة التي يتوصل إليها الإنسان بنشاطه العقلي أو بصيرته الروحية ، تكون لهذه الحقائق رموزًا دالة عليها لأن هناك فارق بين الشيء ذاته وبين ما يتسمى به أو يشار إليه به ، وأبسط مثال لذلك هو الذات الإلهي تبارك وتعالى ، فنحن نقول (الله) مستعملين لفظ الجلالة باعتباره رمزًا علميًا دالاً على ذات الإله المعبود في الأديان المسمى بأسمائه الحسنى ، بمعنى أن لفظ الجلالة ليس هو الذات الإلهي سبحانه وتعالى الذي يظل ليس كمثله شيء في كل شيء سبوح قدوس .

ونفس الشيء ينطبق على أي كائن وما يشار إليه به من اسم أو وصف ، ومفهومي والله أعلم بالنسبة لتعليم الله آدم الأسماء كلها ليس معناها أن آدم عرف أسماء كل المخلوقات والكائنات التي توجد في العالم أو الكون لأن ذلك يستحيل على أي إنسان حتى إذا اقتصر الأمر على ما يوجد في الأرض والجو والبحر من كائنات ومخلوقات وهي تزيد عن البلايين ولا يمكن لآدم أو لغيره أن يحيط بها في فترة حياته القصيرة نسبيًا ، وبذلك يكون المقصود من تعلم آدم الأسماء كلها هو تمييز الله له وإعطائه القدرة على تسمية الأشياء بمسمياتها أو الإشارة إليها وتحيها بالبيان بالكلمة وهي أولى مراحل اللغة أو الرمز الدال على الحقيقة الكائنة

كأسلوب من أساليب التعبير عن المراد أو عن الأشياء في البيئة الخارجية أو البيئة الداخلية التي تتصل بالإنسان ذاته في تكوينه وخصائصه وقدراته .

والحروف التي وردت في أوائل السور القرآنية هي حروف من جنس الحروف العربية التي تتكون منها كلمات القرآن التامات وبالتالي آيات وسور هذا القرآن العربي .

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن هذه الحروف هي كلمات تامات ،ومن راح العديد من علماء المسلمين يجهدون أفكارهم وما تكشف عنه بصائرهم أحيانًا في فك أسرار هذه الرموز وتحديد الكلمات التي تشير إليها ، فنجد مثلا من قال : (الم) تعني يا محمد : أنت لذاتي مظهر ، و (المص) تعني يا محمد : أنت لذاتي مظهر صفاتي و (طسم) تعني يا محمد : طويت سر مكانتك ، و (حم) حفظت مكانتك و (طس) يا محمد :طويت سرك ، وهكذا [1]... وأن طه ويس هي أسماء للنبي ﷺ ، ومن العلماء من اجتهد بتفاسير أخرى غير ذلك .

وذهب عدد من أجلة المفسرين إلى أن هذه الحروف التي يتكون منها القرآن العربي ،وأن القرآن بآياته وسوره يتكون من حروف الهجاء العربية هذه التي تتألف منها الكلمات التي ينطق بها العرب ومع ذلك يعجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله مما يدل على أنه وحي من عند الله تعالى .

وكل هذه المفاهيم جائزة ولكن غيرها يجوز أيضًا ، فالكون مليء بأمور غيبية كثيرة لا يزال العقل البشري عاجزًا عن الوصول إلى حقيقتها رغم التقدم الهائل في علوم الكون.

وعلى سبيل المثال فإن الحد المعاصر للعلوم الفيزيائية لا يزال عاجزًا –ربما

(1) ذهب إلى ذلك المرحوم الشيخ أحمد سعد العقاد وأستاذه الإمام محمد ماضي أبو العزائم .

لطبيعة ذاتها – عن الوصول إلى حقائق المغيبات التي لا تخضع لمجال أو مقياس الحس البشري بطبيعته والتي مع ذلك تطغى عليها العلوم الرياضية أضواء أكثر وضوحًا في البيان فالرياضيات تعتبر أعلى درجات العلوم على التغلغل النظري إلى حقائق وأبعاد تعلو عن الحقائق والأبعاد التي يعالجها علم الفيزياء وعلم الفلك الفيزيائي والرياضيات عبارة عن رموز ، وذلك يعني أن الرمز أو الرموز هي أقدر الوسائل على التعبير عن الحق ، وفي اعتقادنا أن هذا هو أنسب تفسير يوضح الحروف المتقطعة التي وردت في مطالع العديد من السور القرآنية ، باعتبار أن هذه الحروف رموز للحق الذي جاء في الكتاب بالكلمة التامة المكتملة .

ولما كانت هذه الحروف أو الرموز كلمات تامة مكتملة كما ورد في السنة الصحيحة فإن معنى ذلك أن الحق المكتمل بالكلمة هو الحق المكتمل بالرمز وهو الحرف القرآني كلاهما يعبر عن الحقيقة بالرمز التجريدي سواء بالحرف اللغوي أو بالمعادلة الرياضية والتعامل مع الحق في الوجود يكون في أعلى صورة بالرمز الرياضي وعن طريق هذا الرمز يكون الإدراك في أعلى مستوى ممكن للحق في الوجود ولكنه في نفس الوقت يعتبر عجزًا عن الإدراك لأنه إدراك قائم على النظر المجرد ، والافتراض التجريدي لا يصل إلى كنه أو ذات الحق مرئيًا أو مشهودًا ، نفس الأمر بالنسبة للحق الخالق تبارك وتعالى ، فالتعامل معه يكون في أعلى صورة بالرمز البياني اللغوي ، وبهذا الرمز البياني اللغوي – والذي اختير له الحرف العربي – وكما نفهم من لفظ الجلالة ذاته (الله) الذي هو عبارة عن اسم علم أي رمز على الذات ؛ الأمر الذي يكون معه الإدراك للأسماء بالتجريد دون معرفة لكنه الذات ، ويتحقق بذلك ما قلناه في غير هذا الموضع نقلاً عن بعض الصوفية :« من أن العجز عن الإدراك هو في الحقيقة قمة الإدراك ».

وتعتبر الأرقام والأعداد هي الأخرى رموز لحقائق تتصل بها هذه الأرقام والأعداد ..وقديمًا وعند اليهود على وجه خاص ، كما عند المسيحيين في زمن

طغيان الحكم الروماني وبطشه بهم ، كانت الأعداد تستخدم كرموز للدلالة على كلمات وكانت طريقة الكلام الرمزي بالأرقام والأعداد أسلوبًا متبعًا في ذلك الوقت تحمي به الأقليات اليهودية والمسيحية من بطش الرومان.

الخامسة : في أقسام القرآن (1) .

أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين ، وجاء فيه في مجادلة المنكرين ومراغمة الجاحدين ، وفي تقرير الحقائق ، والكشف عن الدقائق ،وبيان عظيم قدرته تعالى ، وبديع صنعته ، وبالغ حكمته وعظمة ملكه ، وسننه في خلقه – بالحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة ، يصرّف الآيات للناس لعلهم يفقهون ، ويضرب لهم المثال لعلهم يتذكرون ، ويؤكد لهم الأخبار بمختلف الأقسام على أسلوب فصحاء العرب في مخاطباتهم ومحاورتهم ؛ فقد كانوا إذا أرادوا توكيد الأمر وتحقيقه ، أقسموا عليه بالعظيم الخطير الشأن ، أو الكثير النفع ، أو الظاهر الفضل .

وتوكيد الكلام بالقَسم إذا اقتضاه الحال أسلوبٌ بليغ رصين . ولله تعالى أن يُقسم بما شاء . فأقسم تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع ، لتقرير وجوب الإيمان ، والطاعة له .وأقسم بأفعاله العجيبة ومصنوعاته البديعة ، فقال : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾. وقال :﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ .والقَسَمُ بها في معنى القَسم به تعالى ؛ إذ هو صانعها ومبدعها .

قال ابن القيم : إنه يُقسم في القرآن بأمور على أمور ؛ فيقسم بذاته الموصوفة بصفاته ، وبآياته المستلزمة لإثبات ذاته وصفاته ، ويُقسم ببعض مخلوقاته ؛

(1) المرجع السابق للشيخ حسنين محمد مخلوف .

للدلالة على أنها من عظيم آياته .

وقد يأتي في القرآن بالقَسَم الظاهر كقوله تعالى : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ، ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ .وقد يأتي بنحو قوله :﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ ، وبنحو قوله : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ .

وقد أقسم تعالى على التوحيد ، وعلى أن القرآن حق ، وعلى أن الرسول حق ، وعلى الوعد والوعيد ، والجزاء ، وعلى حال الإنسان وطبيعته ، وكثيرًا ما يُذكر جواب القسم ، وقد يحذف للعلم به ، أو لوجود ما يدلّ عليه .

وبالتأمل في كل قَسم من أقسام القرآن تظهر المناسبة الدقيقة بينه وبين المُقسم عليه ، وهو نوع بديع من وجه بلاغة القرآن .

السادسة : في الاستعاذة .

لما كانت الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تطهّر القلب ، وتطرد عنه الوساوس والهواجس ، وخواطر السوء ، كان السُّنة الاستعاذة عند إرادة القراءة خارج الصلاة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. فيقول القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ على ما اختاره أحمد ، رضي الله عنهم . أي ألتجيء إلى الله تعالى ، وأستجير به ، وأتحصّن مما أخشاه من الشيطان الطريد من رحمته تعالى يقال :عُذْتُ بفلان ،واستعذت به ، أي التجأت إليه وتعلّقت به ، ومنه : أعيذك بالله أن تفعل كذا ومعاذَ الله ، وعِياذَ الله .

السابعة : في البسملة.

ذهب كثير من القراء والأئمة إلى أن البسملة و ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السوَر ، وإنما هي آيةٌ واحدة من القرآن ، أنزلت للفصل بين السّور والتبرك بها في الابتداء ، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك وذهب آخرون إلى أنها آيةٌ من

الفاتحة ، ومن كل سورة غير براءة .وإليه ذهب الشافعي ، وأحمد في إحدى الروايتين عنه .وهذا كله في غير بسملة النمل [آية 30] فإنها جزء آية باتفاق .

الثامنة : في التأمين .

يُندب للقارئ بعد الفراغ من الفاتحة أن يقول «آمين» مفصولةً عنها بسكتة خفيفة ، ومعناها : استجب يا الله ، أو افعل . وليست من القرآن باتفاق ؛ ولذا اجمعوا على دعم كتابتها في المصاحف.

ثم في الفهم والتأمل :

روى ابن حبان عن ابن مسعود أن رسول الله قال ك « إن للقرآن ظاهرًا وباطنًا وحدًا ومطلقًا » وليس الباطن هو الذي يقول به بعض غلاة الشيعة والباطنية أو أنه الذي اختص به أوصياء النبي ﷺ .وقد أشار الصحابي أبو الدرداء على أنه :« لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهًا » كما كان حجة الإسلام الإمام الغزالي يقول إن المعنى الباطن في آيات القرآن هو تحدي الرقائق التي تكون في ؟؟؟؟؟؟ ألفاظ القرآن .الأسرار التي لا يدركها إلا العلماء الراسخون في العلوم المختلفة كل بمقدار طاقة علمه بعد فهم ظاهر اللفظ وما فيه من مجاز وحذف وإضمار وعموم وخصوص وإطلاق وتقييد . وكان رضي الله عنه يقول كذلك : « إن الاستيفاء لا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والشجار أقلامًا فأسرار كلمات الله عز وجل لا نهاية لها فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير إن كان ظاهر التفسير لا يُغني » وطبعًا الناس يتفاوتون في الفهم كما ذهب إلى ذلك على بن أبي طالب كرَّم الله وجهه والذي روى عنه قوله : «ليس كل ما يعرف يقال ولا كل ما يقال جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه ظهر أهله ».

وكما يقول الدكتور عبد المعطي محمد بيومي عميد كلية أصول الدين الأسبق بجامعة الأزهر :« منذ نزل القرآن الكريم كان كل عصر يرى فيه رؤية جديدة تعينه

على فهم الآيات بما يحصله من ثقافة استقاها من آفاق العلم والمعرفة السائدة .وكل إنسان يقرأ القرآن يفهم منه بقدر ما وهبه الله من قدرة على الفهم وبما أسبغه عليه من علوم وثقافة وبما اتسع به أفقه من دراية بالحياة وشؤونها هذا وإن الاجتهاد في فهم النص هو غير النص فلئن تبين خطأ الاجتهاد فلا ضرر ولا ضرار لأن النص باق على اعتباره والإيمان به ولا يختلف التفسير العلمي في ذلك عما سواه من التفسيرات » . انتهى .

وتقول الدكتور عائشة عبد الرحمن [1] (بنت الشاطئ): « تتابع الأجيال ، كل جيل خلق لزمان غير زمان سالفه وخلقه ، وعطاء القرآن غير محظور ولا مقطوع ، وتظل قيمه ومثله العليا مطمح الإنسانية على تفاوت الأجيال ومرَّ الزمان ، تعرج غليها على مراقي تطورها وطموحها .. والمر يختلف تمامًا إذا اختلط فهم القرآن بتفسيره فيتصور البعض أن إباحة فهمه لكل الناس تعني إباحة تفسيره دون قيد أو شرط ، لأن التفسير يقدم للناس فهم المفسر للنص القرآني . وغير متصور أن يتصدى لتفسير أي نص من لا دراية له بأسرار لغته وفقه سياقه ودلالاته .. فالنصوص يفهمها من شاء كيف شاء لكن تفسيرها للناس والفتيا بها مقصور على ذوي الفقه بها والاختصاص وهؤلاء أنفسهم يتفاوتون بقدر درايتهم بأسرار النص .. ومحاولة فهم القرآن لا يمكن أن تتعرض لإنكار أولا رفض إذا كانت من قبيل التماس عطائه المباح لخلق الله على أن تبقى في نطاقها الخاص المحدود فلا تتخذ ذريعة إلى انتحال تفسيره للناس ، والجرأة عليه ، بغير ضابط ولا قيد .. » انتهى .

وأقول إن الفهم للآيات القرآنية وبيان مقاصدها ومعانيها ومراميها يجب أن يكون هدفه تجلية هدايات القرآن وتعاليمه وأوجه إعجازه في مجالاته المختلفة خاصة إعجازه العلمي الذي تحتاج إليه ويحتاج إليه الناس ، كل الناس ، في

(1) أستاذ الدراسات القرآنية بكلية الشريعة ودار الحديث بجامعة القروين بالمغرب الشقيق في كتابها «القرآن وقضايا العصر» الناشر دار العلم للملايين بيروت – لبنان .

عصرنا عصر العلم الذي تقدمت فيه البشرية في العلوم وفنونها وتطبيقاتها .

وكما يقول الأستاذ الدكتور عبد الله شحاته في «تفسير القرآن الكريم» :«إن المنهج الإلهي ليس عدوًا لإبداع الإنساني إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحية وذلك كي ينهض الإنسان بمقام في الأرض .هذا المقام الذي منحه الله له وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه ، ونسقَّ بين تكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع ، على أن يكون هذا الكون لملك الحياة والعمل والإبداع ، على أن يكون الإبداع نفسه عبادة لله ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام » انتهى .

وكما يقول الشيخ محمد الصادق عرجون في كتابه «القرآن العظيم » : «فإن الجانب الكوني في آيات القرآن الحكيم ، وهو جانب مهم جدًا لأنه عماد الدلائل الإلهية على وجود الله تعالى وتوحيده وباهر قدرته وواسع علمه ولطيف حكمته وسائر ما يجب له تعالى من الكمال في حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيه للتفسير والبيان بأسلوب علمي يبرز عن طريقة ملاحظة الظواهر الكونية حجة الله على خلقه ويكشف عما في الآيات من أسرار فاطر الله بها كثيرًا من منافعنا ومصالحنا في الدين والدنيا ، وقد أشار إليها القرآن في آياته ودلائله وبدأ العلم يكشف عنها الحجب ولكن على شرط أن تحذر فلا تخضع القرآن لنظريات لا تزال في مهب التجارب وقد تعصف بها فتصبح من قبيل الأساطير فتقول إنها تفسير لآيات القرآن كما صنع بعض المتحمسين وبعض المخدوعين ببريق العلم التجريبي . والقرآن أنما تفسره الحقائق والبراهين التي يحققها البحث العلمي المستند إلى الأصول الإسلامية وقضايا العقل المستقيم – والنظر في تفسير الآيات الكونية يجب أن يقتصر أولاً على تبين هداية القرآن تبينًا علميًا لا على أساس أن نجعل النظريات العلمية هي تفسير الآيات القرآنية ومعانيها التي قصدها القرآن الكريم

لا ولكن على أساس أن القرآن الكريم هو يصادم علما ثبت بالبرهان القطعي ثبوتًا لا يحتمل الارتياب وهذا يتطلب بإلحاح من العلماء المسلمين أن يتسلحوا بالعلم والمعرفة بأوسع معانيها بقدر ما تتسع له الطاقة البشرية ..» انتهى .

إن الكون بكل ما فيه من موجودات وكائنات وأشياء عبارة عن (معلومات) مختزنة فيه أو طليقة منه وهي ليست إلا تعبيرًا عن (المعلوم) الله (العليم) في علمه الأزلي الأبدي الذي يتصف به في أوليته وآخريته وهو الأول الذي لا بداية له والآخر الذي لا نهاية له وقد وسع كل شيء علما ولا يحيط أحد بشيء من علمه فيما تكشفه هذا الحد إلا بما يشاء الله نفسه كما يقول في القرآن العظيم :﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي من العلم أو من وسائل تحصيله . إن الكون وكل شيء موجود هو تعبير المخلوق الموجود بكل صفاته وخاوصه وخصائصه وحقائقه وطبيعته وفطرته ومعلوماته المختزنة فيه ، تعبير مطابق تمامًا لأصل المعلوم لله في علمه المحيط بكل شيء والذي وسع كل شيء علمات وخلق وأوجد كل شيء وفق علمه بإرادته وأمره بسر الكلمة (الكنتيه) (كن) التي توجد كل شيء (يكون) كما يقول القرآن العظيم : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[يس:82– 83] .

ولما كان القرآن العظيم أنزله الله بعلمه أي متضمنًا علمه سبحانه فإن القرآن في معلومات آياته يحيط بكل شيء في الكون إحاطة شاملة وكاملة ومحيطة لأن الله سبحانه وتعالى هو المصدر الموجود للكون (الكتاب المنظور) وللقرآن العظيم (الكتاب المسطور) وهو معنى الآية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام:38] والإتيان متطابقان ومتضمنان لعلمه وكائنات وفق علمه وكمال قدرته قديمًا (القرآن) ومحدثُات (الكون) . ﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:166] . وعلمه سبحانه الكلي الشامل والمحيط بكل شيء لا اختلاف أو خلاف بينهما . ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا

نَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:61] .

إن القرآن العظيم يبين ويوضح لنا في آيات فيه لأن سر الوجود الكوني المخلوق وكل وجميع المخلوقات فيه هو(المعرفة) بخالق الوجود الأحد (الله) الاسم العلم الدال على الذات المعبود الجامع للأسماء الحسنى كلها والصفات العلى كلها التي تجمعها في وحدتها اسم الله الرب ، رب العالمين ، المعبود وحده دون غيره وبلا شريك الذي خلق كل شيء موجود في الوحود كما يقول القرآآن العظيم وخلق الإنسان وسواه وعدله ونفخ فيه من روحه وميزه (خلقا آخر) كما يقول أيضًا القرآن العظيم متمتعًا بالعقل النابع من نفخه الروح والذي تميز به آدم الجنة الخليفة في الأرض الذي خاطب الله سبحانه وتعالى بشأنه الملائكة النورانيين الإنسان الفريد المتميز المستقل في نوعه عن كل مخلوق غيره بروحه وبعقله الذي كان به حاملا للأمانة أي التكليف الذي يحاسب من خلاله على سعيه في الحياة الدنيا إن خيرًا فخيرًا (الجنة) وإن شرًا فشرًا (النار) في يوم أنه لا ريب فيه تقوم فيه ساعة الحساب وتكون فيه القارعة للناس فمن ثقلت موازينه فأمه هاوية وهي نار حامية . إن العقل هو أساس التكليف والعمل هو أساس الحساب والإيمان هو أساس الفوز والتوحيد هو أساس المغفرة والرضا من الله ونوال رحمته وبه النجاة وحقيقة لا إله إلا الله والنجاة فيه محمد رسول الله . وكما ذكرنا في البداية فإن المعرفة هي جوهر العبادة ، والعلم هو سر السعادة والعلماء فيما يعلمون درجات ومستويات أو كذلك في تقدير العليم الخبير ومقامات العلماء عنده سبحانه :﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[المجادلة:11] وعنده سبحانه وتعالى لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، لن العلم مقياس الأقدار للناس ومقاماتهم في مستوياتهم من الرفعة والتقدم والتمدن

والتحضر .. وهو سبحانه وتعالى عليم بكل شيء وفوق كل ذي علم عليم ..

وفي الوصف المحيط بما وفيما أقول والصحيح لما أقول كان أول آيات التنزيل في القرآن العظيم الموحي به إلى النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه شاملة وبعده عن حقائق الإلوهية وقدراتها في الخلق وخاصة خلق الإنسان وما علّمه ووسائط تعليمه لما لا يعلم كما جاء في أول التنزيل في سورة العلق :﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:1 – 5] .

وربما لا أكون متجاوزا للحق إذا قلت أن التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن العظيم فيما ثبت من قوانين العلم ويقينه ، يلقي أضواء جديدة على عظمة هذا القرآن وجوانب من إعجازه يمكننا أن نلاحظ التطابق التام بين كلام الله المقروء (القرآن الكريم) القديم وبين كلمات الله المنظورة (الكون العظيم) المخلوق .

فالقرآن العظيم وإن لم يكن كما سبق وذكرنا كتابًا للنظريات العلمية المفصلة إلا أنه يجمع الحق والحقائق في الشكلين المعروفين للإنسان : البياني والخلقي . كما يكونان في كتاب الله أي الكون الطبيعي والقرآن العظيم وكلاهما كتاب الله ، وهذه الوحدة للحق والحقائق هي من أخص خصائص القرآن الإعجازية : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:53] . فالراسخون في العلم يؤمنون بالله وبالقرآن العظيم لأن الحق قد تبين لهم في وحدته الكاملة الشاملة في كلام الله (القرآن) وخلق الله (كلماته) في الوجود الكوني كلاهما كتاب الله ينطق بالحق . ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:7] وكلاهما مصدرها واحد هو الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد . ﴿ بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل

عمران:7] . والخلاصة في فهمنا أن هناك فرق بين كلام الله (القرآن) وبين كلمات الله بمعنى 0المخلوقات) وبين السورة التي ذكرناها – سورة العلق – يمكن أن نستشف منها هذا الفرق ، فالإنسان مطالب بالقراءة (النظر والتدبر) في القرآن العظيم (كلام الله) وفي الخلق الكوني (كلمات الله) وكلاهما (كتاب) مسطور أو منظور وكلاهما آياته لا تنفذ وهي دالة على أحديته وقدرته وطاقته وعظمته وحكمته سبحانه بهذا إلخ سواء في الإنسان أو في نفس الإنسان يجمع الحق والحقائق فيها القرآن العظيم كلام الله الخاتم الموحي به إلى خاتم أنبيائه ورسله لمحمد ﷺ . فالكلمة – وجمعها كلمات- تكون بالأمر الإلهي المعبر عن الإرادة الإلهية وينتج عنها عمل أو صنعة أو خلق يتحقق في الوجود يقدره صاحب الكلمة والأسلوب الذي يريده ويحدده بسر معنى :﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس 82- 83] . أي بالفورية أو بالتطور الموجه منه .

وكما يقول لنا القرآن العظيم آيات التنزيل الأولى في سورة العلق – والتي ذكرناها فيما سبق – فإن القراءة وبمعنى النظر والتأمل والبحث والمعرفة والعلم والتدبر والاتعاظ والادكار تكون في حقيقة الأمر موصولة بالله رب العالمين وخشيته وتقواه وهو الخالق البارئ والصانع المصور : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق:1]. وهي القراءة الصحيحة والمطلوبة التي تحوي الإيمان والإحسان واليقين بمقاماته ومستوياته من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين في إسلام لله وتسليم لجنابه قوامه التوحيد في لا إله إلا الله وتمامه في محمد رسول الله . والقراءة التي تكون فيها الرؤية والشهود والنظر يجب أن تكون غير محدودة وغير مقيدة وغير محيزة وبغير قيود بل وفوق الإطلاق والتقييد والنسبية أو داخل الإبعاد والقيود وإنما في إطار الوصف القرآني . ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾

[الشورى:11] .أي في كل شيء بالتنزيه اللائق وتقديس الجناب الإلهي المقدس عما لا يليق في حقه وبما يليق في حقه من تنزيه وكمال في أحديته وواحديته ووحدانيته الذين ينتفي معها الشرك والشريك من مفهوم :﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ومفهوم :﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ وكما في سورة الإخلاص كاملة في القرآن العظيم ، وكما في لوازم التقديس وحقائق وأسرار ومعاني الاسم الحق (القدوس) وهو المنزه عن كل وصف يدركه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يحتاج به ضميرًا أو يفض به تفكير أو يتمثله مثل أو يشبهه بالمحدثات تفكيرًا وفكر من ولأن أحدا لا يحيط به علما كما يقول القرآن العظيم .﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه 110] .وذلك في كمال وكمال ما يقوله القرآن العظيم .﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[السجدة:7] . ﴿ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:2] وكمال . ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك:3– 4] وهذه قراءة لإنسان في عبادته لربه بالذكر والفكر والتدبر والادكار والحضور والتسبيح والخضوع والتسليم والافتقار كما في عبادة الصلاة والسجود فيهما الذي يكون فيه الإنسان العبد أقرب ما يكون من ربه .

كما حدثنا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه وهو في مقامه العالي الرفيع في الدنيا والمحمود في الآخرة والذي تناول قدرة القرآن العظيم في كثير من آيات في سوره.

إن العوالم العاقلة أو الزكية كثيرة في الوجود الكوني كما يخبرنا القرآن العظيم ومنها الملائكة والروح القدس والجن والحيوانات والإنسان وهي تتفاوت في قدراتها العقلية وعندما علَّم رب العزة الإنسان العاقل آدم الأسماء كلها فإنه سواه ونفخ فيه من روحه ليكون جامعًا في هيكله ظاهرًا وباطنًا لكثير من الطاقات في طبيعته وفطرته وفي قدراته الجسدية والعقلية والروحية . أما سر الكلمة فهو سر

الخلق أي سر المخلوقات كلها في الوجود الكوني الذي يتكون في حقيقته من مادة وطاقة يعكسان وجهًا واحدًا للكون أي يعتبران جانبان لوجه واحد وليس وجهان حيث أن المادة تعتبر طاقة مخزونة . هذا وإن عملية الخلق والإيجاد والصنع والتصوير الإلهي مستمرة بقدرته سبحانه وتعالى كما يقول القرآن العظيم في سورتي الكهف ولقمان :﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف:109] و ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:27] فكلمات الرب أو كلمات الله يصح أن تفهم أنها المخلوقات الخاضعة للربوبية وللألوهية وهي عند كلام الله الذي هو صفة من صفاته تعكس علمه القديم الأزلي الأبدي الذاتي اللانهائي الذي يشمل وتنطوي تحته كافة المخلوقات التي هي كلمات الرب أو كلمات الله ، وآخر كلامه سبحانه هو القرآن العظيم الموحى به إلى آخر وخاتم انبيائه ورسله محمد ﷺ كلام الله القديم الذي لا يتجدد في ذاته وإنما يمكن أن يتجدد في فهم معانيه ودلالات آياته بمعرفة الراسخين في العلوم الذين يشاهدون تطابق معاني آيات القرآن وآيات الخلق في الكون وفي النفس حتى يتبين لهم الحق فيهما واضحًا جليًا وكما ذكرنا سابقًا: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53] إن الذي يتدبر آيات القرآن العظيم يجد في الكثير من المواضع الصلة واضحة بين الله سبحانه وتعالى وبين مخلوقاته وهل الصلة التي تتضح في العلاقة بين أسماء الله الحسنى وصفاته العَلى وبين المخلوقات كلها حيث إن الله سبحانه وتعالى الذي له الأسماء الحسنى هو خالق كل شيء وواضح النظام والقانون والسنة السلوكيات كل شيء أو كما يقول : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان:2] وذلك من خلال ما نفرق أو قد نعرف مستقبلا من صحيح سلوك المادة . والطاقة والكائنات الحية والخواص الدقيقة لكل منهم .أما الإنسان فقد حدثنا القرآن العظيم في الآية

الخامسة والثلاثين من سورة النور عن مثل نور الله ، نـور السـموات والأرض ، في مخ وعقل وقلب الإنسان . في المشكاة والمصباح والزجاجـة والشـجرة الموقـدة يضيف بـذلك ؟؟؟؟؟؟؟ الإدراك والـوعي العقـلي والكـلي لـدى الإنسـان حيـث المشكاة هي الجمجمة والزجاجة هي المخ والمصباح هو العقـل والشـجرة هـي الطاقة الكهرومغناطيسية .. والله أعلى وأعلـم : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35] .

الفتح الثاني:

القرآن الكريم

هو المرشد الحقيقي الذي حفظه الله لنا وحفظه بيننا .هو إمامنا وموجهنا وهادينا ودليلنا إلى النهضة الشاملة والتقدم المدني والحضاري والسمو الأخلاقي والتعاون الأخوي والتعامل عن محبة والتكافل عن إيثار . القرآن يحتوي على الحقيقة المطلقة باللغة العربية التي تنسق بين الشريعة وقوانينها وبين الكون الطبيعي وقوانينه : والعالم الروحي وقوانينه لأن الله واحد في الكلمة المحدثة الصادرة عنه في الكون الطبيعي والعالم الروحي والكلمة القديمة له وهي القرآن الكريم .

القرين كتاب هداية وإرشاد ، وبيان وتوجيه ، وهو دعوة وحجة يحتوي على حقائق كاملة شاملى تحكم علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى ، وعلاقته بالكون والطبيعة ، وعلاقته بأخيه الإنسان (الفرد – الأسرة – المجتمع – الدولة – الأمة – تجمعات الشعوب والأمم) . إنه منهاج يقيم حياة الإنسان في الأرض وفق أسسه في العقيدة وفي العبادة وفي الأخلاق وفي المعاملات الفردية والاجتماعية والدولية، إنه اعتقاد عن علم وشريعة للعمل ،وهو يدعو الإنسان – الخليفة في الأرض – ليبني صرحًا من المعرفة دائم الترقي يستند إلى العقل والإيمان ، ولذلك فهو حجة ودعوة ترتبط به وفيه الدنيا بالآخرة ..الدنيا هي دار العلم والكد والابتلاء ، والآخرة عنده هي دار الجزاء والثواب أو العقاب ... والحياة في الدنيا إلى فناء والحياة في الآخرة إلى خلود وبقاء . والإنسان يبحث دائمًا عن الحق سيجده كالملاً متكاملاً في القرآن وهو كتاب . كما أنه سيفسر حقائق القرآن من خلال الكون أو الطبيعة وظواهرها والنفس الإنسانية وأسرارها حتى يدرك تطابق الحقائق في القرآن الكريم غير المخلوق المُنزل بالوحي مع الطبيعة المخلوقة وأسرار فسيولوجيا الإنسان وقدراته العقلية والروحية .

ومن هنا يكون النتاج الفكري للإنسان ، تابعًا بالضرورة للحق الكامل المكتمل في القرآن الكريم ، وهو جامع للكلمات التامات بحيث يكون هذا النتاج الفكري بكل مناحيه ، عاملاً مفسرًا للحقائق القرآنية ، وليس حاكمًا عليها ؛ لأن النتاج الفكري دائم التغيير ، حتى ولو كان في زيادة وترقي ، والمجهول يبدو أكثر اتساعًا كلما ازداد الفكر الإنساني في علومه ولعل هذا هو المعنى الذي قصد إليه القرآن في تقريره :﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف :76] ؛ لأن اتساع مناحي العلم تجلب معها اتساعًا أيضًا في المجال غير المعلوم .

ولهذا السبب سيظل الذكر المنزل محفوظًا من أن تشوبه شائبة قصور أو اختلاف ؛ لأن الحق واحد في الكلمة الصادرة عنه المخلوقة والمكتوبة على

السواء، والقرآن بالحق ومن الحق نـزل ، وبـذلك تـزداد عظمتـه بالنسـبة للرؤيـة بازدياد النتاج الفكري الإنساني في مجالاته المختلفة ووسائله المختلفة .

أن المعرفة الإنسانية في مستواها الحالي ، ليست وليدة لحظتها ، وإنما هي نتاج حلقات متصلة من التطور المستمر ، تُكون كلها بوصل أجزائهـا . الصـرح الـذي نعاصره ،فالحركة قانون من القوانين التي تحكم الطبيعة وتحكم الإنسان في فكـره وسلوكه ولما كان التغيير المستمر هو من سمات الإنسان الأساسية ، فإنه ينتج عن ذلك بالضرورة تعدد واختلاف وتغيير في النظريات العلمية التي يضعها الإنسان في إطار اجتهاده الفكري المستمر والمتغير نتيجة تـراكم واتسـاع المعرفـة ، ومـا قـد يشوب هذه النظريات من تعديل أو تغيير أو خطأ .

ومن هنا ندرك كيـف يتحقـق الأمـن والسـلام عنـدما يسـلك الإنسـان سـبيل المعرفة العقلية وتطبيقاتها التكنولوجية في إطار أخلاقيات الدين وقيمـة توجيهاتـه الإيمانية للخير أو يسلك سبيل المعرفة الوجدانيـة الذوقيـة بالاجتهـاد في العبـادة والذكر والتسبيح فإن هذا السلوك يحقق ميزتين :

الأولى : ضمان ارتباط الإنسان بالقيم الأخلاقية عند تطبيقه للقوانين التشريعية المحددة وللأفكار والمبادئ والقواعد العامة التي توجه الإنسان في حياته الفرديـة والاجتماعية في مجتمعاته .

الثانية : ضمان أمـن وسـلام الإنسـان في مسـتقبله في حياتـه الفرديـة وصـلاته الاجتماعيـة في الأرض ؛ لأن أسـس هـذه الحيـاة والصـلات سـتكون انعكاسًـا للأصول النظرية العامة لأصول الكتب الإلهية كلها ولتوجيهات القرآن آخرهـا في ظل إيمان وتدين تتصل بهما مثل وقيم وأخلاقيـات بعيـدًا عـن تـأثيرات الأهـواء والنظريات الجامدة أو المتغيرة والمصالح الضيقة الضارة بالغير .

إن القرآن يقيم ويوجه حضارة الإنسان على أسـاس الـربط والابتكـار والتقـدم

وترقي ونمو واتساع نتاج الفكر الإنساني وبين توجيهات المثل والقيم الأخلاقيات النابعة من الدين والإيمان ، بما يمكن من قيام مجتمع هو خير المجتمعات في الأرض تعيش فيه أمة هي خير أمة أخرجت للناس .ولذلك كان من الضروري أن يوجه الدين الإنسان في الأرض في وجوده الاجتماعي والمتخذ شكل علاقات بسائر مجتمعات البشر فضلا عن البيئة المحيطة فذلك وحده هو الذي يحقق سلامة وسلام المسيرة المعرفية والعلمية وتطبيقاتهما التكنولوجية وسلامة وسلام البناء الاجتماعي العاكس لهذه المسيرة ومستواها في الجيل المعين ، ويخطو بالفكر الإنساني خطوات كبيرة نحو اكتشافات جديدة للوجود واستغلالها الاستغلال المثل لصالح الإنسانية جمعاء ويسلك نفس الخطوات في فروع المعرفة المتصلة بنظام الحياة في كل مجالاته في كل المجتمعات .

وبغير هذا فإن السلوك الإنساني في الأرض نتيجة تقدمه العلمي والتكنولوجي سوف لا يخضع لقيم الدين والإيمان ومثلها وأخلاقياتها وإنما سيخضع لما يضعه البشر للبشر من قيم مادية نتيجة عوامل مادية بحتة ومصالح ضيقة أو موقوتة ، فالإنسان ليس مجرد عنصر من عناصر الإنتاج شأنه شأن الأرض أو الآلة ، كما أنه ليس مجرد وسيلة للتنمية ، لكنه غاية التنمية وعدم تأهيله وتعليمه وإعداده يمثل خسارة في الإنتاج والنمو الاقتصادي من جهة وخسارة في عملية بناء الإنسان والعلاقات الإنسانية في المجتمع من جهة أخرى وبناء الدولة الحديثة .

والقرآن في الحقيقة طاقة أو نور أرواح .والله سبحانه وتعالى يمنحنا من هذه الطاقات أسباب الحياة المتسامية في روحها ونورها وهديها . نخرج بهما من ضيق الظلمات وشدتها إلى سعة الأنوار عقيدة وعبادة وأخلاقًا ومعاملة : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:123] .

لقد وجهنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن نتعوذ من شرور الظلمات

الجاهلية إذا اشتدت علينا في الزمان والمكـان فقـال في سـورة الفلـق : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ومنحنا سبحانه القدرة على اختيار طريق الحياة المسـتقيم الـذي تحيط به أنوار الحق ونحن نستطيع أن نسمو بأنفسـنا مـن خـلال ذكـر أسـماء الله الحسنى لنجد فيها سمو أرواحنا في مقام عبادتنا لله كأننـا نـراه وأن نزيـد مـن هـذا السمو لنتحقق بأنه إذا كنا لا نرى الله فإن الله يرانا وقد روى عـن رسـول الله ﷺ أن من أحصى تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله الحسنى دخل الجنة والإحصاء هنـا ليس بمعنى العد أو الحفظ وإنما هو بمعنى التحمل أو الإطاقة مـن خـلال جهـاد النفس للتخلق بحسن معانيها وما تؤتيه من أثر في طمأنينته وراحة البـال واسـتقامة السلوك مع الله ومع الناس ، وقد فطن إلى هذا المعنى الذي نقول الـدكتور جفـري لانج [1] وصاغه في عبارات جذابة وجميله في قوله :« دعنا نعود ثانية على أسماء الله الحسنى نتذكر هذه المرة نقاشنا عما يتطلبه الإسلام من الإنسـان وفي أثنـاء قـراءة القرآن فإنه يذكرنا دائمًا بالسمات والصفات التي يجـب أن ننميهـا في أنفسـنا .لـن يمر وقت طويل قبل أن تبدو لنا نقاط لقاء كثيرة بـين هـذه الصـفات مـع الإنسـان الذي يحاول إرضاء نزعة التسامي فيـه لأن جميـع الفضـائل تقريبًـا التـي يجـب أن ننميها في أنفسنا يوجد أصلها وكمالها في صفات الله .مثلاً يجب أن ننمي في أنفسـنا فضيلة الإحسان ، والرأفة والسـخاء والاعتـدال والرحمـة ،والـولاء ، والتسـامح ، والكرم واللطف والعطـاء ، والسـماحة . والكرامـة ، والعـدل والشـفقة ، وحـب الآخرين ، والمسالمة وحماية الضعيف ، والصدق والمعرفة .والحكمة وكلها تبرز من صفات الله وكماله ، وهكذا بتنمية هذه الصفات فينا ، يزداد قربنا من الله وتزداد معرفتنـا بـه وحيـث إن المخلوقـات البشـرية تسـتطيع التخلـق بهـذه الفضـائل

(1) في كتابه «حتى الملائكة تسأل» ترجمة دكتور زين نجاتي الناشر مكتبة الشـروق الدوليـة .والـدكتور لانج أستاذ الرياضيات في جامعة كانزاس الأمريكية اعتنق الإسلام أوائـل الثمانينيـات مـن القـرن العشرين .

وممارستها بمستويات أعلا من بقية المخلوقات فقد أصبح لديها القدرة على التواصل مع الله بأسلوب ودود متفرد »انتهى .

إن القرآن يدعو الناس والشعوب إلى التعارف ويرفع شأنه الناس من نظرة الحيوانية والمادية والآلية الصرفة إلى آفاق العقل والروح الموصولين بخالق الناس ،وهو يقيم علاقات الأفراد والشعوب على أساس القيم الأخلاقية للأديان السماوية كلها وخشية الله ، مرتبطة بتشريعات العدالة الاجتماعية والاقتصادية والشورى السياسية ، والمراقبة الفردية الذاتية للسلوك الإنساني وأهدافه .

إن أزمة العالم المعاصر هي أزمة أخلاقية بالدرجة الأولى تضافرت في أحداثها عوامل سياسية واقتصادية ومالية أساسا ومن ثم فإنه يتعين علينا كمؤمنين أن نحسن من أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية في القوت نفسه الذي نعمل فيه لتقويم أخلاقياتنا وأنماك سلوكياتنا بالتربية والتعليم وتجديد المفاهيم الدينية غير المواكبة للعصر في الرؤية الإيمانية والسلوك الإحساني .

ونظرتنا إلى المستقبل تقترن بالضرورة بدراستنا للتاريخ واستيعاب دروسه لعلاج الحاضر والتخطيط للمستقبل[1] ، والعناية بعلم المستقبل وذلك من زاويتين :

الأولى : تاريخ الإنسان الأول العاقل السوِّي وتجربته التي هبط معها من الجنة إلى الأرض ، بكل عناصرها ودلالاتها ودروسها .

الثانية: التاريخ الحضاري للإنسان عبر العصور المختلفة وحتى يومنا .

وغنى عن القول أن القرآن اهتم اهتمامًا كبيرًا بالناحيتين .الأولى في آياته المتكررة لقصة آدم العقل التي ساقها لأخذ العظة ومعرفة خصائص تركيب هذا

(1) (Futurolgy).

الإنسان في الخلق والمتميز بالعقل والحرية والإرادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام ، ودراسة التجربة الآدمية من جميع وجوهها ودلالاتها بعد معرفة عناصرها المتصلة بالتركيب العضوي للإنسان وقدراته العقلية وحاجاته الضرورية الغريزية والأساسية في الحياة . والثانية بسرد أحسن القصص عن تاريخ الأمم السابقة وما شادته من مدنيات وحضارات شامخة – مركزًا على الحضارة الفرعونية بالذات التي قدمت للإنسان معارفا وعلوما ما زالت تحيرنا بالنسبة لمستواها في عصرها .

ويخبرنا القرآن بأن التاريخ الإنساني في الأرض يرتبط بعدة أمور مهمة وجوهرية في حياة الأُنسان ذاته وهي :

1-وحدة الذات الإلهية باعتبارها مصدر الوجود وأحداثه التي ترجع في أصلها الأول إلى أنواع من الطاقة منها المعروف لنا ومنها غير المعروف .

2-وجود «الغاية » وراء تحقق هذه الأحداث في تطورها من غير العاقل إلى العاقل استكمالاً وإكمالاً لدور «العبادة» للإله الواحد .

3-إيجاد المخلوقات العاقلة في الكون ، واختيار الإنسان من بينها جميعًا ، ليكون الكائن الحي العاقل المدرك لخصائص الإلوهية في مظاهرها الطاقية الأسمائية الكونية بما يحقق «الغاية» وهي العبادة ، عن طريق نمو وترقي المعارف المستمرين .

4-تحقق الصلة بين ذات الإله وبين الإنسان عن طريق الأنبياء المصطفين والمميزين بقدراتهم العقلية والروحية العالية ، يحملون صور الهدى الإلهي إلى الإنسان وقيمه الأخلاقية السامية .

5-ترابط الهدى الإلهي كله المنزل إلى الإنسان في إطار معنى واحد وصفة

واحدة هي «الإسلام» ، رغم امتداد الأحداث الملابسة لصور هذا الهدى وملابسات نزوله لفترات محدودة في الزمان وتحديدات معينه في المكان .

6-وجود تصور قرآني شامل يربط بين الإنسان والكون والإله من اجل خير وسعادة الإنسان في إطار نظرة شاملة تقوم على افخياء والمحبة والعدل والمساواة والتعاون في إطار مفهوم «الجسد الواحد» .

7-الأمانة التامة والصحة الكاملة في رواية الحادث التاريخية التي يرويها باعتباره الصورة الخاتمة لأشكال الهدى الإلهي للإنسان : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف:3] .

وليس السرد القرآني للأحداث والوقائع التاريخية من قبيل الأساطير التي تروى للتسلية كما يظن الكافرون : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان:5] . ولكنها رصيد من التجارب الإنسانية في السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي المرتبط بالدوافع العضوية والنفسية والمشاعر والاعتقادات والمصالح .. إلخ . للإنسان الذي يحدد ويقيم مصالحه في العلاقة بالمحيطين الاجتماعي والدولي السائدين .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يكون متميزًا بعقله على الوجود الكوني الصرف ، المادي أو الطاقي ، وكان مناط هذا التميز هو النفخة الروحية الربانية التي جعلت الإنسان ، الطيني الأصل ، خلقًا آخر غير الخلق الطيني البحت الذي ينتسب لمادة الأرض ، يميز به الإنسان هذه كان التكليف الإلهي للإنسان مصحوبًا بحرية الاختيار المتصلة بالعقل ، يميز به الإنسان بين الخير والشر وبين الحق والباطل وبين الظلمات والنور : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ فقد أعطى الإنسان وسائط شهود الآيات ووسائط التعبير عما يراه أو يتعلمه بالحواس : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ

عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ [البلد: 8- 10] ومن هذه المنحة الإلهية كان العلم الإنساني مستندًا أولا إلى العقل، يكشف ويستخدم هذا العلم ويرتقي بمستواه على مر العصور: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: 78].

التاريخ يبحث أساسًا في الإنسان لأنه اساس المدنية والحضارة، والإنسان عبر التاريخ هو في الحقيقة «الحكمة» أو «الغاية» من الوجود ذاته في عملية السعي الدائب للوصول إلى الحقيقة المطلقة. الطريق الإنساني الطويل في الأرض ديناميكي لا استاتيكي، أي متحرك وليس ثابتًا. والطريق هو السلوك الإنساني عبر الأجيال، الأحداث المتصلة بالإنسان عير القرون، هو عبارة عن علاقة «العقل» «بالمعقولات». وتاريخ الإنسان العاقل يبتدئ منذ آدم العاقل المذكور في الكتب السماوية، التوراة والإنجيل والقرآن، وهو عبارة عن قدرة العقل الإنساني على المعرفة من خلال العلاقة بين العقل – الناتج من النفخة الروحية الربانية – وبين الكون كله، في سعي الإنسان المتواصل لاستزادة معرفته بنفسه وبالبيئة المحيطة به وبالكون المحيط وما وراءه من إله خالق قادر، خالق لكل شيء.

إن دراسة التاريخ التي يوجهها إلينا القرآن ويسرد وقائع لها تعتبر دراسة واقعية تفيد الإنسان من حيث حياته الاجتماعية الواقعية في حاضره ومستقبله، تقويمًا للحاضر وتخطيطًا للمستقبل، ودراسة فلسفة التاريخ هي دراسة نظرية علاقتها بالواقع هي دراسة تفسير وتكييف وتقويم ومعرفة الغاية والقصد في إطار «الحكمة» كلها تمثل «المعنى» الذي ينبغي أن يضبط الإنسان نفسه في إطاره عندما يقوم باستخدام تطبيقات العلوم التكنولوجية «المعنى» الذي تمثله قيم الدين وعلى رأسها الإيمان والعمل الصالح، أي الخير النافع للناس.

إن بداية الوجود الإنساني العاقل في الجنة في القرآن هي بداية الوجود للإنسان

العاقل المتميز بالعقل بعد التسوية ونفخ الروح فيه من خالقه وربه وهو الإنسان القادر على تصور شامل يربط بين الإله والكون والإنسان ، وبداية العقل هي بداية الدين ، وبداية الدين هي أعلى خطوات الإنسان في إيجاده وبلورة هذا التصور ذاته . إن الدين – كل الدين- بقيمه الروحية الأخلاقية ، وتشريعاته العادلة ، هو أمل الإنسان المعاصر في تحطيم أغلاله المادية والحيوانية التي يقيده بها الماديون في الغرب والشرق على السواء . « لقد بنيت قواعد الأخلاق النظرية في المدنية العصرية على بقايا الأخلاق المسيحية ، بيد أن أحدا لا يطيعها .فقد نبذ الإنسان العصري كل نظام شهواته ، ومع ذلك فليس في الآداب البيولوجية والصناعية أية قيمة عملية لأنها أداة مصطنعة ولا تدخل في اعتبارها إلا ناحية واحدة من نواحي الإنسان ، إنها تتجاهل بعض وجوه نشاطنا الأكثر أهمية ولا تزود الإنسان بسلاح على درجة كافية من القوة ليحميه من رذائله الفطرية وذلك ما يقوله : الطبيب الفرنسي في كتابه / عن الإنسان ذلك المجهول ، وهو الحاصل على جائزة نوبل عام 1912 لأبحاثه الطبية الفذة . (ACEXIS CAREILLE) .

عن القرآن العظيم

عندما نتحدث عن القرآن العظيم فإننا نتحدث عن كلام الله الموحى به إلى النبي محمد ﷺ باللفظ والمعنى ،ولذلك فإن القرآن يحتوي على الحقيقة المنطلقة المتسقة بين اللغة وبين الكون الطبيعي والعالم الروحي وذلك لسبب بسيط وهو أن الله واحد في الكلمة الصادرة ، عنه في الطبيعة (الكون الطبيعي والعالم الوحي) والقديمة (القرآن) .

ولكن هذه الحقيقة (المطلقة في ذاتها وفي محتواها الموضوعي المنزل متصلة بالإنسان يفهمها بفهوم نسبي رغم كونها هي مطلقة وبذلك تكون الحقائق القرآنية دائمًا ثابتة بينما مفاهيم الإنسان متغيرة أن القرآن هو المنهج الأساسي والأكبر للحياة بالنسبة للفرد والمجتمع والدولة ، كما أن اتصالنا بالله سبحانه وتعالى للتعرف على قدرته المتصلة بذاته ، يكن عن طريق القرآن ، كلام الله .

ومعرفتنا بالله عن طريق القرآن هي التي تجمع بين عالمي الغيب والشهادة وتعامل الإنسان معها في إطار مبادئ وأسس وقيم الإيمان الذي يمثل الالتزام بقضاء الله وكلام الله كما جاء في النص القرآني .ورغم أن مفاهيمنا المتصلة بالنص القرآني قد تتعدد نتيجة التباين أو التفاوت في فهم النص وفي الاجتهاد بشأنه ، فإن مرجعيتنا في النهاية يجب أن تكون صادرة عن أو راجعة إلى النص ذاته .

ليس القرآن كتابًا للنظريات العلمية المفصلة كما ذكرنا سابقًا وليس ذلك شأنه ، فهو كتاب هداية وبيان وتوجيه ،وهو دعوة وحجة يحتوي على حقائق كاملة شاملة ، ، تحكم علاقة الإنسان بالإلهة تبارك وتعالى ، وعلاقته بالكون أو الطبيعة ، وعلاقته بأخيه الإنسان . (الفرد ، الأسرة ، الدولة ، الأمة ، التجمعات الدولية للشعوب والأمم .. إلخ) إنه منهاج يقيم حياة الإنسان في الأرض وفق أسسه في العقيدة وفي العبادة وفي الأخلاق وفي المعاملات الفردية والاجتماعية والدولية .. إنه اعتقاد عن علم ، وشريعة للعمل ، وهو يدعو الإنسان – الخليفة العاقل في الأرض – ليبني صرحًا من المعرفة دائم الترقي يستند إلى العقل والإيمان لغيره ، ولذلك فهو حجة ودعوة ، ترتبط به وفيه الدنيا بالآخرة .. الدنيا عنده هي دار العلم والكد والابتلاء ، والآخرة عنده هي دار الجزاء والثواب أو العقاب .. والحياة في الدنيا إلى فناء والحياة في الآخرة إلى خلود وبقاء .والإنسان الذي يبحث دائمًا عن الحق سيجده كاملا متكاملاً في القرآن ، وهو كتاب ، كما أنه سيفسر حقائق القرآن

من خلال الكون الذي هو أيضًا كتاب (الأول مسطور والثاني منظور)أو الطبيعة وظواهرها حتى يدرك تطابق الحقائق في القرآن الكريم المنزل مع الطبيعة المخلوقة .

ومن هذا يكون النتاج الفكري للإنسان ، تابعًا بالضرورة للحق الكامل المكتمل في القرآن العظيم ، وهو جامع للكلمات التامات بحيث يكون هذا النتاج الفكري بكل مناحيه ، عاملا مفسرًا للحقائق القرآنية وليس حاكمًا عليها ؛ لأن النتاج البشري الفكري دائم التغيير ، حتى ولو كان في زيادة وترق والمجهول يبدو أكثر اتساعًا كلما ازداد الفكر الإنساني في علومه ، ولعل هذا هو المعنى الذي قصد إليه القرآن في تقريره :

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:76] .لأن اتساع مناحي العلم تجلب معها اتساعًا أيضًا في المجال غير المعلوم الذي يدخل في دائرة ما يسميه القرآن (الغيب) .

ولهذا السبب سيظل الذكر المنزل محفوظًا من أن تشوبه شائبة قصور أو اختلاف ، ل، الحق واحد في الكلمة الصادرة عنه ، المخلوقة والمكتوبة على السواء ، والقرآن بالحق ومن الحق نزل ، وبذلك تزداد عظمته بالنسبة للرؤية الإنسانية بازدياد النتاج الفكري الإنساني في مجالاته المختلفة .

إن المعرفة الإنسانية في مستواها الحالي ، ليست وليدة لحظتها ، وإنما هي نتاج حلقات متصلة من التطور المستمر ، تكون كلها بوصل أجزائها ، سلسلة كاملة من المعرفة حدودها الأخيرة ،وليس الآخرة ، هي حلقة الجبل الذي نعاصره ، فالحركة قانون من القوانين التي تحكم الطبيعة وتحكم الإنسان في فكره وسلوكه ، ولما كان التغيير المستمر هو من سمات الإنسان الأساسية فإنه ينتج عن ذلك بالضرورة تعدد واختلاف الفكر المستمر والمتغير نتيجة تراكم واتساع المعرفة

عبر تتابع الأجيال وتتابع العلماء فيها واكتشافاتهم العلمية .

الأول: ضمان ارتباط الإنسان بالقيم الأخلاقية عند تطبيقه للقوانين التشريعية المحددة وللأفكار والمبادئ والقواعد العامة التي توجه الإنسان في حياته الفريدة والاجتماعية .

الثاني : ضمان أمن وسلام الإنسان في مستقبله في حياته الفردية وصلاته الاجتماعية في الأرض ، لأن أسس هذه الحياة والصلات ستكون انعكاسًا للأصول النظرية العامة لتوجيهات القرآن المصدق لكتب الله السابقة .في ظل إيمان وتدين تتصل بهما مثل وقيم وأخلاقيات تدعو إليها وترشدنا إليها كل كتب الله ورسالاته السماوية .

إن القرآن يقيم ويوجه حضارة الإنسان على أساس الربط بين الابتكار والتقدم وترقي ونمو واتساع الفكر الإنساني ، وبين توجهات المثل والقيم والأخلاقيات النابعة من الدين والإيمان بما يمكن من قيام مجتمع هو خير المجتمعات في الأرض تعيش فيه امة هي خير أمة أخرجت للناس . ولذلك كان من الضروري أن يوجه الدين للإنسان في الأرض في وجوده الاجتماعي والمتخذ شكل علاقات بسائر مجتمعات البشر فضلا عن البيئة المحيطة . فذلك وحده هو الذي يحقق سلامة المسيرة المعرفية والعلمية وسلامة البناء الاجتماعي العاكس لهذه المسيرة ومستواها في الجيل المعين ، ويخطو بالفكر الإنساني خطوات كبيرة نحواكتشاف حقائق واستغلالها الاستغلال الأمثل لصالح الإنسانية جمعاء ويسلك نفس الخطوات في فروع المعرفة المتصلة بنظام الحياة في كل مجالاته في الدولة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية .. إلخ .

وبغير هذا فغن السلوك الإنساني في الأرض نتيجة تقدمه العلم والتكنولوجي لا يخضع لأسس الدين والإيمان ومثلهما وقيمهما وأخلاقياتهما وإنما سيخضع

لما يضعه البشر للبشر من قيم مادية ليست بالضرورة أخلاقية وإنما غالبًا ما تكون نتيجة عوامل مادية بحته بينما الإنسان ليس مجرد حيوان أو آلة أو سلعة إنما هو محور هذا الوجود والهدف من رسالات الله وهديه جميعها .

ماهية القرآن الكريم

وينبغي – في هذا المجال – أن نلقي الضوء على ماهية القرآن أو الكتاب ، حتى لا يلتبس المفهوم القرآني في الحقيقة بالمفهوم التقليدي الدارج (1) .

الكتاب في اللغة مصدر من مصادر كتب بالقلم وهو أيضًا يطلق على اسم المكتوب ، وقد غلب استعماله في عرف أهل الشرع على كتاب الله تعالى الموجود في المصاحف .

والقرآن مصدر لقرأ كالقراءة وسمي به المقروء وهو كتاب الله تعالى .وهناك قول آخر بأنه مصدر لقرأ بمعنى جمع ، ويسمى به القرآن لأنه جمع السور كلها أو لأنه جمع ثمرات الكتب السماوية السابقة أو لأنه جمع القصص والأوامر والنواهي والوعد والوعيد والآيات والسور ، وهناك أقوال أخرى في القرآن .

والقرآن ، في المفهوم الدارج يطلق على المجموع المعين من كلام الله تعالى المتلو من عباده أما في مفهوم (رجال أصول الفقه)فهو « كلام الله تعالى القديم المنزل على رسوله محمد ﷺ المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا في المصاحف نقلاً متواترًا ».

يقول الله تعالى في سورة الجن في القرآن العظيم عن نفر من الجن :

﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ [الجن:1 – 2] .فصح أن الصوت

(1) محاضرات الأستاذ الشيخ محمد فرج السنهوري لقسم الشريعة الإسلامية بالدراسات العليا بحقوق القاهرة .

الملفوظ به المسموع هو القرآن حقيقة ، وهو كلام الله ويعبر بهما حقيقة عما يفهم من هذه الأحداث فإذا بينا معنى الزكاة والصلاة والصوم والحج ، قلنا في كلام الله وهو القرآن ويعبر بهما عما هو مكتوب في المصحف قال الله عز وجل :﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾ [الواقعة : 77-78] .

﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴾ [البينة:2-3] .

﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾[العنكبوت:49] .

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ ﴾[يونس:19] .

﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[الأنعام:115] .

ولا يفهم من هذا إلا أنه إنما عنى بما سبق في علمه بما ينفذه بالخلق والإيجاد والصنع والفعل في الوجود بحيث يكون القرآن وكلام الله غير مخلوقين ، والمخلوق هو ما نلفظ به أو نسمعه . انتهى .

وعامة العلماء وجمهورهم يقولون : إن القرآن العظيم هو المعنى والنظم العربي الذي لا يصح فيه تبديل ولا تغيير ولا تأخير ، فأي معنى من معاني القرآن يريد بغير أسلوبه ونظمه أو بلغة أخرى غير عربية لا يسمى قرآنًا ولا يثبت له شيء من أحكام القرآن .

وكلام الله تعالى صفة قديمة من صفاته التي ليست من جنس الأصوات والحروف ، ولها تعلق قديم أزلي هو الكلام النفسي الغيبي وتعلق تنجيزي كوني هو إظهار الكلام الغيبي في سور لفظية منزلة إلى الكون وعالم المادة . وهذا النظم والمعنى هما اللذان يزيدهما الأصوليون .يقول الأستاذ الشيخ العالم محمد فرج

السنهوري [1] عليه رحمة الله عن القرآن :

أجمع المسلمون على أنه كلام ثم اختلفوا في معناه :

1- الأشعرية قالت إن الكلام صفة لذات الله تعالى ، وهي قديمة وزائدة على ذاته ، ولها تعلق أزلي هو الكلام النفسي ، وتعلق تنجيزي هو ما أنزل على الرسل ومنه القرآن ،والكلام بالمعاني الثلاث قديم .

2-المعتزلة قالت إن كلام الله صفة لفعل خلقه الله ، فكلامه سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام هو ما خلقه وأحدثه في الشجرة من الكلمات والصوات .

3-طائفة من أهل السنة من بينهم الإمام أحمد بن حنبل قالت : إن كلام الله هو علمه القديم لا غيره .

4-ابن حزم ذهب إلى الرأي السابق نفسه ، وقال :إن القرآن وكلام الله لفظان مختلفان معناهما واحد .والقرآن كلام الله نزل به الروح الأمين على قلب النبي محمد ، والقرآن وكلام الله يعبر بهما حقيقة لا مجازا عن الصوت الملفوظ المسموع فالله تعالى يقول : ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:6] .﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة:75] . ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[المزمل:20] .

وبناء عليه لا تعتبر ولا تسمي ترجمة القرآن قرآنًا بل لا يصح شرعًا ترجمة نظم القرآن لتعذر ذلك وإنما تجوز ترجمة معاني القرآن أو ترجمة تفسيره ولكن ليس على أنه هو القرآن وإنما باعتباره تفسيرًا له فقط وهو لن يعطي نفس الآثار أو المعاني الخفية أو الأسرار والدلالات التي تعطيها اللغة العربية ، اللغة التي نزل بها القرآن . فهذه الترجمات كلها لن تمكن القارئ للقرآن بواسطتها أن ينفذ إلى إعجازه وسمو

(1) في محاضراته لطلبة الدراسات العليا في قسم الشريعة الإسلامية بكلية حقوق جامعة القاهرة .

بلاغته وفصاحته وإدراك عظمة بيانه وتكونات آياته والحظوة بأنواره وتـأثير آياتـه وهدايته . وسيقتصر وعي وإدراك القارئ عـلى جـزء مـن وعـي وإدراك المتـرجم الذي عبَّر عنه بترجمته المحاطة بكثير من جوانب القصور والنسبية لأنه لن يحصـل العائد النفسي والوجداني والإيماني أو العائد المعرفي والعلمي الكامل الذي تؤديه اللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم .

ومن روائع ما قاله الإمام ابـن القـيم عـن (الخطـاب القـرآني) قولـه في كتابـه (التبيان في أقسام القرآن) :

«تأمل خطاب القرآن تجد ملكًا له الملك كله ، وله الحمد كله ، أزمـة الأمـور كلها بيده ، ومصدرها منه ، ومـوردها إليه ، مستويًا عـلى العـرش ، لا تخفـى عليـه خافية من أقطـار مملكتـه ، عالمًـا بمـا في نفـوس عبيـده ، مطلعًـا عـلى أسـرارهم وعلانيتهم ، منفـردًا بتـدبير المملكـة ، يسـمع ويـرى ، ويعطـي ويمنـع ، ويثيـب ويعاقب ، ويكرم ويهين ، ويخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويقدر ويقضي ، ويدبر الأمور ، نازلة من عنده ، دقيقها وجليلها ، وصاعدة إليه . لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ، فتأمل كيف تجـده يثنـي عـلى نفسـه ، ويمجـد نفسـه ، ويحمد نفسه ، وينصح عباده ، ويدلهم على ما فيه سـعادتهم وفلاحهـم ، ويـرغبهم فيه ، ويحذرهم مما فيه هلاكهم ، ويتعرف إليه بأسمائه وصفاته ، ويتحبـب إلـيهم بنعمه وآلائـه ، يـذكرهم بنعمـه علـيهم ، ويـأمرهم بمـا يسـتوجبون بـه تمامهـا ، ويحذرهم من نقمه ، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه ، وما أعد لهـم من العقوبة إن عصوه ، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه ، وكيـف كانـت عاقبـة هؤلاء وهؤلاء ، ويثني على أوليائـه بصـالح أعمـالهم وأحسـن أوصـافهم ، ويـذم أعداءه بسيئ أعمالهم وقبيح صفاتهم ، ويضرب الأمثال ، وينوع الأدلة والبراهين ، ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة ، ويصدق الصـادق ، ويكـذب الكـاذب ،

ويقول الحق ويهدي السبيل ، ويدعو إلى دار السلام ، ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ، ويحذر من دار البوار ، ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ، ويذكِّر عباده فقرهم إليه ، وشدة حاجتهم إليه من كل وجه ، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين ، ويذكرهم غناه عنهم وهم جميع الموجودات ، وأنه الغني بنفسه عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ... » أ . هـ .

القرآن العظيم والعلم

القرآن والعلم

للعلم والعلماء تقدير ومكانة كبيرة في القرآن العظيم، ومن آياته أسوق الأمثلة التالية كنماذج ليست على سبيل الحصر:

(1) ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء : 101-101]

(2) ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: 91].

(3) ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7].

(9) ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ:1]

وعن تميز العلماء يقول القرآن العظيم: -

(5) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:22].

(1) ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:1].

(7) ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:11].

(2) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم:51].

(1) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء:113].

(10) ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ [البقرة:151].

(11) ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ [آل عمران:119].

(12) ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ ﴾ [طه:119].

أن المدخل إلى فهم آيات القرآن العظيم والأمثال فيه هو العلم وهم العلماء فيقول ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [آل عمران:7].

ويقول ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣ ﴾ [العنكبوت:93].

وكذلك فإن القرآن العظيم يدعوا كل الناس إلى استعمال العقل والتعقل والتفكير والتدبر والفهم والتفكر والنظر والبحث والدرس والتعلم اعتصامًا بالوحي الذي يعتبر مصدرًا صحيحًا مأمونًا ويقينيًا من مصادر المعرفة بالحقائق التي تتوافق وتتفق معها دائمًا حقائق العلم وليست التفسيرات الغيبية للموضوعات العلمية . ومن هنا فإن آيات القرآن العظيم ليست ولا يصح اعتبارها معوقًا للعلم أو التفكير العلمي أو الاجتهاد العلمي أو الإنجاز في العلوم .

يقول القرآن العظيم بالنسبة لاستعمال العقل والتعقل والفهم وعلى سبيل المثال :

1- ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة:292].

2- ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف:2].

3- ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأَيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الروم:].

هذا ويجعل القرآن العظيم النظر في خلق الله في السموات والأرض قائم على الدراسة والتدبر والاتعاظ والاستكشاف لزيادة العلم والمعرفة والمعلومات فيقول مثلاً :

1- ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ....﴾ [الأعراف:125]

2- ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ [ق:1].

3- ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس:101].

القرآن العظيم :

القرآن العظيم كلام الله كاملاً شاملاً في وعيه الذاتي وعلمه وإدراكه الذاتي لأن كلام الله صفته، وهي قديمة من صفاته التي ليست من جنس الأصوات والحروف وهي متعلقة باسمه واسمه متعلق بذاته، فيكون كلام الله في إصداره العربي اللغة معبرًا عن علمه الذاتي المطلق والشامل في هذا المستوى المعلوماتي لقرآن الذات، وقد أنزله الله من هذا المقام والمستوى في ليلة القدر إلى أهل الأرض والسماوات بواسطة الروح القدس جبريل على قلب النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين ميسراً للذكر بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته وأحكمت آياته وفصلت كلماته وجامعا للكلمات التامات ورموزها أصبح محفوظاً في القلب والعقل والذاكرة للنبي صلوات الله وسلامه عليه وهو اللوح المحفوظ فيه القرآن. إن قرآن الذات أو القرآن الذاتي كما هو في علم الله الذاتي إنبنت على أساسه مفردات الوجود الكلي بتفصيلاته المختلفة لأن علم الله الأزلي والأبدي سابق على ما يكون ويتحقق في الكون وقرآن الذات (وهو نفسه كلامه في التنزيل اللغوي العربي

قرآن واحد) يعكس علم الله الأزلي والأبدي الشامل والكلي والمحيط بما كان وما يكون وما سيكون، فالكون كان (معلومات) في علم الله أي في تقديره وهو كتاب القدر الذي يشير إليه القرآن العظيم في قوله: ﴿فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:22]. أي تخلقها وتوجدها.

وبحيث يكون الكون المعلوماتي في علم الله والمعروف والمعلوم لله قد سبق الكون الطبيعي المادي والفعلي الموجود والذي يتعامل معه العلماء لأن (التقدير) سبق (التنفيذ) أي (الإيجاد) من اللاشئ حيث لم يكن زمان ولا مكان ولا مادة ولا قوى، كما لم توجد طاقة إلا الطاقة أي القدرة التي يتصف بها الإله سبحانه وتعالى بكل أسمائه الحسنى وصفاته العُلى والتي منهما انبثقت كل المادة وكل القوى وكل الطاقات في الكون الذي خلقه الله رب العالمين واحتوتها المفردة (Singularity) كما يقول العلم الآن وذلك في مقام «كان الله ولم يكن شيئاً غيره» كما حدث النبي محمد ، وكما قال أيضاً في التوحيد «كان الله ولم يكن شيئاً قبله».

إن القرآن يتحدث عن حقائق (FACTS) تصوغها آياته. فإذا تحدثنا – مثلاً – عن النظريات الفيزيائية فإنها يجب أن تكون دائماً متسقة مع نفسها (SELF – CONSISTENT) لأنها ان لم تكن كذلك أي كانت غير متسقة مع نفسها (SELF INCONSISTENT) أو بها مضامين متناقضة فوفقاً للفيزياء العامة والرياضة فإن هذه الأمور هي العامل الذي يقضي على النظرية الفيزيائية مهما كانت صحة النتائج الجزئية الناتجة عنها.

هذا وأنه ليست هناك حقيقة علمية مطلقة تثبت باليقين الحق إلا وهي متفقة ومتوافقة مع نظيرها الذي تشير إليه آيات القرآن العظيم بل إننا نقول باليقين أن آيات القرآن العظيم تضفي الثبات والشمول والحق في المحتوى والحقيقة في المعنى المعلوماتي على المعلومة العلمية المكتشفة في الطبيعيات والكونيات والإنسانيات في معناها العام ودلالاتها وذلك لسبب بديهي وطبيعي بسيط قلناه من

قبل وهو أن مفردات الكون والطبيعة ركبهما الله تعالى الخالق على أساس علمه الذاتي في قرآنه الذاتي (قرآن الذات الإلهي) الشامل والمحيط بكل ما هو مخلوق وكائن وموجود في هذا الكون بسماواته وأراضيه ما تدركه منه وما لا ندركه، فيما ترصده فيه وما لا نرصده، ويمكننا أن نقول مع ذلك أن الإعجاز العلمي هو أحد أوجه الأعجاز العديدة في كتاب الله الخاتم، القرآن العظيم. الذي هو نفسه المعلوم لله في ذاته والذي عبرنا عنه بقرآن الذات حيث أنزل الله القرآن العربي بعلمه أي ؟؟؟؟؟؟؟ علمه كما قلنا من قبل .

ومع ذلك أحب أن أقول أن القرآن العظيم لا يتناول تفصيلات كل علم بما يتناوله من حقائق وتفاصيل ونظريات ومسائل وفروض ودقائق، إذ ليس من طبيعته ذلك باعتباره دعوة وحجة، فهو يهيئنا نحو الحق ويدعونا في ذلك إلى الأخذ بالعلم واحترام العلم والعلماء والاستزادة من العلم، كل أنواع ومجالات العلم، والمستخدمة في إطار عقائد وأخلاقيات الدين وقيمه الروحية وفيما ينفع ويفيد ولا يضر أو يفسد.

وأود أن أذكر القراء لكتابي بالدراسة المتعمقة والموضوعية التي أجراها الطبيب الفرنسي موريس بوكاي (MAURIECE BUCAILLE) وأخرج بها كتابه الشهير «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم». (LE BIBLE. LE CORAN ET LA SCIENCE)[1] متضمناً دراسة موضوعية للقرآن العظيم في ضوء المعارف العلمية الحديثة، وباللغة العربية التي درسها وأجادها الدكتور/ بوكاي وخرج من دراسته بنتيجة أساسية وهي أن القرآن يثير وقائع كثيرة ذات صفة علمية وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن، العلمية مع وجهة النظر العلمية ويقول في كتابه : «ويفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الإنتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر

(١) الذي ترجم من الأصل باللغة الفرنسية إلى اللغات العربية والانجليزية الصرب كرواتية والاندونيسية.

العلم في العهد الحديث». أنتهى..

لقد خاطب القرآن عقل الإنسان موجهاً إياه للنظر والبحث في حقيقتين قائمتين، التركيب الإنساني ذاته بوحدته العضوية العقلية والنفسية والروحية والتركيب الكوني بوحدته المادية الطاقية:

- يبحث في الخلق وأسلوبه وأشكاله والقوانين أو السنن التي تحكم حركة المخلوقات في الأرض.

- يبحث في النجوم وطاقاتها وأنوارها السارية وخواص هذه الأنوار والأضواء.

- يبحث في المادة وتكوينها الذري، وحقائق التركيب الذري وما يتصل بها من تفتيت والتحام وحركة ونظام وخواص وطاقات.

- يبحث في الحركة الفلكية يستنتج منها أفكار الزمان والتقويم الزمني والحساب الزمني.

- يبحث في الطاقات المسخرة له في إطار كوكبه الممهد لحياته وتطورها في ترقي وتكمل.

- يبحث في عجائب المخلوقات على الأرض، فوق سطحها، وفي باطنها، وفوق مياهها، وفي أعماقها، وفي أجوائها.

- يبحث في عوالم الجماد، وعوالم النبات، وعوالم الحشرات والحيوان والطير..إلخ.

- يبحث في عالم نفسه، وحقائق تركيبه العضوي ونشاطه العقلي والروحي.

- يبحث في طبقات السماء الدنيا والأجواء ليخترقها بما أوتى من سلطان قادر على النفاذ من أقطارها بالعلم.

في ذلك كله، وفي غيره نزلت نصوص الكتاب العربي ليقرأه محمد (صلى الله عليه وسلم) قرآناً على الناس على مكث ليتدبروه، ميسراً للذكر ليعلموه، متدرجاً في البناء ليقيموه، ينطلق به ومعه الإنسان في وجود نفسه ووجود الكون الخارجي، يشهد الحقائق الطبيعية ، مدركاً على قدره مقادير إتقان صنعها ودرجات سعتها وكثرة صورها، واختلاف أشكالها، واستمرار حركتها، ودوام امتدادها وحقيقة إطلاقها، وطبيعة قوانينها أو سننها، وسر وحدتها وقدر مجهولها، ليبني من خلال هذه المعارف عقيدته في «الإله» ويسلك عن طريق الكون المادي وقواه وطاقاته مسالك المعرفة المرتبطة بالحواس وبإدراكه الزائد عن الحواس (E.S.P) في الطريق المكتشف لعظمة وقدرة الله سبحانه، الاسم الجامع الدال على «الذات المعبود» الذي ليس «كمثله» شيء في كل شيء سبحانه وتعالى عما يصفه الواصفون، أو يتخيله المتخيلون، أو يتصوره المتصورون أو به يشركون.

فالقرآن العظيم يحدثنا عن أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى أنه سبحانه وتعالى (القدوس) أي المنزه عن كل وصف يدرمه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يختلج به ضمير أو يقض به تفكير أو يتمثله أو يشبهه العقل وأن أحدا لا يحيط به سبحانه علما ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:110] وأنه سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى :11] أي في كل شيء .

إن الاسم والمعنى للدين وللعلم لهما نفس المدلول في القرآن العظيم في أصول الكتب السماوية التي سبقته لأن مصدرهم واحد ثابت وغير متغير ووحيه في كتبه غير متناقض وغير مختلف وغير متعارض.

والقرآن العظيم يوحد ولا يفرق بين القضيتين الدينية والعلمية فالعلم دين والدين علم وما جاء به الله في القرآن هو كما يقول ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف:52] وكما يقول ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود:1] وكما يقول ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ [سبأ: 1] فالذي جاء به الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد هو دين وعلم كما ذكر القرآن العظيم في الآية 120 والآية 195 من سورة البقرة، وكما أشار إلى القضية الدينية بمفهوم القضية العلمية في سور (مريم الآية 93) و (يوسف الآية 25) و (الأنبياء الآية 79) و(النمل الآية 35) و (القصص الآية 19) وغيرها.

والمتحدث في القضيتين (الدينية والعلمية) هو الله وعلمه علم مطلق ذو طبيعة شمولية وكلية ولا عهد للإنسان بها فهو سبحانه ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه :12] و ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:12] و﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الحشر:22]، وهو علام الغيوب والأسرار والخفايا والظاهر والباطن والمعلن والمتكتم بكلياته وجزئياته وتفصيلاته ودقائقه في وجوده الأولي والأخرى المحيط بالوجود وبكل موجود وهو سبحانه بكل شئ عليم وفوق كل ذي علم عليم ولا يحيطون به علماً.

والحق أن العلوم كلها تقودنا وتؤدي بنا إلى الله أو الإيمان بالله والعلم بالله فإن العلوم كلها تكتسب نفس الأهمية ونفس التشريف .ونفس الشرف ولذلك مجدَّ القرآن العلم والعلماء كما مجدهم رسول الله ﷺ .

كما أن القرآن الكريم كان أهم باب بناء حضارة المسلمين في الماضي الذهبي الذي ازدهرت فيه هذه الحضارة وازدهر فيه علماء العرب والمسلمين في كثير من مجالات العلم التي أشاد بها وبما قدمته للإنسانية في وقتها ولتابعي الديانات السماوية الأخرى في الغرب الأوربي أشاد بها علماء أمثال بريفولت (1) وجورج سارتون (2)وويل ديورانت (3).وتوماس آرنولد (4) وغيرهم كثيرون .

(1) في كتابه « بناء الإنسانية » .

(2) في كتابه «تاريخ العلم» .

(3) في موسوعته عن «قصة الحضارة».

لقد تناول القرآن موضوعات ومسائل كثيرة ينبني عليها بنيان الأمور الدينية والعقيدية والعبادية والمعاملات والأخلاقية التي تتصل بالإنسان في حياته وفي صلته بالله سبحانه وتعالى وبالناس في دينهم ودنياهم ومجتمعاتهم .وكما مجتمع المدينة المنورة على الأسس والقواعد و ؟؟؟؟؟؟؟؟ التي دعا إليها وأكدها وثبتها القرآن العظيم في تناوله الأمور وموضوعاته الحكم وأصوله وما قامت عليه الدولة الإسلامية في ذلك الوقت من مبادئ أرساها القرآن الكريم من مثل الشورى والتشاور والبيعة والنقد البناء والنصيحة البناءة المستندة إلى التجربة والمقدمة وإلى التخصص والالتزام بتعاليم ومبادئ وأحكام ومقاصد وروح القرآن الكريم في شريعته وحقيقته أي منهاجه في التناول والتعامل مع ظاهر الأمور في حياة الإنسان ومع باطنها في ضمير الإنسان ونياته في قلبه وخباياه وعقله ودوافعه الخافية المستورة، أي في سره وعلانيته ، وكما ذكرت في المقدمة من الكتاب فإن كتابي هذا لن يتناول هذه الموضوعات كلها التي تتناول الإنسان الفرد وفي الأسرة والمجتمع والدولة والوطن وفطرة الإنسان وطبيعته ونوازع وإلهامات نفسه وغرائزه وعقله وقلبه وبصيرته في الخير والشر وسلوكه فيهما وغير ذلك من

(1) في كتابه «الدعة إلى الإسلام والمترجم إلى العربية .

الفتح الثالث :

خصائص القرآن ومقاصده

من أهم خصائص القرآن :

كتاب ميسر للذكر .

كتاب محفوظ .

3-كتاب معجز .

4-كتاب مبين .

5-كتاب الدين كله .

6-كتاب الزمن كله .

7-كتاب الإنسانية كلها .

ومن أهم مقاصد القرآن :

1-تصحيح العقائد والتصورات للإلوهية والرسالة والجزاء .

2-تقدير حقوق الإنسان وكرامته وخصوصًا الضعفاء من الناس .

3-توجه البشر إلى حسن عبادة الله تعالى وتقواه .

4-الدعوة إلى تزكية النفس البشرية .

5-تكوين الإنسان الصالح والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح ودولته .

6-إنصاف المرأة وإعطائها حقوقها وما تستحقه من تقدير .

7-التوحيد .

8-الدعوة إلى السلام وإلى عالم إنساني متعارف ومتعاون ولم ينزل القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى عليهما السلام حتى لا يثقل كاهل المكلفين باحكامه أو فهم معانيه أو الالتزام بتنفيذ أوامره والانتهاء عما نهى عنه وإنما نزل على قلب النبيﷺ بالوحي بواسطة جبريل عليه السلام منجمًا أي مفرقًا على وفق مقتضيات الظروف والأحوال والأحداث أو جوابًا للوقائع والمناسبات أو الأسئلة والاستفسارات وبدأ نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان

المبارك . وقد كان أول ما نزل من القرآن العظيم قوله تعالى في سورة العلق : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:1-5] . وكان آخر ما نزل من القرآن في أرجح الأقوال قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:281] .

أما جمع القرآن وكما سبق أن ذكرنا فكان الجمع الأول في عهد النبوة والجمع الثاني في عهد أبي بكر ، والجمع الثالث في عهد عثمان بن عفان بنسخ المصاحف من مصحف حفصة على خط واحد (ست مصاحف) .

ويمكننا أن نقول ونؤكد أن القرآن هو الكتاب السماوي أي الإلهي الوحيد الذي له من السعة والشمول والإحاطة والدقة والصحة والحكمة وقدسية ما يجعله بحق المصدر العليم بكل شيء بل وفوق كل ذي عل عليم خاتم كتبه والنموذج المثل لأسس التقدم والتمدن والتحضر وعليهم تنبني النهضة الشاملة التي يقوم بها الإنسان المواطن المؤمن وقياداته المسئولة .

الفتح الرابع:

القرآن وحرية العقيدة

حرية العقيدة[1]:

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: 99].

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: 256].

قضية الصراع الديني والخصومة المذهبية، قديمة موغلة في أعماق الزمن تلقاها عصرنا فيما تلقى من تركه العصور الخوالي، بعد أن تضخم ميراثها من الضحايا والأحقاد وشهد التاريخ بأن البشرية لم تروع بمثل ما روعت به مما جنى على الناس التعصب الديني والخلاف المذهبي الذي مزق أصحاب الدين الواحد طوائف وشيعًا، وأوقد بينها نار العداوة والبغضاء!

وتلقى العصر مع هذه التركة المثقلة بالمآسي والمشحونة بالفواجع أمل الإنسانية المتدينة في التسامح والتقارب بين مختلف الأديان، تقريرًا لحرية العقيدة وتفاديا لمزيد من الضحايا.

وهو أمل استشرف له الإنسان، منذ جاءته رسالة الإسلام ختامًا لرسالات السماء يمثلها خاتم الرسل إلى الناس كافة.

والفكرة العامة عن تسامح الإسلام واحترامه لحرية الاعتقاد والتدين، لا تكفي لبيان الأفق الرحب العالي الذي استشرف بالإنسانية إليه.

فالحق أن الإسلام في إقراره لحرية التدين، يلزم أتباعه بهذا الإقرار دينًا وعقيدة وسلوكًا، وليس لمجرد التسامح أو المجاملة والمسالمة.

وهو يبدأ أول ما يبدأ فيأخذ الرسول الكريم بهذا المبدأ، اتقاء لما قد يدفعه إليه

(1) الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في كتابها «القرآن وقضايا الإنسان» مختارات من كتابها وبتصرف من جانبنا.

الإيمان من أخذ الناس قسرًا بالدين الحق ، وهو ما يأباه الإسلام نصًا وروجًا (في القرآن والسنة) إلزامًا للإنسان بحمل الأمانة ،وتقديريًا لأن العقيدة لا تكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد ،والإيمان لا يكون إيمانًا حتى ينبع من القلب والضمير عن رضى وطمأنينة صادقة ولا خير في كلمة ينطق بها اللسان زورًا ويكفر بها القلب ، فذلك هو النفاق الذي يعده القرآن في الإسلام شرًا من الكفر الصريح .

وفي العهد المكي نزلت آية ينس في القرآن خطابًا لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام :﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس 99] .

وبعدها في مستهل العهد المدني ، نزلت آية البقرة في القرآن الكريم أصل التشريع : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[البقرة:256] .

وهذا الإقرار لحرية الاعتقاد يلقى على الإنسان تبعة اختياره ويحمله مسئولية حريته ومن هذا كان تأكيد القرآن لمهمة الرسول ، وأن ليس عليه إلا أن يبلغ رسالته :

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:20] .

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[المائدة:92] .

ويتكرر هذا القصر لمهمة الرسول على البلاغ في القرآن الكريم ، أكثر من عشر مرات محددًا موقفه من المكذبين والمعرضين ، بما يؤصل المبدأ الإسلامي في حرية الاعتقاد :

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[الشورى :48].

ويقدر القرآن الكريم ما في أخذ الرسول بهذا المبدأ من صعبة ومشقة إذ يحزنه عليه الصلاة والسلام ألا يؤمن الناس جميعًا بما آمن به ، ويضيق صدره بمن يكذبونه ويعرضون عنه ولكن هذه المشقة البالغة ليست إلا بعض ما يجب أن يحتمله من أعباء رسالته ،وقد امر ألا يكره أحدًا على الإيمان ، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل المرتابين والكفار والمشركين بالتي هي أحسن ، إلا يبغوا ويعتدوا ، فيشرع القتال دفاعًا عن الإسلام وإقرارًا لحق معتقله في حرية العقيدة .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:97، 98] .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام:33- 35] .

وأنا أقول : إن المسلمين لم يجبروا الآخرين على الإسلام لا بالقهر الديني ولا بالضغط الاقتصادي ولذلك بقيت أغلبية سكان البلدان التي فتحها المسلمون على دينها القديم زمنًا بعد الفتح الإسلامي إلى أن أسلمت أغلبيتها باختيارها وبالهجرات العربية إليها .

وننظر في موقف الإسلام من الأديان السماوية قبله ، فنراه لا يكتفي بالاعتراف لمعتنقيها بحرية التدين ، بل يلزم المسلمين كذلك الإقرار بنبوة كل الرسل ، دينًا وعقيدة وليس لمجرد التسامح أو المسالمة كما يلزمهم أيضًا أن يؤمنوا بأن الإسلام مصدق لما بين يديه من رسالات السماء وفي ذلك تنزلت آيات القرآن :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ

وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[آل عمران: 3، 4] .

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر: 31] .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[المائدة: 44] .

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: 46] .

لقد اكد الإسلام أن الحقيقة في الأديان واحدة يمكن أن يلتقي عندها المتدينون جميعًا فوق أحقاد التعصب وفواصل الخلاف وذلك مما يدخل في حساب علم الاجتماع الديني ، آية من آيات عالمية الإسلام وخلوده .

ومن تحرير الإسلام ، ختام الأديان ، لعقيدة الإنسان ، إبطاله سلطة الكهنوتية التي تسلطت على العقيدة الدينية بالقهر والتحكم ، بما أخذت من صفة الوساطة بين العبد المتدين وخالقه ، وما أدعت من سلطة إلهية تمنح بها صكوك الغفران أو تصدر قرار التكفير والحرمان !

وذلك ما أبطله الإسلام فلم يأذن لأحد أن يتوسط بين العبد وخالقه فيقول القرآن العظيم :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: 186] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى: 25] .

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: 82] .

كما ليس لأحد أن يوزع بطاقات دخول إلى الجنة والنار ، أو يحدد لمخلوق

مثله مكانه هناك ، فهو سبحانه الذي يدري أين يضع رحمته والرسول المصطفى نفسه لم يكن له شيء من هذه الحقوق الإلهية التي ينتحلها فينا ناس تسلطوا على خلق الله بكهنوتية أبطلها الإسلام .

إن سبيل الدعوة في القرآن :

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:125] .

ولعل عداء بعض المذاهب المحدثة للأديان ، إنما نشأ أصلاً بسبب ما انتحله رجال الدين فيهم من سلطة كهنوتية بررت باسم الدين البغي والاستغلال ، وهادنت الرجعية والفساد والطغيان ، واستنزفت أموال المتدينين الكادحين ، ثمنًا للمغفرة أو فدية من غضب الله !

أن حركة الإصلاح الديني التي قام بها (مارتن لوثر) تأثرت بمبادئ الإسلام في إبطال سلطة الكهنوتية وتحريم صكوك الغفران (1) وعقيدة الفداء ، فأنى لأحد أن ينتحل فينا هذا الحق ، وكتاب الإسلام قد رفع عن الإنسان إصر تلك الكهنوتية ، تقريرًا لحرية عقيدته ، وضميره وعقله .

ومع حرية العقيدة يقدر ويقيم القرآن العظيم حرية الرأي أي الكلمة وحرية التعبير وحتى يمكن أن يؤدي الجدل بالتي هي أحسن الذي يدعو إليه القرآن إلى طمأنينة العقل واطمئنان النفس لأن الجدل في المفهوم القرآني يفيد من خصائص الإنسان المميزة له عن غيره من الكائنات فيقول مثلا القرآن العظيم : ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ [الكهف:54] .

(1) اقرأ في هذا (صلة الإسلام بإصلاح المسيحية) . وهو بحث قدمه «أمين الخولي» بالألمانية إلى مؤتمر تاريخ الأديان في بروكسل سنة 1935 – ونشره الأزهر مترجمًا إلى العربية .

ولكن القرآن يعيب على الإنسان أن يجادل في الحق الواضح الجلي أو في الآيات البينات فيعاند ويكابر : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [غافر:56] .أو بمذهب بالتعصب والانغلاق والقصور في العلم والمعرفة متبعًا هواه ومجادلاً بالباطل بغير هدى ولا كتاب منير كما يقول القرآن العظيم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[الحج:8، 9] .

ومن الناس من يجادل بالباطل ليدحض به الحق فيصفهم القرآن العظيم بقوله: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال:6] .أما جدال الإنسان عن حاجة إلى الاقتناع والتبيين والمعرفة والاستيضاح فيوجهنا إليه القرآن العظيم لنستمع إليه ونناقشه بالجدال أيضًا فيقول: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:125] .ويقول : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦ ﴾ [العنكبوت:46] . ومن هنا كان من الأصول التي أثبتها القرآن العظيم في أمر العقيدة المر بالمعروف والنهي عن المنكر عملاً على إحقاق الحق وترسيخ العدل ومنع الفساد وغمامة الصلاح وانتهاج نهج الإصلاح واستقامة السلوك وتبني مكارم الأخلاق والإحسان في التعامل والمعاملات مع كل الناس المتساوون في القرآن في إنسانيتهم وأصلهم البشري وبحيث لا يتمايزون عن بعضهم البعض إلا بالتقوى لله والعلم النافع والعمل الصالح في كل أوجه الخير والصلاح والإصلاح وبمكارم

الأخلاق . وكما يقول القرآن : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات:13] .

القرآن كتاب التوحيد

جاء القرآن مقدرًا إن الله المعبود الحق إله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ووضع أساسًا جديدًا مبني على المعرفة والعلوم مجرد فيه الإله من صفات مماثلة الأحداث والمحدثات كالتجسيد والتشبيه والتصور والتخيل والاتحاد والحلول والتميز ووحدة الوجود وغير ذلك من أوجه الشرك . وقرَّب القرآن العظيم مفهوم الإله إلى الفكر الإنساني مع تنزيه ذاته بما أضفى عليه من أسماء حسنى وصفات عًلى حتى يكون مفهوم الإله محيطا بالإنسان في كيانه كله في عقله وقلبه وفكره ونفسه وشعوره وروحه وفي سلوكه الفردي والمجتمعي والاجتماعي إحاطة تجعل من الله رقيبًا على الإنسان في كل شئونه في سره وزظاهره وربط القرآن بين عقل الإنسان وروحه وبين الكون المحيط به من خارجه والكون الممتد بداخله أي في الآفاق وفي النفس ؟؟؟؟؟؟؟؟ ويشهد ويتأمل ويعقل ويفكر ويتدبر ويتذكر ويعلم ويفقه ويرى آيات الله المعجزة في الكونين (الآفاق والنفس) بما يزيد من ارتباطه بالله ويقوى إيمانه به وخوفه منه ورجاؤه فيه وحبه له متحققًا بالأمل والرجاء في رحمته وغفرانه وتوبته بما يحقق الاستقامة للبشر من الناس في السلوك والأعمال والأفعال من خلال مراقبة الله الذي يقول لنا القرآن العظيم أنه سبحانه وتعالى يعلم السر والجهر في كل وقت وحين وفي أي مكان وحال لا تأخذه سنة ولا نوم حي قيوم لا يغفل ولا يغيب ولا يضل ولا ينسى .

مفهوم الإله في القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم العقيدة في «الله» في تجريد لمعاني الإلوهية من كافة الخرافات والأساطير والتصورات والتخيلات والماديات والتجسيدات والقيود والتحيزات والتشبيهات ، وربط هذه المعاني بفكرة منزهة أو رمز أو مثال دال على

«الذات المعبود» له أسماء وصفات متصلة أو متوحدة في حقيقة مرموز إليها بلفظ «الله » تدل على الذات الواحد وعلى أسمائه وصفاته من خلال تجلية في الكون وفي كل الكائنات والقوى والطاقات المخلوقة . إن على الإنسان أن يزيد من معارفه عن الكون ومادته وطاقته ، وقواه عن كوكبه ونجومه ، عن مجراته وسدمه عن قوانينه ونظامه في الأفلاك والذرات ، عن الكائنات الحية العاقلة ، عن الإنسان وبنائه العضوي والعقلي .. إلخ . على الإنسان أن يسلك طريقًا معرفيًا من خلال الكون الذي يحيا على كوكب من كواكبه في مجموعة من مجموعاته في مجرة من مجراته ، فيما هو منظور له من أفق المنظور واللامنظور لتزداد معرفته بالمخلوقات وبالتالي بالخالق سبحانه ، بقراءة آيات الكون المسطور باحرف من نور في كتاب الوجود ، يلج بعقله وبروحه آفاق هذا الكون الفسيح الممدود وآفاق معاني أسماء وصفات الإله الحق .

لقد خاطب القرآن عقل الإنسان موجهًا إياه للنظر والبحث في حقيقتين قائمتين ، التركيب الإنساني ذاته بوحدته العضوية القلبية والروحية والتركيب الكوني بوحدته المادية الطاقية :

-يبحث في الخلق وأسلوبه وأشكاله والقوانين أو السنن التي تحكم حركة المخلوقات في الأرض .

-يبحث في النجوم وطاقاتها وأنوارها السارية وخواص هذه الأنوار والأضواء.

-يبحث في المادة وتكوينها الذري ، وحقائق التركيب الذري وما يتصل بها من تفتيت والتحام وحركة ونظام وخواص وطاقات .

-يبحث في الحركة الفلكية يستنتج منها أفكار الزمان والتقويم الزمني والحساب الزمني .

-يبحث في الطاقات المسخرة له في إطار كوكبه الممهد لحياته وتطورها في ترقي وتكمل .

-يبحث في عجائب المخلوقات على الأرض ، فوق سطحها ، وفي باطنها ، وفوق مياهها ، وفي أعماقها وفي أجوائها .

-يبحث في عوالم الجماد ن وعوالم النبات ، وعوالم الحشرات والحيوان والطير .. إلخ .

-يبحث في عالم نفسه وحقائق تركيبه العضوي ونشاطه العقلي والروحي .

-يبحث في طبقات السماء الدنيا والأجواء ليخترقها بما أوتي من سلطان قادر على النفاذ من أقطارها بالعلم .

في ذلك كله ، وفي غيره ، نزلت نصوص الكتاب العربي ليقرأ قرآنًا على الناس على مكث ليتدبروه ، ميسرًا للذكر ليعلموه ، متدرجًا في البناء ليقيموه ، ينطلق الإنسان في وجود نفسه ووجود الكون الخارجي ، يشهد الحقائق الطبيعية أو الأسمائية ، مدركًا على قدره مقادير إتقان صنعها ودرجات سعتها وكثرة صورها ، واختلاف أشكالها ، واستمرار حركتها ، ودوام امتدادها وحقيقة إطلاقها ، وطبيعة قوانينها أو سننها ، وسر وحداتها وقدر مجهولها ..ليبني من خلال هذه المعارف عقيدته في «الإله» ويسلك عن طريق الكون المادي والطاقي مسالك المعرفة المرتبطة بالحواس وبإدراكه الزائد عن الحواس «أي طاقته الروحية »في الطريق المكتشف لعظمة وقدرة «الله» سبحانه ، الاسم الجامع الدال على «الذات المعبود» الذي ليس «كمثله» شيء في كل شيء سبحانه وتعالى عما يصفه الواصفون ، أو يتخيله المتخيلون ، أو يتصوره المتصورون .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ

ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: 22 - 24].

الإلوهية والكون

والقرآن يخبرنا بأن هناك صلة قوية بين الإلوهية وبين الكون وطاقاته وقواه، ومنابع الطاقة في الكون عديدة نذكر منها على سبيل المثال: أشعة الشمس والرياح والوقود «البترول، والفحم» والماء الجاري والأغذية العضوية والمتفجرات وحرارة باطن الأرض والكهرباء والجاذبية والذرة .. وغيرها ومن الآيات القرآنية الدالة على هذه الصلة «الخالق والمخلوق» ما يلي:

1 - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: 2 - 4].

2 - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج: 65].

3 - ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [عبس: 24 - 32].

4 - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: 19].

5 - ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾

[الرعد:12] .

6- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور:43] .

7- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الجاثية:12] .

8- ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة:58- 64] .

إذا عرفنا أن جل التفسيرات الإنسانية المتصلة بالإله المعبود ، قبل القرآن قاصرة عن بلورة عقيدة متكاملة عن الإله وأسمائه وصفاته العلا في تنزيهها وكمالها ، لخلصنا إلى أن الأسلوب القرآني يعتبر الأسلوب الأمثل الممكن عن طريقه الوصول إلى معرفة أسماء وصفات الإله وتقديره حق قدره في ظل عقيدة متكاملة وتصور تنزيهي شامل .

إن التوحيد في القرآن العظيم يشمل الاعتقاد والعبادة والمعاملات والتشريع كما فيقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:65] وفي (الوحدانية) يخبرنا القرآن العظيم أنها تعني نفس الكمية المتصلة والمنفصلة ونفي الشريك في الأفعال عمومًا أي هي عدم التعدد في الذات والصفات والأفعال فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله . قال تعالى مشيرًا إلى تفرده سبحانه في الذات وعدم الشريك والمعين له سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:22] . .وقال تعالى في بيان

وحدانيته ونفرده سبحانه بالإيجاد مستدلاً على ذلك بمصنوعاته ومخلوقاته :﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:60- 64] . وقال تعالى في بيان وحدانيته تعالى في الذات والصفات والأفعال :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:1- 3] . وقال جل شأنه في بيان وحدانيته وصمدانيته تعالى ونفي كونه والدًا أو مولود وتنزيهه عن المكافئ والمماثل :﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:1- 4] . وقال دل شانه في نفي اتخاذ الولد والشريك وإقامة الدليل على ذلك :﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون :91] . وقال سبحانه وتعالى ردًا على بطلان دعوى من يقول بوجود آلهة غير الله تعالى :﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:42، 43] . وقال تعالى في عدم فلاح من أشرك مع الله تعالى غيره في العبادة :﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:117] .

هذا وقد حدثنا القرآن العظيم عن أسماء الله الحسنى وصفاته العلى بحيث لا

يصح أن نذكر الله إلا ومعه أسماؤه وصفاته فيقول : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180] .ويقول : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:8] . ويقول : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسـراء:110] . ولله تسع وتسعون اسما كما ورد في الحديث تنقسم إلى أسماء جمال وأسماء جلال وأسماء كمال وإن كان لله تعالى أسماء سمى بها نفسه أو أنزلها في كتابه أو جاءت في أحاديث نبيه أو علمها أحد من خلقه أو استأثر بها في علم الغيب عنده .

الذات الإلهي والأسماء الحسنى

هناك فارق موجود بين الذات وبين الأسماء فيما يتعلق بإدراك الإنسان . الإنسان – بكل إمكانياته – يعجز عن إدراك الذات ، ولكنه يستطيع أن يدرك أسماء – أوصفات – الذات عن طريق مظاهرها أو مرائيها في النفس وفي الطبيعة ونظامها الأمثل : ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:3 ،4] .

ومن هنا فإن أصحاب النظرة المادية يجانبهم الصواب حين يظنون أن العقيدة الدينية هي تقديس لمعبود لا تناله الحواس ولا يدرك صفاته العقل ، وتفترض معه جنة خيالية بعيدة عن الواقع ، ومن هنا فإن العقل الإنساني يتعامل مع فكرة الإلوهية في وضوح وليس في إبهام ، وذلك ، وذلك من منطلق حقيقة بسيطة وهي أن الله في الحقيقة : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور:35] . ولولا النور في الكون وهو سر كل الوجود وكل موجود لتعطلت الحواس الإنسانية ، ولساد الكون ظلام يعني الجهل التام بحقائق الوجود والتعطل التام لقدرة الإنسان على تشغيل الحواس ، وبالتالي تعطل المعرفة الإنسانية .وبذلك يتضح الفارق بين الكمال الإلهي والنقص البشري ، وعند هذه المرتبة يتلقى الإنسان «هدى» الإله ليختط على أساسه نمط سلوكه في حياته الواقعية ، يستعمل قدراته العقلية لتنمية

حصيلة تجاربه في إطار الممارسة الفعلية لتعاليم الدين وتوجيهاته ، وبما في هذه التجربة من خطأ وصواب واستقامة وانحراف وطاعة ومعصية وجهاد ومجاهدة وإيمان وكفر وتوحيد وشرك ..إلخ .

إن الإنسان يستطيع بعقله – وفي حدوده – أن يكون فركته عن الإله من خلال أسماء وصفات الإله الحسنى . وقد اعتبر الفيلسوف والشاعر الصوفي محمد إقبال أن تصور الذات الإلهية متصفة بصفات البشر أمر لا فر منه ولا يمكن تجاهله في فهم الحياة ، لن الحياة لا يمكن أن تفهم من داخل النفس ، بينما كان المخرج من تصور صفات الله على مثال صفات البشر هو الذي حدى بابن حزم الأندلسي إلى التردد في نسبة «الحياة» إلى الله فقال «وعندي أن تصور صفة الحياة للذات الإلهية يكون من خلال المظهر الكوني أو الكائن للاسم في الأشكال والصور المختلفة ومنها حياة الإنسان » وهذا التصور الأسمائي يقترن بالتنزيه الكمالي الواجب لله سبحانه وتعالى الواحد الأحد . النافي للمثلية عنه سبحانه وتعالى في كل شيء وهي دائرة توحيد الذات للذات التي أشرنا إليها فيما سبق . ويجب أن ندرك أنه لا يلزم تصور صفات الله على غرار صفات البشر ، كما ذكر ابن حزم ، ولا تصورها متصفة بصفات البشر كما ذكر إقبال ؛ إذا أخذنا في اعتبارنا فكرة «التضاد» فيما يتعلق بالكمال الإلهي والنقص الإنساني ، وربما كان من المفيد أن ينظر الإنسان إلى صفاته البشرية باعتبارها مظاهر أو مرائي للأسماء والصفات الإلهية الإيجابية التأثير ، كما تنسب صفات الإنسان إلى ذاته الواعية ، فإذا كان الإنسان ذاتًا واعية ومدركة وهو يتصف بالنقص في صفات فإن الله ذات واعية مدركة تحمل «الكمال» في أسمائها وصفاتها ، وهذا ما يقتضيه فارق النقص والكمال بين المخلوق والخالق والتوحيد والتعدد ، وتكون النتيجة أن كل نقص يضاف إلى السماء والصفات الإنسانية هو انعكاس لكل كمال يضاف إلى الأسماء والصفات الإلهية في إطار معنى (ليس كمثله شيء) أي في كل شيء ويذهب البعض إلى القول

بأن الذات باعتبارها ذاتًا ، لابد أن تشغل مكانًا – وهو في حالة الإله مكان خاص يليق بها ، ولكن الحقيقة – عندي – بالنسبة للآيات التي تتصل بهذا الأمر الذي نتحدث عنه ومثالها الآيات التالية :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[المجادلة:7] .

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:16].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق:16] .

الحقيقة عندي أن المفهوم الذي تبرزه هذه الآيات ليس هو «المكان» ولكن هو«الواسعة»التي تتصف بها الذات الإلهية في تجاوز للزمان والمكان النسبيين بالنسبة إلى القياس الإنساني .

إن أول ما يشد الانتباه إلى الفكرة الإلهية في القرآن هو استحواذ هذه الفكرة على الوجود في كل صورة وأشكاله ، بحيث تنتفي عن هذا الوجود كله صفة الاستقلال ، سواء في الإيجاد الأول أي الخلق أو في استمرار الوجود كله وبذلك أيضًا فإن فكرة الإلوهية تستحوذ على الإنسان الفرد – وينعكس أثرها بالتالي على الجماعة المنظمة – في حواسه المدركة وفي إدراكه الزائد على الحواس ، وفي فكرة وشعوره ونفسه وسره وخياله وتصوراته بحيث تمتد لأبعاد عميقة جدًا في الشعور والسر والخفى وما هو أخفى من دوائر الوعي الباطن أو اللاوعي ، وينعكس ذلك على السلوك الفردي حيث لا يراقب الفرد إلا نفسه ، وعلى السلوك الاجتماعي بدرجاته المختلفة (أسرة .. قبيلة .. جماعة ..شعب .. امة .. إنسانية) . بما تتجلى معه إماكنية التأثير للوجود الذاتي الإلهي على الوجود الذاتي الإنساني ليصبح

الإنسان ذاته إيجابي التاثير على نفسه وعلى الداوئر الاجتماعية التي ذكرناها سالفًا وهوما يفهم من : ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ، ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ . من هنا فإن موقف الإنسان الفرد من الإله سيمتد إلى موقف له من الكون بكل كائناته ومن المجتمع بكل أفراده يمكن معه أن تتبلور وتنطلق إيجابيه الإنسان لتبدع وتطور وترقي ، كما سيبلغ الإنسان اطمئنانه وامانه حين يفرض على نفسه نظام الله الأخلاقي ، ليعيش في سعادة ووفاق مع هذه النفس أولاً ثم مع سائر في المجتمع ، وأخيرًا مع الإنسانية جمعًا في العلاقة بين الشعوب والأمم لأن ذكر الإله يؤدي إلى الأمان والطمأنينة والسلام النفسي الذي ينعكس أثره حتى على الكيان العضوي الإنساني ذاته .كما ينعكس على علاقة الإنسان بكل الناس غيره .

إن الإنسان سيمكنه أن يدرك قدرات أو صفات أو أسماء الإله إذا بحث في الطاقات والقوى الكونية ، وهو سيجد أي يخضع حتمًا لله هداه عقله إلى معرفة الحقائق حول هذه الطاقات والقوى لنها عظيمة ، مخيفة ، فيها من مظاهر الجمال ما يدهش ، وفيها من مظاهر الجلال ما يحيره وهي حالات لا يعرفها إلا العلماء الذين يحتمل أن يكون قد فاتهم الإيمان بالقرآن نتيجة عدم دراسته ، أو دراسته سطحية بغير لغته العربية أو الإهمال نتيجة النظر إلى واقع المسلمين المتخلف ، أو إضمار سوء النية للقرآن ونبي القرآن ودين القرآن دين التوحيد .

يكرر القرآن في الآية 41 من سورة فاطر :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ وهو يشير بذلك إلى السنن والقوانين في الطبيعة وهي التي يثبتها القرآن جنبًا إلى جنب مع حقيقة الطاقات والقوى . إن الأمر بذلك هو أمر القوانين الطبيعية التي تتحكم في ، أو تحكم هذه الطاقات والقوى الكونية كلها في نظام . كل شيء يخضع للإمساك الإلهي أي

الإمساك بواسطة الطاقات التي تعمل في إطار قوانين وسنن محددة التي لولاها لتضاربت المخلوقات كلها في فوضى ، ويزول معها النظام وتحتل وتتضارب وتتناقض فيها القوانين ،وهي الحالة التي يصورها القرآن في تقريره :﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء:22] .

ويمكن لأي عالم أن يتصور النتيجة التي تحدث في الأرض لو سادت الفوضى محل النظام في المجتمع الكوني .. إنها نتيجة رهيبة من التدمير والفساد والخراب ، إن تحققت فمن ذا الذي يمكنه أن يعيد إلى المجتمع الكوني الهائل نظامه المفقود؟: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾[فاطر:41] إن الإنسان على الأقل لا يستطيع ذلك .

والإنسان يعلم ان الذرة هي التركيب الأولى لمادة الكون كله ، أي السموات والأرض كما يذكر القرآن .فما هو السر وراء إمساك الذرة أو توازنها ؟؟إن العلم يخبرنا أن النواة الذرية تركيب متماسك تماسكًا شديدًا لا يتفكك إلا تحت ظروف طاقة عالية جدًا .

ويخبرنا أن هناك ذرات مستقرة وذرات غير مستقرة إن عدم الاستقرار في نوى الذرات من عدم امتداده بالطاقة من الخارج ، يتصل بقوى التي تعمل بين مكونات النواة وتحفظها متماسكة مع بعضها البعض تامًا ، كما يخبرنا العلم أن تماسك الجسيمات النووية داخل النواة يرجع أصلاً إلى النقص في كتلتها في الحقيقة عن المجموع الكلي لكتل جسيماتها .وكلما زاد هذا النقص زاد استقرار النواة وتماسك جسيماتها ،وتسمى الطاقة المكافئة لهذا النقص بطاقة الربط ، وقد قاس العلماء كتل أغلب النوى المستقرة وغير المستقرة وحسبوا نقص الكتلة وطاقة الربط في كل منها ، وكانت النتيجة التي وصلوا إليها أن متوسط طاقة الربط التي تخص الجسم الواحد في نواة ، أي طاقة الربط مقسومة على مجموع البروتونات ،

تتراوح دائمًا بين 9.6 مليون إلكترون فولت .

والقوة التي تربط الإلكترونات في نواة الذرة هي «قوة جذب الكهربية الساكنة» ELECTROSTATIC .

إن العقل الذي يثبته القلب المؤمن سوف يصل إلى مدراك من الحقيقة عن طريق وجهها الكوني فقط ، بالضبط كما أنه سيصل إليها عن طريق وجهها القرآني فقط .ومعارج الحقيقة «علوم» وسبيلها «التجريب والتجريد الرياضي» أو«المشاهدة والاستقراء والاستنتاج » .. إلخ .

والعقل عندما يصل إلى الحقيقة في الصورة التي تتطابق فيها أجزاؤها في الكون من خلال التوحيد ومع القرآن فإنه سيكون قد وصل إلى المعاني الحقيقة للإيمان بالله وبالكتاب «القرآن» و«بالرسول الخاتم » الإنسان ويبقى على العقل أن يدرك تطابق الحقيقتين حتى نؤمن بوحدة الحقيقة ذاتها كما جاء بها الكتاب المقروء قرآنًا ، فيؤمن به وبآياته .والإيمان ينتج ويزداد بالبحث العقلي الذي يتوصل إلى إدراك تطابق الحقيقة في الكون مع الحقيقة في القرآن ،وهي تعني كما ذكرنا «وحدة الحقيقة في الكتابين المسطور (القرآن) والمنظور (الكون).

ولما كانت الحقيقة في ذاتها واحدة ولها مظهران ، كوني وقرآني ، فإن إدراك هذين المظهرين المتماثلين تمامًا لا ياتي بالدرجة الأولى إلا عن طريق البحث العقلي وترقي هذا البحث في صورة المعرفة الإنسانية .

ولما كان الكون حديثه هو حالته ، وتعبيره هو وجوده في الصورة الطبيعية (المادية الطاقية) وتسبيحه هو منطوقه غير المعلوم لنا ، فإن الإنسان يظل – وهو في دورة العاقل- في حاجة إلى حديث بياني بالأسلوب الذي يناسب ميزته العقلية ليدرك بهذا الحديث الحقيقة الكونية في صورة منطوقة ميسرة يمكنه أن يفهمها من حيث مخاطبتها لعقله .ويكون هذا الحديث مكتملاً في النظرة المعرفية ، اكتمال

الكون في النظرة الخلقية ، فيدرك الإنسان به أن الأمر كله هو الحق من عند الله ، وعندئذ تثبت الصلة بين الكون وبين مكونه ، وبين القرآن وبين منزله ، وبين الإنسان وخالقه :﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج:54] .

إن الذي يتناول مفهوم الإلوهية في القرآن – مع التفاوت في قدر الفهم – يتعين عليه أن يتناول موضوع الزمان ونسبته وصلة بالمكان من خلال النتائج الصحيحة للعلم الإنساني في مداركه المستمرة الترقي نتيجة النظر العقلي الدارس للكونيات والإنسانيات حتى إذا ما انكشفت ظاهرة نسبة الزمان وصلتها بالمكان – بما فيه الفضاء – فإنه يمكنه أن يترقى إلى الحقائق والأبعاد والخصائص الرياضية المحددة التي تصنف أو تفسر تصرفات الطبيعة وما فيها بما يفتح المجال لفهم توفيق عالم الروح الذي يشهد تجليات الإلوهية من زوايا إدراكية أخرى تنتج عنها علوم ومعارف لها طبيعة قد تختلف عن علومنا وتجاربنا مع العالم الطبيعي .

إن علينا أن نفهم كيف يتصرف العالم الطبيعي حتى نفهم كيف يتصرف ربنا سبحانه وتعالى في هذا العالم حتى تتضح لنا آيات الله ، خاصة فيما يضربه القرآن من أمثال كي يعقلها الإنسان ويتدبرها ويفهم معناها ، ولابد أن ندرك جيدًا أن هناك عالم روحي يسميه القرآن بعالم الأمر يختلف تمامًا عن هذا العالم الفيزيقي المتصل بالإنسان ، ومعلوماتنا بالنسبة لتصرف ربنا في هذا العالم الروحي ما زالت قليلة ، ومن ثم يكون الاعتماد على الوحي الإلهي ضروري لفهم هذا العالم بالقدر المتاح من المعلومات التي ينقلها إلينا هذا الوحي ز وليس يمنع ذلك من أن نجتهد بقدر ما يتوفر لنا من وسائل ومعلومات لفهم هذا العالم الروحي – عالم الأمر – فهمًا أكبر من خلال التعامل مع هذا العالم نظريًا أو اتصالاً واختبارًا بالقدر الذي تسمح لنا به علوم مثل الباراسيكولوجي والإدراك الزائد عن الحواس وما وراء الطبيعة وبعض التجارب الروحية الحديثة بالإضافة إلى علم السحر .

كما أن الذي يتناول مفهوم الإلوهية في القرآن ينبغي عليه أن يتناول مفهوم ، التعبير القرآني الذي ورد في طلع سورة النور والذي يقرأ :﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35] .

وهو تعبير يحوي معاني وحقائق عميقة جدًا في بيان مفهوم الإلوهية القرآني .ومنه نعلم أن الله سبحانه وتعالى هو موجد السموات والأرض ،وأنه سبحانه وتعالى مصدر الماديات والطاقات والقوى في السموات والأرض ، وأنه سبحانه وتعالى عليم ومحيط بالسموات والأرض وما فيهم ومن فيهم ، وأنه سبحانه وتعالى هو الموجد لمصادر الضوء أو النور في السموات والأرض ، وأنه لولا الله سبحانه وتعالى لانعدام ضوء أو نور السموات والأرض وانعدام كل ما فيهم ما ماديات وطاقات وقوى حتى يصير الكون عبارة عن فراغ في ظلمة .

لقد تحدثت الآيات في سورة النور عن مثل الله يقرب الأمر إلى عقولنا تيسير للفهم.

فالمشكاة والمصباح والزجاجة هم منافذ الوعي والإدراك العقلي والروحي لدى الإنسان .

المشكاة = الجمجمة .

الزجاجة = المخ .

المصباح= العقل أو القلب .

والزجاجة أو المخ توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية أي أنها شمالية جنونية في إشارة إلى الطاقة الكهرمغناطيسية التي يعمل بواسطتها مخ

الإنسان عن طريق الكهربية الموجودة في خلايا المخ المعروفة بالنيورونات .

وزيت الزجاجة التي هي المخ كما قلنا يضيء من طاقة أو قوة غير النار بحيث يكون الزيت أو الوقود هو الكهرباء بينما الإضاءة أي العمل العقلي أو الروحي مصدره نور رباني من النفخة الروحية ، أي طاقة ربانية لا نعرف عنها شيئًا حتى الآن هي التي تتصل بها وتستمد منها الروح نشاطها الواعي بعد موت الإنسان وتوقف عمل المخ وانعدام الاتصال بوقود الشجرة الذي هو الطاقة الكهربائية .

وتعتبر الشجرة مباركة لأن الذي أنبتها هو الله سبحانه وتعالى ، كما أنها زيتونه لأنها أساس السلام الكوني كله في ذراته المتعادلة سلبًا وإيجابًا بما يتضمنه الذرة من قوة ربط أو طاقة ربط لمكوناتها هي التي عبر عنها القرآن بقوة الإمساك في قول الله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ . والنور في الآية :﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يحتوي على خصائص تزيد أو تعلوا على خصائص النور الفيزيقي أي الضوء .

فالنور الفيزيقي خاصيته الأساسية هي الإضاءة فيما نعرف من الكهرباء وما يتصل بها من مغناطيسية كما أن النار مصدر للنور أو الضوء .

أما النور الوارد في سورة النور فهو إلى جانب خاصيته في الإضاءة الشديدة له خاصية الوعي والإدراك فيما نعرف من الوعي العقلي أو الروحي ، ونقصد بالوعي العقلي وعي الإنسان المتصل بالجمجمة والمخ وقودها من الزيت الذي هو الكهرباء أو الشجرة المباركة الزيتونة في اتصال بالحواس ونقصد بالوعي الروحي الوعي المتصل بالمخلوقات الروحية الصرفة كالملائكة والروح القدس ، وكذلك أيضًا الوعي الإنساني العقلي عندما يتجرد من الحواس أو عندما يتصل بالوعي الروحي للكائنات المتصل بالقلب والبصيرة وأخيرًا هو يعني (الهداية) من الله أي نور الهدى والهداية إلى الحق .

الوعي العقلي لدى إنسان هو نور من النفخة الربانية الروية ويظهر نشاطه عند الإنسان بتفاعل مختلف أجهزته الجسمية في اتصال بطاقة الكهرباء وفي استمداد من طاقة نورية ربانية لا نعلم عنها شيئًا .

فهناك علاقة بالنسبة للإنسان بين الكهرباء بنورها أو ضوئها الفيزيقي وبين إشراق خصائص ونشاط أو عمل النور الرباني الروحي الذي هو معجزة العقل (1) لدى الإنسان ، بحيث تظهر الطاقة العقلية لدى الإنسان وهي ذات الخصائص الروحية النورية ، من خلال ذلك التكوين الهيكلي المسوي الذي تتصل به الطاقات الكونية المعروفة في الكون ، وعندما يصل الإنسان إلى مستوى الوعي الروحي فإنه عندئذ لن يحتاج على وساطة الكهرباء لإظهار نشاط هذا الوعي لديه.

كما أن العوالم الروحية الصرفة لا تحتاج لأي طاقة فيزيقية – كهربية أو غير كهربية – لأداء وظائفها ونشاطها .

إن إدراك الله سبحانه وتعالى للكون هو إدراك كلي بالكليات والجزئيات وهو غير محدود ومن هذا الإدراك الكلي غير المحدود تكون هبة الإدراك الجزئي المحدود للإنسان فالله سبحانه وتعالى :﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه:98] ، أما علم الإنسان الجزئي فهو مواهب جزئية محدودة من الكل الشامل المحيط غير المحدود : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[البقرة:255] .

ولما كان البقاء الأولى الأخرى ، أي البقاء الذي لا بداية له ولا نهاية ، هو من خصائص الإله وحده ، فإن كل كائن يتميز بنوع من الإدراك الواعي ، والذكاء لابد أن يكون فانيًا أي يدركه الموت ويكون الفناء من طبيعته التي خلقه الله عليها ،

(1) اللب باعتباره مركز المخ ومتحكم في النشاط المادي للإنسان ، والفؤاد باعتباره مركز القلب ويتحكم في النشاط الروحي للإنسان .

وهو المعنى الذي يمكن أن يشمله النص القـرآني : ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن :26، 27] .والكـون لا يحـد الله سـبحانه وتعـالى لأن الكون دائم التغير في اتساع وامتداد بعد انكمـاش ، وكـان مركـزًا مـن كـرة النـار ، والغازات ذات كثافة عالية كانت هي نواة كل المادة والطاقة في الكون الـذي كـان لا صوريًا في الأصل وصوري بعد مراحل تطوره في الزمان (1) .

كيف نعرف الله في التوحيد القرآني ؟

ومع هذا النظر العميق في آلاء الله من خلال عمق الصنعة الكونية ومـا بـث الله فيها من دابة وما قد يبدو معه المر من صعوبة في فهم قدر الإلـه سـبحانه وتعـالى ، فإن الأمر يعود في حقيقته ليكون بسيطًا أشد البساطة (2). ولعلنا يمكـن أن نقـول :إن أعظم شيء في مفهوم الإلوهية القرآني أن الذات غير المدرك يمكـن أن يكـون واضحًا بشكل بسيط وميسر . أو بعبارة أخـرى إن بلـوغ «الإلوهيـة» في القـرآن في فهمنا لها لدرجات من الصعوبة العلمية الشديدة لا يتنافى مع أن يبـدو الله سـبحانه وتعالى في نهاية الأمر في مفهوم بسيط وواضح أشـد الوضـوح ،وهـذا هـو المعنـى الذي قصد إليه رسول الله ﷺ حين قال فيما روى عنـه في كتـب الحـديث (اللهـم ارزقني إيمان العوام) أي إيمان البسطاء من الناس ، أولئك الذين قال أحدهم : إن البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير أفـلا يـدل هـذا الكـون العظـيم عـلى الخالق سبحانه وتعالى ؟) أو كـالمرأة التـي سـئلت عـن ربهـا فنظـرت إلى السـماء

(1) هذا ما تقرره نظرية «الدوي الكبير» (BIBANG) العلمية الحالية تمشيًا مـع المفـاهيم القرآنيـة ومفهوم النظرية باختصار غير مخل هو الآتي : إذا كان الكون يتسع بصفة مستمرة ورتيبة فإنه يكون من المنطقي أن نفترض أنه كان أصغر .

(2) ونفس الشيء بالنسبة للكون وتفسيره الفيزيائي .فرغم أن الكون يبدو في طاقاته وأسـاليب تكـوين وتصرف هذه الطاقات شديد الصعوبة في فهم تركيبة وطريقة عمل وتكوين طاقاته فإن أعظم شيء في هذا الكون ذاته هو إمكانية فهمه في النهاية في صورة مبسطة واضحة أشد الوضوح .

وقالت هو في السماء)مستهدفة نفس المعنى الذي قاله الأعرابي السابق .

إن البساطة الكائنة في فهم الأسماء الحسنى وصفات الإله المعبود في المفهوم القرآني التوحيدي تنأى بالناس عن تعقيدات وألغاز وطلاسم معتقدات التثليث وقد أشار إلى الحاجة على البساطة في فهم الإنسان لصفات الله توماس جيفرسون ثالث رئيس للولايات المتحدة الأمريكية الذي قال بلغته (□):

When we shall have done away with the incomprehensible jargon of the Trinitarian arithmetic. That three are one, and one is three; when we shall have knocked down the artificial scaffolding. Reared to mask from view the very simple structure of Jesus; when, in short, we shall have unlearned every thing which has been taught since his day, and got back to the pure and simple doctrines he inculcated, we shall then be truly and worthily his disciples.

القرآن يخبرنا على سبيل المثال بأن الله يقترب من الإنسان بقدر اقتراب الإنسان منه . إن الله يوجه الإنسان في سلوكه بقدر ما يتوجه الإنسان إليه .وهو الذي يستشعره الإنسان في كل نفس من أنفاسه خلالف تجربته في الحياة التي يلتقي فيها في كل تجربة مع الله بأسمائه الحسنى التي تحيط بالكون كله بما فيه الإنسان من خلال الحب والرحمة والتسامح الإلهي مع الخلق المفتقرين دائمًا إلى هذه النعم التي تميز العطاء الإلهي للإنسان . كل واحد حسب استعداده ومستواه من الحب لله والقرب إليه والاستمداد منه والإسلام له والتنزيه لمقامه .والإله يعلن عن نفسه بأنه قريب من كل إنسان قربًا هو أقرب من قرب أعضاء الإنسان للإنسان . قربًا يشمل كل إنسان فرده في سره وعلنه .. في فكره وسلوكه .. منفردًا كان أم في جماعة الله قريب من الفرد ومن الأسرة ومن المجتمع ومن الشعب ومن الأمة ومن العالم بكل من فيه وما فيه من مخلوقات ..ومن الكون كله ، ولذلك لا يحتاج الإنسان إلى وساطة كهنوتية للتعامل مع الله والتقرب إليه والاقتراب منه من

(1) الرئيس المريكي توماس جيفرسون وهومن أتباع الموحدين Unitarians

خلال علاقة بين الفرد وربه تقوم على الإسلام والإيمان والإحسان واليقين والمحبة والإخلاص والطاعة والصدق .. إلخ .

وتستند إلى فهم لصفات الله الواحد الأحد أو أسمائه الحسنى والاستشعار العقلي والروحي لوجوده وإحاطته ،وإحاطة علمه ، وسمعه ، وبصره ، وحياته ، وقربه ، وعدم غفلته لحظة زمان ، وديمومته ، وقيوميته إلى سائر أسماء وصفات الله سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا معا يصفون ، والتي يمكن للإنسان أن يفهمها ويدركها من خلال التشبيهات والأفعال والحكم في اتصاله بالكون والمخلوقات فيه ، والنفس الإنسانية وتجاربها في الحياة في نسبية الفرق بين الخالق والمخلوق .

وقد روى عن النبي ﷺ قوله : (تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في ذات الله ، فأنكم لن تقدروه قدره) وهو ما يعكس معنى النص القرآني : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [الزمر:67] ، فذات الله سبحانه وتعالى من الغيب الذي لا يمكن إدراكه بالحواس : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [الأنعام:103] ، ومن هنا يعجز العقل عن إدراكه كنهه ، ولذلك يسلم العلماء اليوم – أو كثير منهم – بأن قدرة الإنسان على الملاحظة لا تستطيع أن تمتد لغير جزء ضئيل نسبيًا من الحقيقة الكلية ولذلك يقول روبرت موريس بيج(1) : « إن الإله الذي يسلم الإنسان بوجوده لا ينتمي إلى عالم الماديات ولا تستطيع حواسنا المحدودة أن تدركه باستخدام العلوم الطبيعية لأنه يشغل دائرة غير دائها المحدودة الضيقة » .

ولكن للذات أسماء كلها حسنى لا يتصف بها في كمالها غيره سبحانه وهذه الأسماء تنعكس في المخلوقات كلها المعروف منها لنا وغير المعروف ، المنظور منها وغير المنظور ، ومن هنا تكون معرفتنا بالإله الذي تعبده . فهذا الإله في ذاته

(1) مكتشف الرادار عام 1934 Robert Morris Page .

المجهولة لنا يمكن التطلع إليه باعتبار أن له أسماء أو صفات معلومة يكون إدراكنا لها من خلال آثارها الناتجة عنها . هذه الآثار هي كل ما يدخل في دائرة المخلوق ، المادة والطاقة والنبات والحيوان والإنسان والملائكة والروح والجن وما قد يكون في الكون من عوالم ذكية لا نعلمها . هذه الآثار كلها – أي المخلوقات – تدخل في إطارها القوانين السارية في الكون أو السنن كما يسميها القرآن . وبقدر الإحاطة أو لإحصاء لما هو مخلوق تكون الإحاطة أو الإحصاء لأسماء الله الحسنى ، ولما كان العلم لا يمكنه أن يصل إلى درجة الإحاطة النهائية بكل ما هو مخلوق فإنه لا يمكن بالتالي الإحاطة بالأسماء كلها فضلا عن ذات الله وهو المعنى الذي يقول فيه القرآن في سورة طه :﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:11] ، وهذه الكثرة المخلوقة في صورتها الحالية تعكس في حقيقة النشأة الأولية وحدة مخلوقة هي كرة النار المبدئية التي هي مصدر كل المادة والطاقة الكونية وهذا إذا اعتبرنا أن نظرية الانفجار الكبير (Big Bang) صحيحة .وذلك أمر مفهوم لأن الأسماء الكثيرة تعكس وحدة واحدة خالقة هي الذات المعبر عنها بلفظ الجلالة (الله) وإذا كان علماء الفيزياء يحدثوننا اليوم عن القوى الأربعة التي يتكون منها البنيان الكوني كله وهي الجاذبية والكهرومغناطيسية والقوة النووية الشديدة والقوة النووية الضعيفة فإنه من غير المستبعد أن تكون هذه القوى الأربعة مرتبطة فيما بينها ارتباطًا وثيقًا وتعكس قوة واحدة تربطها جميعًا ، وتعتبر هذه القوى الأربعة مظاهر متعددة لحقيقتها الواحدة وعلم الفيزياء المعاصر قد أثبت لنا وحدة القوة الكهرومغناطيسية والقوى النووية الضعيفة فيما سمى بنظرية (The Electro Forces) . وإذا كان علماء الفيزياء يحلمون بتحقيق (نظرية التوحيد للقوى) (Grand Unified Theory) على أساس الوصول إلى الاحتمال الذي قلناه سالفًا من توحيد القوى الأربعة في قوى واحدة – وهو الأمر الذي يجد بنا أن نشير إلى أن واضع نظريتي النسبية كان يعمل على

الوصول إليه ولأنه مات دون أن يحققه – فإنه من غير المستبعد أن يجيء اليوم الذي يتحقق فيه هذا الذي يرجوه علماء الفيزياء ، ومن ثم تنعكس القوى الأربعة الأساسية في البنيان الكوني كقوة واحدة في الحقيقة تعكس بدورها الإله الواحد الذي نؤمن به ونعبده وتكون هذه القوة الواحدة المخلوقة عاكسة للقوى الواحدة الخالقة ويكون المخلوق كما سبق أن قلنا انعكاسًا للأسماء وأثرًا من آثارها مخلوق وخالق .

ولما كانت هناك موجودات مخلوقة في العالم الفيزيقي ما زالت لا ترى حتى بدأت وسائل الرؤية ومثالها كما ذكرنا في غير الموضع (Quarks)داخل البروتون والنيوترون في نواة الذرة وهي الموجودات التي أمكن لعلماء الفيزياء اكتشافها مع إمكان أن تكون هناك أنواع من الحبيبات الأخرى أكثر صغرًا لم يكتشفها العلماء بعد ولا يمكن أن كتون محل ملاحظة في المعمل ، نقول لما كان ذلك كله فإنه يكون من البديهي أن نؤمن بصحة ما يقرره القرآن عن استحالة إدراك الله سبحانه وتعالى بالبصر .

ويصبح الأمر أكثر بداهة إذا أدخلنا البعد المكاني إلى جانب هذه الحقائق الفيزيائية ، فالكلام في زمان بداية الخلق – وبالتالي نظرية علمية تتحدث في هذا الشأن – يصعب أو يستحيل تصوره – مثل لحظة الزمان في البداية عشرة أس خمسة وأربعون من الثانية يعتبر أبعد وأعلى مما يستطيع أن يعالجه الفكر الإنساني الذي يعالج زمانًا حول عشرة أس سنة وعشرين من الثانية فقط أما فوق ذلك من لحظات الزمان فلا يمكن تصوره ولا إخضاعه للتجربة (1) .

ويبدو أن كل هذه الترتيبات في القوى الكونية قد خلقت بطريقة تمكن لحياة

(1) يحاول العلماء جاهدين أن يصلوا إلى أقرب بعد زماني من لحظة الخلق الأول الذي حدث فيها الانفجار الكبير ، ولكنهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يصلوا إلى هذا البعد الزماني للصعوبة البالغة التي تكتنف تلك المحاولات النظرية التي لا يمكن إخضاعها للتجربة .

الإنسان بعد ظهوره ولولا هذا الترتيب الهادف المقصود لما كنا نحن هنا الآن لنقول ما نقول عن هذا الكون وعجائبه . والسر في ظهر النوع الإنساني هو تلك الصفوة المختارة منه لتكون الواسطة في هداية البشر نحو القانون الذي يضعه الله سبحانه وتعالى للإنسان ليعيش به في نظام أخلاقي واجتماعي قائم على أساس التوحيد بالضبط كما وضع الله سبحانه وتعالى القانون للسماوات والأرض ليعيش الكون بقواه المختلفة في نظام أساسه التوحيد . وصفوة المختارين هو الرسول الخاتم الذي ظهر في صورة بشرية وحقيقته نورية في ذاتها الممدة بالنور لغيرها من الذوات ، وقد وصفها القرآن بأنها سراج منير .

وهناك أمور غيبية كثيرة لا يزال العقل البشري عاجزًا عن الوصول إلى أبعادها الحقيقة رغم التقدم الهائل في علوم الكون وعلى سبيل المثال فإن الحد المعاصر للعلوم الفيزيائية لا يزال عاجزًا – ربما لطبيعته ذاتها – عن الوصول إلى حقائق الغيبيات التي لا تخضع لمقاييس الحس البشري بطبيعتها والتي مع ذلك تضفي عليها العلوم الرياضية أكثر وضوحًا في البيان .فالرياضيات تعتبر أعلى درجات العلوم في الصحة والدقة ، وبالتالي أقدر العلوم على التغلغل النظري إلى أبعاد تعلو الأبعاد التي يعالجها علم الفيزياء وعلم الفلك الفيزيائي وفيزياء الكم .

الحديث في الله والكون يجيء من منطلق الترابط اللازم بين الخالق والمخلوق ، وهي الحقيقة التي يبرزها القرآن ويكررها عبر آياته من خلال سورة . وذلك أن الكون كله متحقق بمشيئة الذات الإلهية وإرادته وحدها دون شريك أيا كان . وسر البداية الوجودية هو في الحقيقة سر البداية الإيجادية بالأمر المعبر عن الإرادة[1] والمنقول هو: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:83] . ولما كانت الحياة لا

(1) أي أن هذا الوجود أوجده الله سبحانه وتعالى بإرادته وتكون لهذا الكون بداية ناتجة عن امر الله الذي توضحه كلمة «كن فيكون» التي وردت في القرآن .

تزال قائمة ، ولا تزال العمليات الكيميائية والطبيعية تسير في طريقها فإننا يمكن أن نقول بالمفهوم العلمي : إن هذا الكون لا يمكن أن يكـون أزليًـا وإلا لاسـتهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود ، ويكون المر أنه لابـد أن يكـون لهـذا الكـون بدايـة ،وهـو المعنـى الـذي يقـول فيـه أحـد كبـار علمـاء الحيـوان والحشرات (1) : «إن العلوم تثبت وجود الله لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قـد بدأ بنفسه ولابد له من مبتدئ أومن محرك أول أومن خالق ، هو الإله » .

والحركة – ويمكن التعبير عنها بالسلوك أيضًـا – هـي نتـاج الإرادة والمشـيئة لذات الإله والحركة والسلوك المتصلان بكل أنواع المخلوقـات وعـلى اخـتلاف المراتب – المادية أو الطاقية غير العاقلة (السموات والأرض) ، الطاقيـة العاقلـة (الملائكة والروح) ، والمادية الطاقية العاقلة (آدم) ومع الأخذ في الاعتبار لحقيقة الحرية والاختيار فمشيئة الذات الإلهية سـابقة بالضـرورة عـلى مشـيئة الغيـر مـن الذوات سواء بالنسبة للمخلوقات العاقلة أو غير العاقلـة : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الإنسـان:30] . ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف:23، 24] . ما يمكن معه أن نقـول : «إن مـا شـاء الله كـان ومـا لم يشـأ لم يكن». أما الأمر الذي تنتج عنه الحركة أو ينتج عنه السـلوك فيختلـف مـن حيـث المخلوقـات ذات العقـل المكتمـل والأخـرى غيـر ذات العقـل . ألخيـرة تسـير وتتحرك وفق قوانين موضوعة لها لا تحيد عنها ، هـي السـنن في التعبيـر القـرآني . والملائكة والروح يـدخلون في هـذا الإطـار المطيـع للقـوانين والسـنن وتتصـل بالخلق كله اتصال تأديه دور معين أو مهمة معينة لا تحيد عنها وهو ما ينطبق أيضًا على سلوك المادة والطاقة في الكون والأولى لها الحرية والاختيار .

وهناك الإرادة ثم الأمر ثم الأشياء أو المتحققات الوجودية أو الخلـق :﴿إِنَّمَآ

(1) Edward Luther Kessel

أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:82]، وآدم المسوي العاقل كما علمنا القرآن أي الإنسان العاقل الذي سواه الله ونفخ فيه من روحه هو المخلوق الذي أردا الله له أن يكون حرًا مختارًا يتحرك أو يأتي سلوكه في إطار من توجيه العقل الحر، أو الاختيار في إطار عريض من قانون موضوعه من الذات الإلهية اتخذ شكل كتب موحى بها عن طريق الروح جبريل إلى مختارين من بني آدم خاتمهم الأكمل هو محمد وكتابه الخاتم هو القرآن ودينه هو التوحيد. وتعبير كن فيكون هو الكلمة العربية التي جاءت في القرآن العربي. وهو تعبير بياني ميسر للذكر غايته تفسير المتحققات الوجودية ذاتها أو ما يجب أن يسميه البعض «الطبيعية» أي الخلق الموجود والشئون المتجددة الظاهرة والباطنة. ولذلك كان العلم بالمتحققات الوجودية كلها في الظهور والبطون – بما فيها الإنسان في ظاهره وباطنه – من صفات الله سبحانه وتعالى بالضبط كالإرادة ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[البقرة:33].

ولما كان العلم والإرادة من صفات الذات فهما سابقتان على متعلقهما الخلفي الذي هو سر الكلمة(1). ثم يدخل هذا المتعلق الخلقي ضمن ألمر الإلهي بالإيجاد والخلق، فيكون حينئذ من الطبيعي أن يعلم الله ما خلق، وهو الأمر الذي يقرره القرآن فعلا في تقريره: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك:14].

وبالنسبة للإنسان بالذات كنوع مخضوض من الخلق عامة فإنه من الطبيعي أيضًا أن تجئ التقريرات القرآنية مؤكدة للعلم الإلهي بحركته أو سلوكه، وبباطن معقولة فيما عبر عنه بالسر والخفاء وما هو أخفى، وهي دوائر متفاوتة العمق في القوى الإدراكية للإنسان: ﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ [التوبة:78]. ﴿وَأَعْلَمُ مَا

(1) المقصود بمتعلقهما الخلقي هو الوجود الناتج عن الكلمة التي عبر عنها القرآن بلفظ (كن فيكون).

تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة:33] . ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه :7] .﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر:19].

إن القرآن يقول لنا إن الله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد لم يكن اله كفوًا أحد بمعنى أ، شيئًا لم يتوالد عنه أومنه ، وأن سبحانه وتعالى وإن كان الله سبحانه وتعالى لم يتوالد من شيء غيره ، فهو أزلي أبدي أو هو أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى لم يتولد من شيء غيره عن إرادته ومشيئته بسر الكلمة أي كن فيكون ، والتي شرحنا معناها مثل ذلك في الكتاب .

فالكون كله . بمادته وطاقاته وسائل كائناته العاقلة الذكية الطينية والنارية والنورية قد خلق بفاعلية الأسماء الحسنى والصفات ونشاطها المستمر في الخلق والإيجاد والتصوير فيما يظهر من اشكال وصور كثيرة للمادة والطاقة باعتبارها آيا دالة على الله موجدها لأن القرآن يخبرنا بأن الله سبحانه وتعالى هو خالف كل شيء وقدَّره تقديرا .

إن المدخل الأصيل للتوحيد (1) . هو الأسماء التي يقرر بإزائها القرآن : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[الإسراء:110] .﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف:180] . ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه:8] .

والأسماء الحسنى تنقسم إلى أسماء جمال ، أسماء جلال ، وأسماء كمال ، وقد أورد القرآن تسعة وتسعين اسمًا هي التالية :

الله . الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ،

(1) أي توحيد ذات الله . وفي معناه قول النبي ﷺ «سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» .

العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، القهار ، الواحـد ، القهـار ، الوهاب ، الرزاق ، القوي ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكـم ، العـدل ن اللطيف ، الخبير ن الشكور ، الحليم ، القيوم ، العلي العظيم ، الغفـور ، الحفـيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، البـاقي ، ذو الجـلال والإكـرام ، الغنـي ، الكـريم ، الرقيب ، القريب ، المجيـب ، الواسـع ، المبتـدئ ، المعيـد ، الـودود ، المجيـد ، الماجد ، الحق ، الباعث ، المحصي ، الشهيد الوكيل ، الولي ، الحميد ، المغنـي ، الهادي ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخـر ، الظـاهر ، الباطن ، المحي ، المميت ، الـوالي ، الكبيـر المتعـال ، البـر ، التـواب ، المنـتقم ، العفو ، الرؤوف ، المقسط ، الجامع ، المانع ، الضار ، النافع ، النـور ، البـديع ، ، الوارث ، الرشيد ، العليم ، الصبور .

ولما كان الله سبحانه وتعالى كما يقول القرآن العظيم واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد لا يتغير فإن علمه أيضًا وهو صفة قديمة له من اسمه (العليم) علم كلي وكامل وشامل ومحيط بكل شيء في كل شيء لا يتغير ولا يتجزأ فإن القرآن العظيم في مستواه في علم الله الذاتي (قرآن الذات) أو في قضائه المنفذ لقدره وكما هو في علمه فيما يخلق ويصنع ويوجد ويفعل وينشيء في كتابه المنظور (الكون العظيم) وفيما نزل بالبيان في كتابه المسطور (القرآن العظيم) ، أقول القرآن العظيم هوهو واحد لا يختلف ولا تتغير فيهما الحقائق وإنما تتحد في (وحدة الحق) الممثلة للحق الواحد الأحد الذي خلق وأوجد كل شيء بالحق . إن الله الحق واحد وإن تعددت أسماؤه وصفاته فهي متخذه ومتوحدة في المعنى الطاقي الأسمائي وإن كانت مختلفة في التأثير .فالذات الإلهية كما يقول لنا القرآن العظيم لا تعدد فيها ولا في صفاتها ولا في أفعالها فالله سبحانه واحد في ذاته واحد في أسمائه وصفاته واحد في أفعاله وقد قال الله تعالى مشيرًا إلى تفرده سبحانه وتعالى في الذات وعدم الشريك والمعين له سبحانه :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:22] . وآيات كتاب الله الحكيم الخاتم لكل الكتب كثيرة في بيان وحدانيته وتفرده سبحانه وتعالى بالإيجاد وبصمدانيته (الصمد) وتنزيهه عن المكافئ والمماثل والشريك والوالد والولد لا يماثل المحدثات ولا تماثله المحدثات والحادثات فليس كمثله شيء في أي شيء وكل شيء ويقول لنا القرآن العظيم في :﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد :19] . وهو سبحانه يقول لرسوله في كتابه الحكيم الخاتم :﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:1– 3].

يصح أن يكون هنا إخبار عن صلح الحديبية على الأرجح في الفهم أما غفران الذنوب فهو كتابه عن عدم المؤاخذة أو هو (الستر) لأن الغفر هو الستر العبد والذنب أو بين العبد وعقوبته .وكما جاء ذلك عن الشيخ حسنين محمد مخلوف في تفسيره « صفوة البيان لمعاني القرآن ».

والقرآن يقول في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور أن (الله نور السموات والأرض ...) ثم يضرب مثلاً لهذا النور في بقية الآية فيه الشجرة المباركة الزيتونية اللاشرقية واللاغربية (أي الشمالية الجنوبية) قطبًا المغناطيس المتصل بالطاقة الكهربائية) وهي شجرة الطاقة الكهربائية المغناطيسية التي من نورها يوقد المخ الزجاجي ثم يكون العقل (المصباح) في المثل الذي ضربه القرآن العظيم لنور الله نور السماوات والأرض ويضيف الدكتور محمد عادل الحلو معنى ومفهوم الآية القرآنية في فهمه فيقول : في كتابه : «رحلة العلم من الإلحاد إلى الإيمان» «إن النظام «النوراني» الكهرومغناطيسي المنشيء للذرات (وهي مكهربة) يدفع عملية تجاذبها وتكاملها في مجموعات طبقًا لقواعد «ثابتة» منظمة وغير عشوائية منشأ بذلك كل مادة من المواد الموجودة في هذا الكون كمجموعة

مترابطة من الذرات» انتهى .

إن الكون يتألف من جسيمات دقيقة فائقة الصغر هي الذرات والذرة تتألف من نواة من البروتونات والفيوترونات تحيطها الكترونات تدور حولها . والبروتونات ذات شحنة كهربائية موجبة بينما شحنه الإلكترونات الكهربائية سالبة ومعادلة أو النيوترونات قديمة الشحنة الكهربائية . وتخلص نتيجة تعادلها إن الطاقة الكهربائية والموجات الكهرومغناطيسية سارية في الكون كله وبما يمكننا فيه أن نفهم ونتفهم شيئًا عن الآية 35 من سورة النور في القرآن العظيم التي ذكرناها سابقًا وهي أن :﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ويكون تسلسل الوجود الكوني بكل من فيه وما فيه كالتالي حسب الآية القرآنية :

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (أي الكون) .

ويكون مثل هذا النور متمثلاً في الإنسان في المخ والعقل حيث المشكاة هي الدماغ والمصباح هو العقل والزجاجة هي المخ الهش والكوكب الدري يتوقد من شجرة مباركة زيتونة هي الكهرومغناطيسية والمصدر هو(النور من الاسم الإلهي الحس وطاقته) ونفخه الروح في الإنسان وناتجها في كل ما يتصف ويتميز ويتفرد به الإنسان عن غيره من المخلوقات وخاصة (الأمانة) وهي العقل الذي يرتبط به التكليف .

الفتح الخامس:

القرآن ودولة المدينة المنورة

آنبتت الدولة الإسلامية الأولى التي آقامها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها على مبادئ من القرآن العظيم وعلى سننه ﷺ المهتدية بهذه المبادئ والقواعد والتوجيهات فقد كانت الدولة نموذجًا في وقتها حديثًا بكل المقاييس للدولة المدنية القانونية ومستورها هو القرآن والقانون فيها شريعة القرآن الشريعة الإسلامية التي آمن بها وارتضاها المسلمون باعتبارها القانون الذي ينظم علاقات الناس بعضهم مع بعض ويبني جسور الثقة بينهم باعتبارات الإيمان والأخوة والتعاون. والتكافل وضمان الحقوق يتمتع بها كل الناس في الدولة.

وكان من أهم المبادئ التي دعا إليها القرآن العظيم وأسس الرسول عليها بنيان الدولة في المدينة . ما يمكن إجماله واختصاره فيما يلي :

1-التوحيد في المعتقد الديني للمسلمين وفي التجمع الإنساني في الدولة لكل الناس.

2-الشورى .

3-مكارم الأخلاق .

4-سيادة القانون(الشريعة) .

5-المساواة في المواطنة وأمام القانون للجميع (عهد المواطنة) .

6-اختيار الحاكم على أساس البيعة أي الانتخابات بعد ذلك .

7-احترام حقوق الإنسان وحرياته خاصة حرية التدين الرأي والتعبير .

8-تقدير دور المرأة في المجتمع والدولة .

9-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

10-التسامح والقبول للآخر والعمل المشترك معه .(صحيفة المدينة) .

11-نظام في الإدارة وفق المتطلبات يعتمد على الكفاءات الشخصية للناس وقدراتها الإدارية .

فالنسبة لمسئولية الولاية لإدارة أمور الناس في الدولة فقد كان رسول الله ﷺ لا يولي للإدارة من يسأل المنصب ويسعى إليه أو يحرص عليه دون أن يكون كفؤًا وعدلاً وأمينًا وصادقًا وقادرًا ومؤهلاً ومخلصًا وكان يقول : «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها » .

إن رسول الله قبل أن يبني ويؤسس الدولة في المدينة المنورة قام طوال الفترة المكية التي سبقت ببناء وتأسيس الإنسان إيمانيًا وفكريًا وعقيديًا وأخلاقيًا ليلتزم الإنسان الذي نواة الدولة ولبنتها الأساسية مستقبلاً بنهج سلوكي قائم على الوحدة الإيمانية والمحبة والإيثار والتعاون . والتكافل وعمل الخير والنافع والصالح المفيد .. إلخ .

وقد عاد رسول الله ﷺ إلى مكة فاتحًا بعد أن اضطره أهلها إلى مغادرتها مهاجرًا إلى واقع جديد يدعو فيه بحرية إلى الدين ويستطيع فيه أن يُقيم الدولة على أساسه مؤيدًا في ذلك بالله والمؤمنين كما يقول القرآن العظيم :﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال:62-64] .

إن الأديان السماوية كلها تفرز قيمًا مشتركة للأخلاق ومفاهيم أخلاقية نظرية

وتطبيقية (سلوكية) متشابهة . لأن الأديان السماوية مصدرها كلها واحد يهمها الإنسان الذي يبنيه الدين ويحترمه ويحترم كرامته وحريته وشخصه وحقوقه ويدعم ويبني أخلاقه ويصحح سلوكه ويضمن له حقه في العلم وعائده ومعيشته اللائقة بإنسانيته وحاجاته وبما يعتبر في ؟؟؟؟؟؟؟ وفي كل الأديان السماوية وفي كل دولة ووطن عامل (ضم) و (توحيد) لا سببًا في (فرقة) و(الانقسام) ، فالإنسان يرتقي ويرتفع إلى مرتبة الإنسانية فوق الحيوانات والأنعام البهيمية بركائز أساسية هي التوحيد الخالص في الإيمان والتقوى وفي الألفة والتآلف في المجتمع القائم لقوم صفاته ومواصفاته في مجتمعه ووطنه ودولته على العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الكريمة الفاضلة .

ونتيجة هذه التربية نشأ جيل صدر الإسلام الذي احتضن القرآن فتشرب تعاليمه وقيمه الأخلاقية وعاش حياته في عصره قرآني التوجه ، توحيدي المعتقد ، أخلاقي السلوك ، مراقب لربه وعلى صلة وتواصل قوي معه سبحانه وتعالى وقد احتضنه القرآن العظيم بالتوجه والإرشاد والتعليم والهداية ، جيل رباه النبي أحسن تربية ، جيل لم يتكرر عبر أجيال المسلمين وحتى وقتنا الحالي على أكتافه قام الدين ، وأنبتت الدولة الأولى في مدينة الرسول ومن بعدها في عهد الخلافة الراشدة وإلى أن تحولت الخلافة إلى ملك عضود وانهارت الأسس التي حددها القرآن العظيم لقيام دولة المسلمين المؤمنين وضعف المسلمين أنفسهم وخشيته وتقواه وضعف صلتهم بالله .وضعف تمسكهم بكتاب الله وبسنة رسول الله وتغيرت بعد ذلك أحوال الدنيا وواقعها ونظمها وتوازنات القوى فيها وفي دولها ..

إن ذلك الجيل الأول(□) هو جيل الصحابة وتابعين لهم، جيل (خير القرون قرني) الذي حدَّث به رسول الله وجيل (محمد رسول الله والذين معه) حدَّث به

(1) ولا يمنع ذلك من وجود شخصيات فردية متميزة أي أفراد في كل جيل من الأجيال المتعاقبة متميزين في صلتهم القوية بالله وبكتاب الله وبسنة رسول الله أي بدين الله .

القرآن العظيم في ختام سورة الفتح (الآية 29).إنه جيل مجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس جيل الاستقامة وجهاد أعداء الله وجهاد أعداء المؤمنين وجهاد أعداء دولتهم وجهاد ظلمة وظلام الضلال وجهاد الظلم والاستبداد وجهاد الكافرين وكفرهم وجهاد المشركين وشركهم وجها المنافقين ونفاقهم وجهاد عبيد المال وعبيد المادة وجهاد المتعالين المستعبدين للناس وهاد الذين لا يعلمون والذين لا يتواصون بالحق ولا بالصبر وكل الذين هم في خسر في أي وكل عصر .

جيل إعلاء قيم الدين مثله العليا وقيم التدين الحق وتقوى الله قيم الأخوة والمحبة والإيثار والتعاون والتكافل والتسامح وسائر مكارم الأخلاق والتعايش السلمي وفي سلام مع الله ومع النفس ومع المؤمنين ومع سائر وكل الناس في إحقاق للحق ودعوة إليه وحرية كل إنسان في اعتقاده الدين .. وفي رأيه والتعبير عنه بحرية دون أي ضغوط .. إلخ ... جيل المؤمنين العاملين في كل أوجه الصلاح والإصلاح والنفع والمصلحة والخير متواصلين بالحق وبالصبر على ما يعملون ولا يحيدون عن تعاليمه ويفهم الذي يتوخى مع الإيمان العمل للدين والدنيا في إطار الصلة القوية بالله وقرآنه والتواصل والتبعية لرسول الله وسنته ﷺ .. ولذلك كان الله يقول في كتابه الكريم : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:139] ويقول :﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:1- 3]] .

وإنه على الأساس التربوي الأخلاقي في الإنسان ذلك الجيل المطيع لأوامر الله وأحكامه في قرآنه بالاستقامة والمتبع لرسول الله وسنة رسول الله قائدًا وقدوة وأسوة قامت وانبنت الدولة وقتها والتي ما كانت لتقوم وتنبني وتستقيم وتقوى وتتسع إلا بالمواصفات التي تحلى بها إنسان ذلك الجيل المسلم والأخلاق التي

تخلق بها . إن المثالية الأخلاقية التي يقيمها دين الإسلام قرآنًا وسنة وكذلك كل دين سماوي إلهي آخر سابق عليه في أصول كتبه التي تنزلت ودعا لها رسل الله قبل محمد صلوات والله وسلامه عليه ، هذه المثالية في الأديان الإلهية كلها هنا مناط التقييم الصحيح والسليم لمقدار ومستوى كل إنسان ومواطن في دولته ولقدر تمدنه وتحضره في شخصه وفي سلوكه وفي معاملاته وتعامله مع كل إنسان آخر وفي أي دولة أخرى ، لأنه شريك في الإنسانية وفي حق المساواة فيها دون أي فرق أو تفرقة بين إنسان وآخر . كما حدَّث بذلك محمد رسول الله ﷺ المبعوث إلى الإنسانية ورحمة الله لها وللعالمين .. الشاهد والمبشر والنذير والراعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ومقامه ﷺ ليس بالنسب الإنساني الأرض (الطيني) وإنما بالنسب الإلهي السماوي (الروحي الاصطفائي كما يقول تعالى في خاتم كتبه القرآن العظيم : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:40] ولهذا النسب الإلهي والرسولي والنبوي الاصطفائي يقول الله تعالى أيضًا في القرآن العظيم :﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:36] . وقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها رسول القائد والقدوة والأسوة بأنه كان متواصلاً ومتصلاً مع القرآن العظيم في حياته في سيرته كلها ووصفته بأنه صلوات الله وسلامه عليه كان (قرآنًا حيا) وكان (خلقه القرآن) ووصفه ربه في القرآن العظيم بقوله :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:4] .

إن الظاهر القرآنية التي حملها واختلط بها الرسول ﷺ ظاهرة لا تتكرر لا في الشكل ولا في المضمون وهي مستمرة في الزمان وصالحة في المكان لا يدركها الموت ولا تدركها النهاية التي تدرك الإنسان ومنها فإن بقاء الظاهرة القرآنية أمر يدركه الإنسان المؤمن في نوعه الممتد في الوجود وهي ظاهرة لا يحتكرها جيل بعينه من الأجيال البشرية المتعاقبة . فالأجيال البشرية تتعاقب في تطور وترقي

للمعرفة بينما تظل الظاهرة القرآنية في الأفق الأعلى للمعرفة تتجدد تفسيراتها بتجدد الخلق الجديد والفيض المديد على الإنسان في نشاطه العقلي والروحي ، في الفكر والنظر البصري والبصيري والتجريب ، وكما تختلط شخصية الرسول بالقرآن الكريم فإنها والقرآن يختلطان بالفرد وبالمجتمع اللذان يتفاعلان معهما ويؤمنان بهما .فالبيان القرآني في آياته وفي حق رسول الله ﷺ سينعكس في حياة الإنسان فردًا كان أو في أسرة أو في مجتمع أوفي دلوة .لقد غفل عن هذه الحقيقة كثيرون من الناس ، وفطن إليها بعض الناس ، رأوا أنوار الرسول ﷺ وقد امتزجت بأنوار القرآن ،وتخطوا حواجز المكان في الأرض شبه الجزيرة العربية كما تخطوا حواجز الزمان الممتد من وقت البعثة وحتى عصرنا الحالي ، يدركون في كل عصر من عصور البشرية في الأرض عبر تطورها الفكري ونمو معارفها وعلومها وتطبيقاتها ، وعبر حضارات الإنسان في الأرض يدركون عناصر الإعجاز والعظمة في هذا القرآن ،وعناصر الطاقة والبناء في هذا القرآن ،وعناصر الإيمان والتسامح والحرية والإخاء والمحبة والمساواة والكرامة الإنسانية في هذا القرآن ، أن الذين ينظرون إلى رسول الله ﷺ فلا يرون إلا ذلك الهيكل البشري الذي كان يعيش في الصحراء ويركب الإبل ويسكن الخيام وينزل المنازل البدائية ويأكل الطعام العادي ويمشي في الأسواق للتجارة متدثرًا بدثار الأمية ،هم محجوبون عن رؤية النور المحمدي الهادي ، نور الرسول في حقيقته وطاقته الروحية ونوره في أخلاقه ونوره في رجاحة عقله وفكره ونوره من حيث حمله للقرآن الكريم ونوره من حيث تخلقه بأخلاق هذا القرآن ونوره في كل أحداث ومواقف سيرته ونوره في جهاده من أجل أن تكون مبادئ دينه مشرقة بالخير والسعادة للبشرية كلها في كل بقاع الأرض .

وأقرب من كان يجاور المسلمين في المدينة من غير المسلمين هو اليهود ، الذين كانوا يبطنون العداوة للمسلمين ولكن لم يكونوا أظهروا أية مقاومة أو عداوة

أو خصومة بعد ، فعقد معهم رسول الله معاهدة قدر لهم فيها النصح والخير وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين وإقامة شعائرهم وفي المال ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد والإقصاء أو المصادرة أو الخصام وإنما ما فعله كان يعتمد على (الوحدة في الجار والتعددية الدينية) وكانت بنود هذه المعاهدة وقد وردت في سيرة ابن هشام (1) وأوردها الشيخ عبد الرحمن المباركفيوري في كتابه «الرحيق المختوم» يمكن الرجوع إليها لمن يريد .

وبإبرام هذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها دولة وفاقية يرأسها رسول الله ﷺ والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين ،ولتوسيع منطقة الأمن والسلام عاهد النبي قبائل أخرى بعد ذلك يمثل هذه المعاهدة حسب ما اقتضته الظروف واقتضاه الواقع وضروراته واحتياجاته في وقته .

وبذلك كانت العلاقة بالآخر في دولة المدينة المنورة تقوم على عهد المواطنة والتعايش والسلام .وقد ألزمت صحيفة المدينة المنورة المعاهدة لليهود الزمت المسلمين والآخرين من سكان دولة المدينة بالدفاع عنها ضد العدوان عليها في التزام بعهد المواطنة والوحدة للناس من خلاله ولكن بالخيانة ونقض عهد المواطنة .. تجج رأس اليهود وقادتهم في تأليف أحزاب الكفر على النبي ﷺ وعلى المسلمين وعلى دولتهم في المدينة ، فتحركوا تحوها للهجوم بجيش كبير وقد نقلت استخبارات المدينة إلى قيادتها فيها أخبار هذا الزحف الخطير فأعدَّ الرسول والمسلمون للدفاع عن المدينة خندقًا أشار به الصحابي سلمان الفارسي إلا أنه في النهاية فشل أحزاب الكفار والمشركين من غزو المدينة والقضاء على المسلمين وقيادتهم ودولتهم فيها ، وكان للرسول وللمسلمين شأن آخر بعد ذلك مع اليهود الذين خانوا وخالفوا العهد ونقضوه ، يمكن الرجوع إليه في كتب السيرة .

(1) كذلك في سيرة ابن هشام وكتاب «الرحيق المختوم » لفضيلة الشيخ عبد الرحمن المباركفيوري وغيرهما .

قاعدة الاعتقاد الأساسية في القرآن العظيم

إن قاعدة الاعتقاد الأساسية في التصور القرآني والتي تتمثل في ربط الدنيا بالآخرة والبعث والحساب والجزاء بالثواب والعقاب ، لها أثرها على الفرد (المواطن في الدولة) من حيث إتقان العمل وإجادة الإنتاج في كل مواقع العمل والمسئولية ؛ لأن هذه العقيدة تذكر المسلم بالجزاء على العمل الذي يؤديه ، ومدى إخلاصه وإتقانه في أدائه ، وهو يعني نوعًا من الرقابة الداخلية من الفرد على نفسه من منطلق الإيمان بمراقبة الله للعبد في كل مكان وفي كل وفت وزمان .[النساء: .ومن هنا فإن العمل والإنتاج اللذين يلقيان القبول عند الله هما العمل النافع والإنتاج النافع : ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:58] .

وأنه مما ذكره ودعا إليه القرآن العظيم ودعت إليه معه سنة خاتم المرسلين يمكن أن نستخلص النتائج الإيجابية المفيدة التالية التي يستفيد فيها المؤمنون في كل عصر وزمان :

1-إخلاص الإنسان (المواطن) في عمله المنوط به وبحيث تتوفر في محتواه وفي نتائجه شروط ومعايير الجودة والإتقان فيه .

2-إخلاص الإنسان (المواطن) العامل للمنشأة التي يعمل بها يعطيها من جهده وإمكاناته وعلمه وخبرته ما يستطيع .

3-إخلاص الإنسان (المواطن) في عمله في كل مجالاته وقطاعاته المختلفة في دولته ووطنه.

4-الحساب الذاتي من جانب كل إنسان (مواطن) عامل يراعي ربه ودينه ومصلحة وطنه في عمله وقبل أن تحاسبه القوانين واللوائح الموضوعة .

5-إحسان الصلة بكل الناس (قدوة واقتداء) في العلاقة بهم والتعامل معهم داخل وخارج مواقع العمل والمسئولية مع تدعيم القبول للآخر والتعاون المشترك بينه والتسامح في العلاقة معه كما يأمر الدين.

أخلاقيات في جوانب من الفكر الاقتصادي في القرآن العظيم

كما ويمكننا أن نستخلص أخلاقيات في جوانب من الفكر الاقتصادي في القرآن العظيم فيما جاء في السور التالية :

1-سورة البقرة :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : 155- 157].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : 168].

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 188] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 215] .

﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : 245].

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة 261].

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ

عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة : 271] .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : 274] .

2-سورة المائدة :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة : 55].

3-سورة التوبة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : 34-35].

4-سورة هود :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [هود: 84-86] .

5-سورة النحل :

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل : 71] .

6-سورة الزخرف :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : 31-32] .

7-سورة قريش :

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش : 3-4] .

8-سورة الفرقان :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : 67] .

هذا وقد جاء القرآن الكريم في آياته محدثًا عن أمور اقتصادية ومالية أخرى مثل حب المال ومفهوم البر والزكاة وتحريم الربا والإنفاق في الخير والمصلحة والبناء والتطوير والتعمير وتحقيق العدالة الاجتماعية .

أخلاقيات التعامل المالي في الآيات القرآنية

كذلك يمكننا أن نستخلص أخلاقيات التعامل المالي في الآيات القرآنية كنموذج ومثال :

1-إبرام العقود منعًا للاختلاف : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾[البقرة:282] .

2-ثم الالتزام والوفاء بنصوص العقود : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة:1] . حتى تكون الثقة سببًا في استقرار ونمو المعاملات التجارية في المجتمع .

3-تجنب الكسب غير المشروع : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[النساء:29] .

4-تحريم الربا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:275].

5-تحريم الكذب والخداع والخيانة: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل:105].

6-تحريم قول الزور والتدليس: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:30].

7-النهي عن سوء إدارة الأموال بالإسراف والتبذير: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31].

8-التوسط في الإنفاق: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:67].

9-الإنفاق سرًا وعلانية: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم:31].

10-الإنفاق على الوالدين والأقربين واليتامى، ثم على عامة المحتاجين والمستحقين من المواطنين بما يحقق التكافل الاجتماعي القائم على مبدأ الأخوة وإحسان القادرين بمعاناة غير القادرين: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [البقرة:215].

11-الإنفاق من الطيب المحبب إلى النفس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:267].

12-النفقة مدخرة ولا تضيع هباء: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:272].

13-الإنفاق ينبغي أن يكون على قدر السعة والاستطاعة : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق :7] .

14-النفقة من الخبيث غير مقبولة ؛ لأنها عن نفس غير مخلصة في عمل الخير والإصلاح : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ [البقرة:267] .

15-مراعاة شعور ونفسية المنفق عليه ، بالنهي عن إبطال النفقة بالمن والأذى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:263-264] .

كلمة الأستاذ الدكتور والشيخ علي جمعه :

أما عن القرآن الكريم الذي نتحدث عنه على قدرنا المتواضع[1] فيقول أستاذنا الدكتور على جمعة مفتى مصر الأسبق :

«إن المنطلق الصحيح لكل عمل هو كون القرآن المرجع لعقيدة المسلم وسلوكه واختياراته ومواقفه ونموذجه المعرفي ورؤيته للكون والإنسان والحياة وما قبل ذلك وما بعده وإدراكه لوعيه ووظيفته التي خلقه الله من أجلها : عبادة الله، عمارة الأرض ، تزكية النفس ، وتعني المرجعية القرآنية أن نجعل القرآن :

1-محددًا لحياتنا .

2-متممًا لأعمالنا ووصلها بالمدح أو القدح ، بالقبول أو الرد .

3-مخدومًا لعلومنا ، فمنه البداية وإليه المنتهى ، وهو احد طرفي المعرفة عند

(1) في تقديمه لكتابي عن«المرجعية الإسلامية – تحديد المفاهيم » . المنشور من مكتبة الشروق الدولية .

الإنسان ، وهما الوحي والوجود .

والقرآن هو لكل زمان وكل مكان ، ولكل الأحوال ولجميع الأشخاص ..ولذلك فخرافة تاريخية القرآن محض وهم ، وأنه يصلح لعصر النبي محمد ﷺ ولا يصلح لغيره هو محض افتراء مضحك وسخيف في نفس الوقت .. انتهى .

كما يقول أيضًا فضيلته (1) : «... إن علوم القرآن .. » .

«إن علوم القرآن» من أجلِّ وأشرف علمنا الإسلامية – التي أسَّسها علماؤنا وأئمتنا وبنوا مبادئها ومسائلها عبر القرون ؛ لتكون وسائل تعين «الأمَّة المسلمة» على استجلاء معاني القرآني ، وتلاوته حق التلاوة ، وفهمه وتدبُّره ، وصياغة حياتهم به ، وإقامة مجتمعاتهم على بينَّة ونور منه .والقرآن كتاب الله – تعالى – وكلامه لا تنقضي عجائبه ، ولا ينضب معين معانيه ودلالاته .وقد أنزله الله على خاتم النبيِّين ليقوم بعد ختم النبوات به مقام الأنبياء والمرسلين ؛ فهو الكافي والشافي والمغني عن تتابع النبوّات وتتالي الرسالات . وعلوم خدمة ذلك الكتاب المعجز لا يمكن أن تقف عند جهود جيل واحد من أجيال الأمَّة أو قرونها ؛ لأنّ هناك وسائل غير ثابتة ، وفي دائرة تلك الوسائل المتجددة تتنافس الأجيال بحيث يكون لكل جيل نصيب من شرف خدمة القرآن وسبيل للانضمام إلى حملة لواء القرآن .

وإعادة صياغة «علوم القرآن » ،وتقديمها لأجيالنا الواعدة بأسلوب يلائم مداركها ،ويناسب قدراتها ، أمر في غاية الأهميَّة في عصرنا الحاضر .ولا يجيد القيام به إلا من أخذ من علوم القرآن وعلوم المقاصد والوسائل الإسلامية بنصيب وافر. وأخذ – كذلك – من معارف العصر والتيَّارات والتوجهات البارزة فيه بمثله »

(1) في تقديمه لكتاب «أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها » للدكتور طه جابر العلواني .

الفتح السادس :

العلاقات الدولية في القرآن[1]

(1) من كتاب «المعجزة الكبرى – القرآن» لفضيلة العالم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة عليه رحمة الله، بتصرف بسيط جدًا استبدلنا فيه كلمة (قرآن) بكلمة (إسلام) والمعنى واحد .

-القرآن يذكر أن الإنسانية كلها أمة واحدة ويقول سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[البقرة:213].

وإن النصوص القرآنية تدل على وحدة الإنسانية في خلقها وأصلها، فالله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1].

فالرحم بين بني الإنسان موصولة، وإذا كانت الألوان مختلفة والألسنة مختلفة والجناس متباينة، فإن الأصل واحد، ويجب أن تكون العلاقات مبنية على الأصل الموحد لا على التخالف الظاهر، ويجب أن تبني الأمور على الجذع لا على الغصون المتفرعة.

ولقد حد الله تعالى في كتابه الكريم حدود العلاقة الإنسانية، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:13].

فبهذا النص يبين القرآن الكريم أن العلاقة التي يجب أن تكون السائدة هي التعارف، والتعارف تكون معه المودة، والتعاون وإقرار السلام وإحياء التراحم.

-وإذا كان التعارف هو الأصل الجامع للشعوب والقبائل والأجناس، والسلام لازم من لوازمه وهو الأساس لكل تعارف، فلا تعارف يوجب الودة مع

الخصام والتناحر والتحارب .

ولذلك كان الأصل في علاقات الدول بعضها مع بعض السلم لا الحرب ، فالمسلم ينظر إلى ما يخالفه نظرة الود الراحم ، لا العداوة القاطعة ، ولذلك يقول سبحانه وتعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: 208– 209] . كما وأن ممارسة الإنسان المواطن لكافة حقوقه وواجباته في مجتمعه الوطن (دولته) يتحدد ويتوثق على تحقيقه (السلام) وانتشار الأمن داخليًا وخارجيًا .

وقد تربت النفس المؤمنة على المحبة ، فكانت تكره القتل والقتال إلا أن يكون ذلك جهادًا ، ولذلك قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:216] . وكان القتال بالجهاد لدفع الشر وتعميم الخير ، لأن الإسلام يدعو إلى الخير ، وإلى الفضيلة ، وفضيلة الإسلام إيجابية وليست – سلبية فهي تدافع الرذيلة ولا تستسلم .

وإذا كان الوجود يتنازع فيه الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، فإنه لابد من دفاع الخير ، لقد أراد الإسلام للناس المحبة ، ولكن أراد إبليس لهم البغضاء ، فكان لابد من النزاع بين المحبة والبغضاء ، وإلا يدفع الشر ساد الفساد ، وعمت الرذائل ، لذلك شرع مبدأ الجهاد لدفع الشر ، ومنع الفساد ، ولقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:251] .

لذلك شرع الجهاد في الإسلام ،وأول الجهاد كان عقب الاعتداء وفتنة المسلمين وإيذائهم ليرجعوا عن دينهم .عندئذ أذن الله تعالى بالجهاد وأوجبه فقال

تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 39، 40].

ولقد قال تعالى آمر المؤمنين بالقتال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 190- 193].

ويقول سبحانه وتعالى مبيناً أن القتال لأجل الاعتداء، وأنه ينتهي بنهايته: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: 38- 40].

فما كان الإسلام ليستبيح دماء المخالفين لأجل المخالفة. بل يستبيحها لأنهم استباحوا دم أهله، ولأنهم أرادوا حمل المؤمنين على تغيير دينهم، وفتونهم في ذلك والفتنة كما قال تعالى أشد من القتل.

-ولأن القرآن في مشروعية الحرب هو دفع الاعتداء، والفتنة في الدين فإن الإسلام أباح الهدنة إذا أرادها المخالفون، وحسنها، ودعا إليها، وقال تعالى في ذلك وقد أذن بالقتال العام: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

[التوبة:3، 4] .

وفرض القرآن هدنة إجبارية على المسلمين إن التزم بها المخالفون ، وهـي إلا يكون قتال في الأشهر الحرم ،وهي ذو القعـدة وذو الحجـة ، والمحـرم ، ورجـب الذي بين جمادى وشعبان .

وأوجب ألا يبتدئ فيها المسلمون قتالا ، إلا أن يكون امتدادا لقتال والسكوت يضر ، ولقد قال تعالى في ذلك :﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[التوبة:36] .

ولا قتال في الأشهر الحرم ، مادام المخالفون يحترمونها ، فإن انتهكوها فى يصح لأهل الإيمان أن يظلموا فيهم أنفسهم ويقول سبحانه وتعالى في ذلك :﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:194] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة:217] .

والقرآن إذ يقر الهدنة والعهود والمواثيق كما تلونا من كتاب الله ، يحترم هـذه المواثيق ما احترمها المخالفون المناوئون واستقاموا عليها .

-ولا يبيح القرآن القتل ولا القتال بالنسبة لمن يريد السلام ، والله تعالى يقول

في ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء:94] .

ولقد أمر القرآن الكريم أن يحترم الميثاق بالنسبة لأهله ، ولمن لهم به صلة ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء:89- 91] .

إن هذا النص يدل –أولاً –على ضرورة احترام المواثيق ، وكف القتال عن أهل الميثاق والذين لهم به صلة قومية .ويكون سلمهم سلما لهم .وحربهم حربًا لهم .

ويدل ثانيًا – على أن الذين يكونون ذوي صلة بقوم بينكم وبينهم عداوة وحصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ، أي أنهم لم يريدوا أن يكونوا مع المؤمنين على قومهم ، ولا مع قومهم على المؤمنين ، فهؤلاء لا يقاتلون .

ويدل ثالثًا – على أن الذين يترددون في موقفهم فهم يريدون السلامة لأنفسهم بمداهنة قومهم الذين يقاتلونهم ومداهنة المؤمنين ، فهؤلاء يحكم عليهم بالواقع ، فإن لم يقاتلوا المؤمنين فلا سبيل عليهم ،وإلا كان قتالهم حقًا بذلك الموقف البادي .

وإن هذا التقسيم يدل على أن القرآن الكريم يقرر نظرية الحياد ، ويحترم

المحايدين ، فلا يرفع عليهم سيفًا ، فالناس على ذلك في نظر القرآن الكريم ثلاثة أقسام : محاربون للمسلمين :وهؤلاء يجب قتالهم لدر اعتدائهم . والأخذ بالنواصي والأقدام من غير هوادة .وهؤلاء هم المعتدون بالقتال و بفتنة المؤمنين كما قال تعالى :﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:14] .

والقسم الثاني أهل الميثاق الذين بينهم وبين المؤمنين ميثاق عدم الاعتداء وهؤلاء يحترم ميثاقهم ، بل يمتد احترام الميثاق إلى الذين لهم به صلة ، بحيث يكون سلمهم واحدة وحربهم واحدة .

والقسم الثالث المحايدون : الذين لا يكونون مع المؤمنين ولا مع أعدائهم واقعًا ، لأنه ما دام الأصل في العلاقات هو السلم إلا إذا حدث ما يوجب القتال ، فإن لم يكن منهم ما يوجبه فإنه لا سبيل لأحد عليهم .

وقد فهم بعض الذين لا يدرسون المسائل دارسة فاحصة مستقرية أنه لا موضع للحياد في الفقه الإسلامي ، وذلك كلام من لم يمحص الحقائق لأن القرآن الكريم جعل للحياد موضعًا ، وهم الذين يعتزلون الحرب مع المسلمين أو ضدهم ، فقال إنه لا سبيل عليهم ، فكان الحياد ثابتًا بنص القرآن الكريم .

-وإذا تلونا بعض آيات القرآن الكريم التي فتحت باب القتال جهادًا في سبيل الله نجدها صرحت بأن القتال كان للاعتداء من الغير بطريقتين : قتل المؤمنين والاعتداء عليهم ، وإخراجهم من ديارهم ، والثاني بفتنتهم في دينهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال:39] أي كل إنسان يعتنق ما يعتنق لا رقيب على قلبه إلا الله تعالى ، فلا إكراه في الدين ولا فتنة فيه .

وهنا يسأل سائل : ألم يبح القرآن القتال ، إلا دفاعًا ، أو ردًا للاعتـداء ، ولم يـبح الهجوم ؟ونقول في الجواب عن ذلك : إن القرآن صريح في أنه لا يباح القتـال مـع من ألقى السلام ، وبذلك يكون من المؤكد أن القرآن لا يبيح الهجوم على الآمنـين الذين يلقون السلام وإن ذلك حق لا ريب ؛ لأنه لا يباح الهجوم على مـن لا يعلـن العداوة على المؤمنين ولكن هل يمنع الهجوم مطلقًا ؟ وللجواب على ذلك نقول :

إن الذي استنبط من صريح الآيات التي تلوناها أننا لا نحارب إلا مـن اعتـدى علينا أو فتننا عن ديننا ،ومن الفتنة في الدين أن يمنع المتدين من إقامة شـعائر دينـه وأن يحال بين الحق والدعوة إليه .

إنه في هذا الحال يكون القتال ، ولكن يزاد عليها إذا قامت العداوة التي ابتدأها غير المؤمنين بالاعتداء على المؤمنين ، ومحاولة غزوهم في ديـارهم أو فتنـتهم في دينهم ، فإنه عندئذ يتعين قتال العدو المترصد الذي لا يـألو بـأن ينتظـر المؤمنـون حتى يهاجمهم الأعداء ، وقد بدت عداوتهم وأعلنوها صـريحة لا إيهـام فيهـا ، إنـه كما قال بطل الجهاد علي بن أبي طالب : (ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا) .

وبذلك نفسر قولنا إن المؤمنين ما قاتلوا إلا ردًا للاعتداء بمثله أو توقفه ، ولقد تلونا الآيات التي تنهي عن قتل من لا يعتدي علينا ، ومن يعتزل قتالنا ،ومن يلقـي علينا السلام .

وإذا ظهر الاعتداء ، وما يسكت عنه إلا للاستعداد لمثله ، كان القتال مشروعًا بكل ضروبه ، لهؤلاء الأعداء بالهجوم على مأمنهم ، وبالقصد إلى مكامنهم ،ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة:5-10] .

ويقول تبارك وتعالى : ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:13- 15] .

وترى من هذا النص أن الأساس هو الابتداء بالاعتداء . فإذا ابتدأ الاعتداء وجب القتال بكل ضروبه دفاعًا وهجومًا ، بل إن خير الدفاع ما كان هجومًا . ولا سبيل لإنهاء القتال مع المعتدين إلا بإحدى خصال ثلاث : إما الإسلام ، وأن يتوبوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وإلا فإنه ينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:58] . وإما الاستسلام . وأن يخضعوا لأهل الإيمان .

وق قال تعالى في ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد 7، 8] .

وننهى من هذا التتبع إلى حقيقتين ثابتتين : إحداهما – أن محاربة المؤمنين لأي قوم لا تكون إلا عند اعتدائهم بإخراج المسلمين من ديارهم ، أو إيذائهم في دينهم ،ومن الإيذاء أن يمنع الدعاة إلى الإيمان من أن يلاقوا الشعوب ،ويعرفوهم بالحق ، ومن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، لأنه لا إكراه في الدين ، ولكن بعد أن يتبين الحق من الباطل والغي من الرشد ،وذلك لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[البقرة:256] .

الحقيقة الثانية أنه إذا كان الاعتداء بأي ضرب من ضروبه ، فإن باب الجهاد يُفتح دفاعًا وهجومًا وغزوًا والتقاء ، لا يمنع مانع إلا مالا توجبه الفضيلة .

وقد فهم بعض الناس أن القتال في الإسلام لا يكون إلا دفاعًا . ولا يكون هجومًا وذلك خطأ ، والحق أن القتال لا يكون لقوم غلا إذا اعتدوا ، فإن كان الاعتداء حل قتالهم دفاعًا وهجومًا ، وهم في الحالين المعتدون إلا أن يتوبوا أو يعاهدوا ويستقيموا .

وليس قتال المؤمنين ليكون باب الدعوة إلى الإسلام مفتوحًا بعد اعتداء من المؤمنين ، بل هو رد للاعتداء ، لأن القتال لأجل الدعوة لا يكون غلا بعد أن يرسل المؤمنون دعاة للإيمان ، فإن أجاب بعضهم ، ولم يضطهد في اعتقاده فإنه لا قتال ، ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها .وإن اضطهد كان ذلك هو الاعتداء بالفتنة ، فوجب القتال ردًا للاعتداء بمثله .

وقد جاء الإسلام في عصر الملوك المتجبرين الذين كانوا يؤذون رعاياهم فكان منهم الاضطهاد لكل من تبلغه الدعوة ويؤمن ،وما أرسل النبيﷺ الجيوش إلى الشام إلا بعد أن اضطهد الروم المسيطرون المسلمين الذين أسلموا في الشام وقتلوهم ،وما حارب الذين جاءوا من بعد الفرس إلا لأن كسرى حاول أن يرسل من يقتل النبي ﷺ .

ويلاحظ من يتول آيات الأمر بالقتال أن فيها النهي عن الاعتداء . فالله تعالى يقول : ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[البقرة:19] .

والاعتداء المنهي عنه قسمان –أحدهما – الاعتداء بالقتال على قوم لم يعتدوا على المؤمنين وهم الذين ما جعل الله عليه سبيلا .

ثانيهما – الاعتداء في القتال فيقتل من لا يقاتل ، فيقتل مثلا الشيوخ والنساء والذرية فإن هذا اعتداء في القتال منهي عنه ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:194] .

وإن من مقتضى هذه التقوى إلا يقاتلوا من لا يقاتل ، وألا يقطعوا الأشجار ، وألا ينتهكوا الأعراض ، وألا يستبيحوا الأموال بغير حقها .

ويلاحظ أن القتال في الماضي كان لا يتجاوز معسكر الحكام والجيوش والعلاقة بين المسلمين وشعوب الملك أو الرئيس قائمة .كأنه لا حرب والسلام قائم .

إنما الحرب لمن يحادون الله ورسوله ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:22] .

وأولئك الذين يحادون الله ورسوله هم الذين حاربوا المسلمين ، وأعلنوا الدعاوة وأخذوا يتربصون بهم الدوائر لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة .

وما عدا هؤلاء فإن السلم هو العلاقة والمودة إن وجدت مقتضياتها .وقد نص القرآن الكريم عن ذلك ، فقال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:8 ، 9] .

فالمودة موصولة ما لم يكن الاعتداء إذ عسى أن تعود الصلة حتى بين الأعداء

كما يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:7] .

القرآن والعلاقة في السلم والحرب

المستخلص من القرآن العظيم في آياته يتلخص في أن القرآن وهو دستور الدولة المسلمة يدعو إلى إقامة التعايش السلمي مع كل دولة لا تعتدي أو تؤذي أو تهاجم فكل من لم يقاتل المسلمين في دينهم ولم يخرجهم من أرضهم أو وطنهم ولم يظاهر غير على ذلك فله من اجل القرآن المودة الخالصة والتعاون الوثيق وعلى العكس فكل من يقاتل المسلمين في دينهم ويخرجهم من أرضهم ووطنهم أو يظاهر على ذلك فليس له من أهل القرآن مودة أو صداقة أو تعاون ، والقرآن واضح في ذلك حين يقول :﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:8 ، 9] . أما الهيئات الدولية والدول المرتبطة بمواثيق ومعاهدات فيجب حسب القرآن العظيم احترام المواثيق والوفاء بالعهود وتطبيق أحكام المعاهدات طالما احترمها وطبقها الآخرون ، والقرآن يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[المائدة:1] . ويقول :﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:34] .

وهو بذلك يحقق العدل في التعامل ويحقق السلام في واقع المعاملات ويحقق الأمن في العلاقات و الاستقرار في الحياة ، فالمهم هو سلوك الآخرين وماذا يريدون أو يضمرون والقرآن يقول لرسول الله : ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:61] .

وإن أول آية نزلت من القرآن أمره بالقتال والجهاد كانت : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:39] فقد كان المظلومين والمضطهدون ممنوعون من القتال لدفع الظلم دفاعًا عن أنفسهم حتى جاءهم الإذن من الله الذي هو سبحانه على نصرهم لقدير بعد أن فشا فيهم الظلم واشتدت عليهم وطأته ، كما وأننا حين نتتبع غزوات رسول الله ﷺ لا نجده قد خرج في واحدة منها بادئًا بقتال .

فإن النبي ﷺ قاتل الكفار الذين اعتدوا عليه وعلى أصحابه وأخرجوهم من ديارهم والسبب في القتال ليس أنهم كفار وإنما هو كونهم معتدين ومن هنا فإن الأصل في العلاقات هو وفقًا للقرآن هو السلم وحتى يكون سبب وقوع الحرب وهو الاعتداء ولذلك أيضًا كانت شرعية عقد المعاهدات المؤقتة والدائمة وهي واجبة الوفاء . أي أن القرآن جعل قتال المسلمين للكفار هو الاعتداء والعدوان وليس لمجرد الخلاف الديني ، ولذل يقول القرآن العظيم : [الأنفال:61] .إن الإسلام يتعاون مع الملل والنحل الأخرى وحقائق الوحي القرآني والهدي النبوي ؟؟؟؟ على قيام المعاملات بين المسلمين والآخرين على أسس المودة والبر والعدل والرحمة والتسامح.

الفتح السابع :

الأخلاق في القرآن الكريم

القرآن هو المرشد الحقيقي الذي حفظه الله لنا وحفظه بيننا هو إمامنا وموجهنا وهادينا ودليلنا إلى النهضة الشاملة والتقدم المدني والحضاري والسمو الأخلاقي والتعاون الأخوي والتعامل على محبة والتكافل عن إيثار . القرآن يحتوي على الحقيقة المطلقة باللغة العربية التي تنسق بين الشريعة وقوانينها وبين الكون الطبيعي وقوانينه ؛ والعالم الروحي وقوانينه لأن الله واحد في الكلمة الصادرة عنه في الكون الطبيعي والعالم الروحي والكلمة القديمة وهي القرآن الكريم .

القرآن كتاب وهداية وإرشاد ، وبيان وتوجيه ، وهو دعوة وحجة يحتوي على حقائق كاملة شاملة تحكم علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى وعلاقته بالكون والطبيعة ،وعلاقته بأخيه الإنسان (الفرد- الأسرة- المجتمع – الدولة – الأمة – تجمعات الشعوب والأمم) . إنه منهاج يقيم حياة الإنسان في الأرض وفق أسسه في العقيدة وفي العبادة وفي الأخلاق وفي المعاملات الفردية والاجتماعية والدولية . . إنه اعتقاد عن علم وشريعة للعمل ، وهو يدعو الإنسان – الخليفة في الأرض – يبني صرحًا من المعرفة دائم الترقي يستند إلى العقل والإيمان .ولذلك فهو حجة ودعوة ترتبط به وفيه الدنيا بالآخرة .. الدنيا هي دار العمل والكد والابتلاء والآخرة عنده هي دار الجزاء والثواب أو العقاب ..والحياة في الدنيا إلى فناء والحياة في الآخرة إلى خلود وبقاء .والإنسان الذي يبحث دائمًا عن الحق سيجده كاملاً متكاملاً في القرآن وهو كتاب ، كما أنه سيفسر حقائق القرآن من خلال

الكون أو الطبيعة وظواهرها والنفس الإنسانية وأسرارها حتى يدرك تطابق الحقائق في القرآن الكريم المُنزل بالوحي مع الطبيعة المخلوقة وأسرار فسيولوجيا الإنسان وقدراته العقلية والروحية .

ومن هنا يكون النتاج الفكري للإنسان ، تابعًا بالضرورة للحق الكامل المكتمل في القرآن الكريم ، وهو جامع للكلمات التامات بحيث يكون هذا النتاج الفكري بكل مناحيه ، عاملاً مفسرًات للحقائق القرآن الكريم ،وهو جامع للكلمات التامات بحيث يكون هذا النتاج الفكري بكل مناحيه ، عاملاً مفسرًا للحقائق القرآنية ، وليس حاكمًا عليها ؛ لأن النتاج الفكري دائم التغيير ، حتى ولو كان في زيادة وترقي ، والمجهول يبدو أكثر اتساعًا كلما ازداد الفكر الإنسان في علومه ولعل هذا هو المعنى الذي قصد إليه القرآن في تقريره :﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:76] .؛ لأن اتساع مناحي العلم تجلب معها اتساعًا أيضًا في المجال غير المعلوم.

ولهذا السبب سيظل الذكر المنزل محفوظًا من أن تشوبه شائبة قصور أو اختلاف ؛ لأن الحق واحد في الكلمة الصادرة عنه ، المخلوقة والمكتوبة على السواء ، والقرآن بالحق ومن الحق نزل ،وبذلك تزداد عظمته بالنسبة للرؤية الإنسانية بازدياد النتاج الفكري الإنساني في مجالاته المختلفة ووسائله المختلفة .

أن المعرفة الإنسانية في مستواها الحالي ليست وليدة لحظتها ، وإنما هي نتاج حلقات متصلة من التطور المستمر تكون كلها بوصل أجزائها الصرح الذي نعاصره . فالحركة قانون من القوانين التي تحكم الطبيعة وتحكم الإنسان في فكره وسلوكه ، ولما كان التغيير المستمرة هو من سمات الإنسان الأساسية ، فإنه ينتج عن ذلك بالضرورة تعدد واختلاف وتغيير في النظريات العلمية التي يضعها الإنسان فإنه ينتج في إطار اجتهاده الفكري المستمر والمتغير نتيجة تراكم واتساع

المعرفة وما قد يشوب هذه النظريات من تعديل أو تغيير أو خطأ .

ومن هنا ندرك كيف يتحقق الأمن والسلام عندما يسلك الإنسان سبيل المعرفة العقلية وتطبيقاتها التكنولوجية في إطار أخلاقيات الدين وقيمة وتوجيهاته أو يسلك سبيل المعرفة الوجدانية الذوقية بالاجتهاد في العبادة والذكر والتسبيح فإن هذا السلوك يحقق ميزتين :

الأولى : ضمان ارتباط الإنسان بالقيم الأخلاقية عند تطبيقه للقوانين التشريعية المحددة وللأفكار والمبادئ والقواعد العامة التي توجه الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية .

الثانية : ضمان أمن وسلام الإنسان في مستقبله في حياته الفردية وصلاته الاجتماعية في الأرض ، لأن أسس هذه الحياة والصلات ستكون انعكاسًا للأصول النظرية العامة لتوجيهات القرآن في ظل إيمان وتدين تتصل بهما مثل وقيم وأخلاقيات بعيدًا عن تأثيرات الأهواء والنظريات الجامدة أو المتغيرة والمصالح الضيقة الضارة بالغير .

إن القرآن يقيم بوجه حضارة الإنسان على أساس الربط بين الابتكار والتقدم وترقي ونمو واتساع نتاج الفكر الإنساني وبين توجيهات المثل والقيم والأخلاقيات النابعة من الدين والإيمان بما يمكن من قيام مجتمع هو خير المجتمعات في الأرض تعيش فيه أمة هي خير أمة أخرجت للناس ، ولذلك كان من الضروري أن يوجه الدين الإنسان في الأرض في وجوده الاجتماعي والمتخذ شكل علاقات بسائر مجتمعات البشر فضلاً عن البيئة المحيطة فذلك وحده هو الذي يحقق سلامة وسلام المسيرة المعرفية والعلمية وسلامة وسلام البناء الاجتماعي العاكس لهذه المسيرة ومستواها في الجيل المعين ويخطو بالفكر الإنساني خطوات كبيرة نحو اكتشافات جديدة للوجود واستغلالها الاستغلال

الأمثل لصالح الإنسانية جمعاء ويسلك نفس الخطوات في فروع المعرفة المتصلة بنظام الحياة في كل وكل مجالاته في كل المجتمعات .

وبغير هذا فإن السلوك الإنساني في الأرض نتيجة تقدمه العلمي سوف لا يخضع لقيم الدين والإيمان ومثلها وأخلاقياتها وإنما سيخضع لما يضعه البشر للبشر من قيم مادية نتيجة عوامل مادية بحته ومصالح حقيقة أو موقوتة فالإنسان ليس مجرد عنصر من عناصر الإنتاج شأنه شأن الأرض أو الآلة ، كما أنه ليس مجرد وسيلة للتنمية ، لكنه غاية التنمية وهدفها ، وإذا كان من الممكن الحصول من الأفراد على جهد كبير وتحملهم تضحيات كبيرة لبعض الوقت في غيبة المشاركة النيابية ، في صنع القرارات المؤثرة على حاضرها ومستقبلهم وتوزيع ثمار عملهم ، فليس من الممكن السير على هذا المنوال فترات طويلة إلا باللجوء إلى أساليب القمح والإرهاب ، أي بسلب حقوقهم وحرياتهم . وفي كل الأحوال يكون ذلك على حساب فتورهم وتراخي جهودهم وتضاؤل استعدادهم للتضحية وتكون النتيجة خسارة مزدوجة خسارة في الإنتاج والنمو الاقتصادي من جهة وخسارة في عملية بناء الإنسان والعلاقات الإنسانية في المجتمع من جهة أخرى.

لقد اعتبرنا القرآن الذي أوحى إلى النبي المصطفى سيدنا محمد ﷺ هو صورة الحقيقة المطلقة المنزلة إلى الإنسان ليدركها في صورة نسبية من خلال هذا الشكل للكتاب ، أو الشكل الكوني المخلوق (مادة – طاقة) باعتباره أيضًا كتابًا ، وقلنا إن الآيات في الكون وفي القرآن متطابقة بالضرورة لأن مصدرهما واحد هو الله الأحد سبحانه وتعالى الذي فصَّل في القرآن الكريم كل شيء تفصيلا وقال جل وعلا : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: 38] .

وفي الآية 54 من سورة الكهف : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ . وتلك الأمثال يضربها الله للناس لعلهم يتذكرون

ولا يكفرون (1).

والقرآن في الحقيقة طاقة أو نور أو روح ، والله سبحانه وتعالى يمنحنا من هذه الطاقات أسباب الحياة المتسامية في روحها ونورها نخرج بهما من ضيق الظلمات وشدتها إلى سعة الأنوار عقيدة وعبادة وأخلاقًا ومعاملة :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:122] .

لقد وجهنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن نتعوذ من شرور الظلمات الجاهلية إذا اشتدت علينا في الزمان والمكان ومنحنا سبحانه القدرة على اختيار طريق الحياة المستقيم الذي تحي به أنوار الحق ونحن نستطيع أن نسمو بأنفسنا من خلال ذكر أسماء الله الحسنى لنجد فيها سمو أرواحنا في مقام عبادتنا لله كأننا نراه وان نزيد من هذا السمو لنتحقق بأنه إذا كنا لا نرى الله فإن الله يرانا .وقد روى عن رسول الله ﷺ أن من أحصى تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله الحسنى دخل الجنة ، والإحصاء هنا ليس بمعنى العد أو الحفظ وإنما هو بمعنى التحمل أو الطاقة من خلال جهاد النفس للتخلق بحسن معانيها وما تؤتيه من أثر في طمأنينة النفس وراحة البال واستقامة السلوك مع الله ومع الناس ، وقد فطن إلى هذا المعنى الذي نقوله الدكتور جفري لانج (2) وصاغه في عبارات جذابة وجميلة في قوله :« دعنا نعود ثانية إلى أسماء الله الحسنى نتذكر هذه المرة نقاشنا عما يتطلبه الإسلام من الإنسان . وفي أثناء قراءة القرآن فإنه يذكرنا دائمًا بالسمات والصفات التي يجب أن ننميها في أنفسنا . لن يم وقت طويل قبل أن تبدو لنا نقاط لقاء كثيرة بين

(1) كما في الآية 27 من سورة الزمر والآية 89 من سورة الإسراء .

(2) في كتابه :« حتى الملائكة تسأل » ترجمة دكتور زين نجاتي الناشر مكتبة الشروق الدولية ، والدكتور لانج أستاذ الرياضيات في جامعة كانزاس الأمريكية اعتنق الإسلام أوائل الثمانينيات من القرن العشرين.

هذه الصفات مع الإنسان الذي يحاول إرضاء نزعة التسامي فيه ؛لأن جميع الفضائل تقريبًا التي يجب أن ننميها في أنفسنا يوجد أصلها وكمالها في صفات الله . مثلاً يجب أن ننمي في أنفسنا فضيلة الإحسان ، والرأفة والسخاء ، والاعتدال والرحمة ، والولاء ، والتسامح ، والكرم واللطف ، والعطاء ، والسماحة ، والكرامة ،والعدل والشفقة ، وحب الآخرين ، والمسالمة ،وحماية الضعيف ، والصدق ، والمعرفة ، والحكمة ، وكلها تبرز صفات الله وكماله ، وهكذا بتنمية هذه الصفات فينا ، يزداد قربنا من الله وتزداد عرفتنا به ، وحيث إن المخلوقات البشرية تستطيع التحقق بهذه الفضائل وممارستها بمستويات أعلا من بقية المخلوقات فقد أصبح لديها القدرة على التواصل مع الله بأسلوب ودود متفرد » انتهى .

وأقول للإنسان : أسماء الجمال بك عناية وأسماء الجلال لك هداية وهي الكمال بلا بداية ولا لانهاية «من أمر الوجود في الآفاق» «وفي نفسك بسر الوفاق ومن أجل نور الأسماء فيك» «سجد الملائكة لآدم أبيك» «وهم عليك يصلون ولك يدعون» «فاذكر تجلي المولى عليك «بأسماء تضيء لك فيك وحواليك» «وأمشي في الناس بنور في محياك» «به يكون ربك قد أحياك » «وأخرجك من شرور الظلمات »« وأسلمك لنور القرآن ورسول الهاديات » «حتى تقيم المنهج في نفسك بإخلاص »وتنفذ أحكام الشريعة والمقاصد دون إنقاص » عندها أنت المحسن الولي والله بالفضل حياك» «وهو وليك ومولاك» .

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البقرة:257] .

أولاً الأخلاق العملية (1)

(1) اعتدنا في اختيار وترتيب رءوس المواضيع في هذا الفصل وينصرف على كتاب : «دستور الأخلاق في القرآن» للأستاذ الدكتور عبد الله دراز الذي ترجمه من الفرنسية الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين .

1-الأخلاق الفردية :

أولاً :الأوامر :

تعليم عام :﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:43] .

تعليم أخلاقي : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة :122] .

جهاد أخلاقي : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:69] .

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل:4-1] .

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:108] .

طهارة النفس :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:7- 10] .

الاستقامة : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾[فصلت:6] .

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود:12] .

العفة – الاحتشام – غض البصر :﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[النور:30- 31] .

﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب:32- 33] .

التحكم في الأهواء:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات:40- 41] .

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[ص:26] .

الامتناع عن شهوتي البطن والفرج: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:183- 185] .

﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[البقرة:187] .

كظم الغيظ: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران:133- 134] .

الصدق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:119] .

الرقة والتواضع : ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان:19] .

التحفظ في الأحكام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾ [الحجرات:12] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات:6] .

اجتناب سوء الظن : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء:36] .

الثبات والصبر : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ [المدثر :7] .

﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:127] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:200] .

القدوة الحسنة : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾ [الأحزاب :21] .

الاعتدال : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان:63-67] .

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ [الإسراء:29] .

الأعمال الصالحة: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف:7] .

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:1-2] .

التنافس: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة:148] .

حسن الاستماع والإتباع : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر:17- 18] .

إخلاص السرائر: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:114] .

ثانيًا : النواهي :

انتحار الإنسان ، وبتره لعضو من أعضائه وتشويهه : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:195] .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء:29] .

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:30] .

الكـــــــــذب: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل105] .

النفاق: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾

[البقرة:204– 206] .

أفعال تناقض الأقوال: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:44] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:2–3] .

البخل: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9] .

[النساء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [36– 37] .

الإســراف: [الإســراء : ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [26– 27] .

الرياء: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء:38] .

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ [الماعون:4– 6] .

الاختيال : ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان:18] .

الكبر والتعجب،والتنفخ : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل:23] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:49] .

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النجم:32] .

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [غافر:83] .

التعلق بالدنيا: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[الكهف:28] .

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه:131] .

الحسد والطمع :﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ ﴾ [النساء:54] .

﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾النساء:32] .

الأسى على ما مضى ، والفرح بما يأتي :﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ ﴾ [آل عمران:153] .

﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾[الحديد:23] .

الزنا:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء:32](1) .

(1) وينبغي هنا فضلا عن هذا الجزاء المفروض على الجريمة المقترفة أن نتذكر الإجراءات الوقائية التي اتخذها القرآن في مواجهة هذا الانحلال الأخلاقي .

1-الحث على الزواج «النور:32» .

2-إباحة الزواج شرعًا بزوجة أخرى في ظروف معينة «النساء:3» .

3-تحريم ارتداء المرأة لأي ملابس كاشفة إلا أمام الزوج «النور:37- والأحزاب:59» .

4-الأمر بغض البصر أمام مفاتن النساء :«النور 30» .

5-تحريم القذف بما لم يثبت من الفواحش ، وفرض قاسٍ للقذف «النور: 4 ، 15، 19 ، 23، 25» .

6-النهي عن الدخول على بيوت الآخرين دون استئذان أهلها : «النور: 27، 29» .

7-وأخيرًا : تحريم الخمر .

ولتذكر من ناحية أخرى أن الطريقة التي يتحدث القرآن بها عن الفساد الأخلاقي تدل على أنه يعتبره نوعًا من القتل المعجل ، ومن ثم يذكره غالبًا بين نوعين من جرائم القتل «المائدة : 151، الإسراء : 31- 33» .

تعاطي الخمر والخبائث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: 90- 91].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: 108].

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: 4- 5].

تعاطي الكسب الخبيث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ [النساء: 29].

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 188].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: 10].

سوء الإدارة: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ [النساء: 5].

ثالثًا: مباحات:

التمتع بالطيبات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [المائدة: 87- 88].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: 31-32].

رابعًا: المخالفة بالاضطرار:

﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ﴾ [الأنعام: 119].

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:173] .

2-الأخلاق الأسرية :

أولاً : واجبات نحو الأصول والفروع :

الإحسان إلى الوالدين ، خفض الجناح لهما ، طاعتهما : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:23- 24] .

احتـــرام حيـــاة الأولاد :﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31] .

التربية الأخلاقية للأولاد وللأسـرة بعامـة :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[الأحزاب:59] .

ثانيًا واجبات بين الأزواج :

أ-دستور الزوجية :

علاقات محرمة :﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:22] .

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[النساء:23- 24] .

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:221] .

علاقات محللة : ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء:24– 25] .

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة:5] .

خصال «مأمور» بها ومستحبة : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء:34] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:28– 29] .

الصداق: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء:4] .

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة:5] .

شروط تعدد الزوجـات :﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: 3] (1) .

---

(1) ومن ذلك يتضح لنا كيف حاط القرآن إباحة تعدد الزوجات بالكثير من التحفظات ،ومع ذلك فليس في ألمر حظر مطلق لأن مثل هذا الحظر مناقض للفطرة .والواقع أننا نجد في كل زمان ومكان من حق الرجال من يكتفون بزوجة واحدة وآخرين أكثر اشتهاء للنساء بفطرتهم ، أليس منع هؤلاء من التزوج بأخرى في ظل شروط عادلة وشرعية إثارة لمشاعر الحقد على زوجاتهم ، حتى يتمنوا لهن الموت ؟

أليس هذا دفعًا لهم إلى خيانة خادعة ومنافقه لهن ؟ ومن ثم نسمح لهم بأن يتخذوا من الآدمية في شخص النسوة الخارجات عن الشريعة – مجرد وسيلة ، وأداة تمنع ، لا حق لها في شيء ، فتصبح باختصار من العبيد ،ومع ذلك فيبدو لنا أنه لم يحدث أن جاءت آية أخلاق موحاة بمنع متشدد في هذا الصدد ، بل لقد وجدنا العكس مباحًا ومطبقًا لدى كثير من القديسين والأنبياء في الكتاب المقدس .

ومن المحتمل أن الشعوب التي ألغت (التشدد9 قد أخذت هذا التحريم من تقليد عنصري أكثر من دينيًا ، ولكن هل يسري هذا الإلغاء للكلمة على الواقع حقًا ؟هذا أمر مشكوك فيه ، ودعك من القول بأنه قد ازداد انتشارًا من الناحية العلمية ، وبطريقة أكثر ظلمًا ، وأشد انحرافًا .لدى المجتمعات التي تدينه ، بعكس المجتمعات التي تقره شرعًا .

بيد أنه مما ينطق بالتناقض أن أولئك الذين يمنعون زواج الرجل بأخرى يسمحون في الوقت نفسه بصورة عامة بالمسافحة وباتخاذ الرفيقات ، وبكل صنوف الوصال الطليق ، شرطة ألا يوقع الطرفان عقدًا رسميًا يضفي الشرعية على العلاقة .

أليس الانخفاض التدريجي في معدل المواليد ، والعدد الهائل من الأمراض الجنسية والأطفال المجرمين والعاهرات علنًا وسرًا والكثير من ضروب البؤس الماثلة – أليس هذا كله نتيجة منطقية لهذا الشذوذ في التشريع ؟

ولا ريب أننا ينبغي أن نعترف بمساوئ التعدد ، كالغيرة والمنافسة الحاقدة التي يثيرها ، لا بين الزوجات فحسب ، بل بين الأولاد من زيجات متعددة .

ولكن ، أليس هذا الدليل مما ينبغي أن يثار أيضًا ضد التعدد غير المشروع ؟ .. ثم ألا يحدث هذا الشقاق في الأحوال العادية جدًا بين الأولاد من زيجات متتابعة ، بل بين الأخوة والأخوات من أب وأم؟

ب-الحياة الزوجية :

روابط مقدسة ومحترمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1] .

غايات الزواج:

1-سلام داخلي ، ومودة ، ورحمة : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:21] .

2-انتشار النوع: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل:73] .

المساواة في الحقوق والواجبات : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة:228] .

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء:34] .

تعامل إنساني : ﴿ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ [الطلاق:6] .

معاشرة بالمعروف ، حتى في حال الكراهية : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:19] .

معاودة الإصلاح في حال النزاع: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ [النساء:128] .

الحق أن هذه العيوب كلها ذات طابع عاطفي ، وبوسع التربية والتأديب أن يعالجها إلى حد ما ، وهي عيوب غاية في التفاهة ، إذا ما قيست بالعقوبات الأخرى التي تشقى المجتمعات الحديثة وهو موضوع يدعو المصلحين على التفكير .

التحكـــيم: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾[النساء:35] .

ج- الطلاق :

الافتـراق شـر مـذهب:﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:226- 227] .

فترة انتظار : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ﴾ [البقرة:228] .

السكنى ،والمعاملة بالمعروف على أمل الصلح :﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾[الطلاق : 6] .

لا عدة للمرأة المطلقة قبل الدخول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[الأحزاب:49] .

وبعد العدة ، فإما الإمساك بمعروف : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾[البقرة:231] .

وأما الافتراق الذي يسمح بالزواج مرة أخرى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[البقرة:232] .

لا غصب لشيء من المرأة المطلقة :﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:20] .

لا يكون الطلاق بائنًا إلاَّ في المرة الثالثة :﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:229- 230] .

تعـويض للمطلقـات بعامـة : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:241] .

ثالثًا: واجبات نحو الأقارب :

عطاء الغير : ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الروم:38] .

الوصـــــــية:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:180] .

رابعًا : الإرث :

حق لا يقتصر على الذكور ، أو الكبار ، أم الأولاد الوحيدين :﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء:7] .

وقد بين القرآن بعد ذلك قواعد القسمة في الآية 12 من سورة النساء وفي آخـر آياتها .

3-الأخلاق الاجتماعية :

أولاً : المحظورات :

قتل الإنسان :﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:151] .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾[النساء:92] .

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:93] .

السرقة :﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:38] .

الغش: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين :1– 2] .

القرض بفائدة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[البقرة:278– 279] .

أي اختلاس:﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ [الأعراف:85] .

كل تملك غير مشروع: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[النساء:29] .

أكل مال اليتيم : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء:2] .

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ﴾[النساء:6] .

خيانة الأمانة والثقة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ ﴾

[الأنفال:27].

الإيـذاء بـلا داع : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:58].

الظلم: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه:111].

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى:40].

﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان:19].

التواطؤ على الشر : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة :2].

الـدفاع بالأمانـة وبالوعـد: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل:91].

الغـدر والخـداع: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:107- 108].

غش القضاء وإفسادهم : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:188].

شهادة الزور: ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج:30].

كتمـان الحـق : ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة:283].

قـول السـوء: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:148- 149].

سوء معاملة اليتيم والفقير: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى

:9-10] .

السخرية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات:11].

التجسس :﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [الحجرات:12] .

افتراء والغيبة :﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا ﴾ [الحجرات:12] .

سوء القصد وسرعة تصديقه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات:6] .

القذف: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النور:4- 5] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [النور:19] .

التدخل الضار: ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴾ [النساء:85] .

ثانيًا: الأوامر :

أداء الأمانة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:58] .

﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [البقرة:283] .

الوفاء بالعهد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:34].

﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:34].

أداء الشهادة الصادقة: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ [الأنعام:152].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء:135].

إصلاح ذات البين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات:10].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾ [الأنفال:1].

التشفع: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَا﴾ [النساء:85].

التراحم المتبادل: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:29].

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:54].

الإحسان:،ولا سيما إلى الفقراء: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء:36].

تحرير العبيد: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:12-13].

العفو: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:134].

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورى:37].

دفع السيئة بالحسنة: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:22].

﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ

وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت:34] .

الدعوة إلى الخير ،والنهي عن الشر : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة:2] .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:104] .

نشر العلم : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:122] .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران:187] .

الأخـــوة والكـــرم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ [الحشر:9] .

العـــدل والمرحمـــة والإحســـان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: 90] .

العطـاء وحـب عـام : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق:7] .

شروط الإحسان:

1-مصارفه : ﴿ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة:215] .

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:60] .

2-غايتـه: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:272].

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ [البقرة:265].

3-نوع العطاء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة:267].

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:92].

4-طريقة العطاء:

أ-الأفضل أن يكـون خفيـة: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [البقرة:271].

ب-عدم الإساءة إلى آخذه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:262- 264].

توجيه إلى السخاء: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:103].

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد:11- 16].

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:9].

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:274].

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد :38].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة:34- 35].

ثالثًا: قواعد الأدب:

الاستئذان قبل الدخول على الغير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [النور :27-29].

خفض الصوت وعدم مناداة الكبار من الخارج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات:2- 3- 4].

التحية عند الدخول: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور:61].

رد التحيـــة بأحســـن منهـــا :﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء:86] .

حســن الجلســة :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا ﴾ [المجادلة:11] .

أن يكون موضوع الحديث خيرًا :﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المجادلة:9] .

استعمال أطيب العبـارات: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء:53] .

4-أخلاق الدولة

أولاً : العلاقة بين الرئيس والشعب

أ-واجب الرؤساء:

مشـاورة الشـعب : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:159] .

إمضاء القرار النهائي :﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران :159]

إمضــاء لقاعــدة العدالــة :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء:58] .

إقرار النظام: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ

أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة: 33 – 34].

صون الأموال العامة وعدم المساس بها: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٖ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 161].

للأقليات داخل المجتمع الإسلامي حريتها القانونية: ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـٔٗاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوْعِظَةٗ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: 42 – 48].

ب–واجبات الشعب:

النظـــــام: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: 7].

الطاعة المشروطة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

[النساء:59] .

الاتحاد حول المثل الأعلى :﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:103] .

﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:31– 32]

التشاور في القضايا العامة :﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى:38] .

تجنب الفساد: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف:56] .

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة:205] .

إعداد الدفاع العام:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال:60] .

تجنب موالاة العدو أو التعامل معه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الممتحنة:1] .

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:8– 9] .

﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴾[المجادلة:22] .

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[آل عمران:28] .

***

ثانيًا : العلاقات الخارجية :

أ-في الأحوال العادية:

الاهتمام بالسلام العام:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:128] .

موعظة بدعوة السلام:﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125] .

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:46] .

دون إكراه:﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[البقرة:256] .

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:21- 22] .

ولا إثارة الكراهية : ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:108] .

ترك الاستبداد والإفساد:﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:83] .

ترك المساس بأمن المحايدين : ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء:90] .

حسن الجوار –العدالة –البر :﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:8] .

ب–في حال الخصومة :

ترك المبادرة بالشر: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة:2] .

عدم القتال في الأشهر الحرام: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة:36] .

أو في الأماكن المحرمة : ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾ [البقرة:191] .

للحرب المشروعة حالتان : ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:91] .

2–مساعدة المستضعفين : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء:75] .

قتال المقاتلة وحدها : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:190] .

لا هروب من ملاقاة المعتـدين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال:15] .

الثبات والوحدة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:45- 46] .

الصـــبر والمصـــابرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:200].

لا خوف من المـوت ، فسيأتي في أجلـه : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران:154] .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:78] .

الخوف من مكائد الكفار ومؤامراتهم : ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة:191] .

﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:217] .

الوفاء بالمعاهدات المبرمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة :1]

مواجهة الخيانة بحزم : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:58] .

الوفاء بالشروط ، وإن كانت مضرة غير مواتية : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ

وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل: 91- 92] .

الأخوة الإنسانية :

رباط مقدس فوق اعتبار الجنس والنوع : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: 13] .

5- الأخلاق الدينية : «واجبات نحو الله»

الإيمان بالله وبما أنزل من حقائق : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ ﴾ [البقرة: 177] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136] .

تدبر آياته : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : 204] .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: 29] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : 24] .

وتدبر صنعه : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 20- 21].

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: 185] .

شكره على نعمائه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل: 53] .

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: 63- 74] .

الرضا بقضائه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: 214] .

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: 1- 3] .

التوكل عليه : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: 160] .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النور: 129] .

عدم اليأس من رحمته : ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: 87] .

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجرات:56] .

أو الأمن من بأسه : ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:97- 99] .

تعليق كل فعل مستقبل بمشيئته :﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الكهف:23- 24] .

عدم رد سباب المشركين : ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام:108] .

تجنب مجالسة الخائضين في آيات الله :﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:68] .

احترام اليمين متى حلف :﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾[المائدة:89] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:41] .

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:36] .

تسبيحه وتكبيره :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:41- 42] .

أداة الصلاة المفروضة :﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:103] .

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:78] .

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:238] .

حج البيت (على الأقل مرة في العمر) : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:96- 97] .

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة:197] .

دعاء الله بين الخوف والأمل: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ [الفرقان:77] .

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:60] .

التوبة إلى الله والتماس مغفرته : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور:31] .

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:110] .

وأخيرًا حب الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:54] .

وأن يكون حبه فوق كل شيء : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة:165] .

الفتح الثامن:

القرآن والكون والإنسان

الوصف القرآني للكون دليل على عظمة الخالق – سبحانه وتعالى – وآية عظمى على صدق هذا الكتاب الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: 42]، وقد وجهنا القرآن إلى أن نتأمل ما خلق الله وأبدع وصوَّر لنرى في عظمة المخلوقات دليلاً على عظمة الخالق.

وهذا الكون الفسيح الذي نعيش في جزء ضئيل منه مليء بالحقائق وآيات القدرة، قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:57].

والتأمل في الكون للوقوف على أسراره ونواميسه سبيل قويم للإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:3– 6].

ولفت القرآن انتباه الإنسان إلى حقائق هذا الكون ومعالم القدرة الإلهية في أنحائه، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:59]. والغفلة عن حقائق الكون ومعالمه وآياته جهل يعيبه القرآن، لأنه دعانا إلى بناء المعرفة على البصر العميق في الكون، والبحث المتواصل فيه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:20].

وعشرات الآيات التي تتعلق بالكون وما فيه تلفت انتباه الإنسان إلى تأمل آيات القدرة والانتفاع بأسرارها ، فحديث القرآن عن نزول الماء بقدر ، وأنه آية من آيات الله ، يوجب على المسلم أن يقف متأملاً هذه الحقائق باحثًا عن كنهها ، وهكذا جعل الله منه كل شيء حي في شتى المخلوقات التي تحت سمعنا وبصرنا في الكون ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل:48] ، وقال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:21– 22] .وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان:10– 11] .

إن على الإنسان أن يزيد من معارفه عن الكون ومادته وطاقاته ، عن كواكبه ونجومه ، عن مجراته وسدمه عن قوانينه ونظامه في الأفلاك والذرات ، عن الكائنات الحية فيه ، عن الكائنات الحية العاقلة ، عن الإنسان وبنائه العضوي والعقلي .. إلخ . على الإنسان أن يسلك طريقًا معرفيًا – نظريًا وتجريبيًا – من خلال الكون الذي يحيا في كوب من كواكبه في مجموعة من مجموعاته في مجرة من مرجاته ، فيما هو منظور له ، من أفق المنظور واللامنظور لتزداد معرفته بالمخلوقات وبالتالي بالخالق . يقرأ آيات الكون المسطور بأحرف من نور في كتاب الوجود ، يلج بعقله وبروحه آفاق هذا الكون الفسيح الممتد وآفاق نفسه من كونه ، ليرتقي في معارج المعرفة والعلوم ويقترب من معرفة معاني الإله الحق بتجليه في صفاته بعيدا عن الأوهام والتخيلات والتصورات القاصرة ، وعلى أساس من الحقائق المقررة بواسطة النشاط العقلي المؤمن المستمر في تعامله مع

قوانين المادة وقـوانين الطاقـة وقـوانين الأحيـاء التـي وصـفها الله بيقـين العلـم والشهود .

ما ذكرناه هو أمثلة فقط من الموضوعات التي تناولتهـا آيـات القـرآن العظـيم والتي تشمل مسائل وموضوعات وأمور أخرى كثيرة غيرها من مثل رفـع السـماء بغير عند (الجاذبية) وإمساك السـماوات والأرض أن تـزولا (طاقـة الربط)ونظـام المجموعة الشمسية وموقع كوكب الأرض التي وضعها الله للأنام وسبح أي سـير الشمس والكواكب في أفلاكها بانتظام في نظام محكم ومنازل القمر وتأثيره في المد والجزر واعتباره نور لا يضيء بذاته أي بطاقـة ذاتيـة وإنمـا يسـتمد مـن الشـمس السراج المنير .وأبواب السماء ما هـي ومـا معناهـا ؟ وقـدرات الإنسـان العقليـة وصلتها بـالحواس والإدراك وصـلتها بـالحواس والإدراك الزائـد عـلى الحـواس وظواهره المختلفة (E. S.P) والخلق والخلق الإنساني كيف بدأ وكيف يكون عـن طريق التكاثر الجنس والتكوين الخلوي من النطفة من المني عند الذكر ..والعلـق الذي يلعب الدور الأساسي في عملية حمل المرأة وعملية التكون الجنيني للطفـل داخل رحمها (بداية سورة العلق أول مـا نـزل مـن القـرآن) وكمـا يقـول الـدكتور المهندس محمد الحسيني إسـماعيل في كتابـه «الحقيقـة المطلقـة» (فعلقـة يعنـي الحيوانــات المنويــة للرجــل فهــي كــالعلق أي الــدود الرفيــع «هــذه حقيقــة علمية»وعندما يتثبت الحيوان المنوي ببويضة الأنثى فقد «علق» بها «وهذه حقيقـة علمية ثانية» وعندما تتثبت البويضة الملقحة بجدار رحم المرأة فقـد «علقـت» بـه «وهذه حقيقة علمية ثالثة» وعندما تبدأ البويضة الملقحة في الانقسام تأخـذ شـكل قطعة الدم الغليظ أو الدم الجامد وهذه «علقة أيضًا» « وهي حقيقة علميـة رابعـة » وهكذا فالقرآن المجيد يستخدم الكلمات الجامعـة التـي تنطبـق عـلى الجزئيـات والكليات معًـا وهـذا هوالفـارق بـين الفكـر البشـري المحـدود والفكـر الإلهـي اللامحدود) .. انتهى .

وتناولت الآيات القرآنية التطوير في الخلق الجنيني حتى (الخلق الآخر) فيما هو ممنوح للإنسان من قدرات وطاقات (اللروح) ولكن وما هي الروح ؟ ..

لا نعلم على الوجه الكامل الصحيح والدقيق لأن علومنا مازالت قليلة لا ترقى إلى المستوى الذي يؤدي بنا إلى المعرفة بذلك .. ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:85] .

ثم الظاهرة الخاصة (بالبحر اللجي) أي العميق وما فيه من أمواج مرتفعة ارتفاعًا هائلاً في أعماقه وما يعلو ذلك من أمواج سطحية ، وكما ذكر القرآن العظيم :﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور:40] . وفي وصف للنبي ذكر حقيقة أن تحت البحر نار وتحت النار بحر في أعماق المحيط كما في المحيط الهادي في أعماقه البعيدة جدًا .

وأذكر الحالات التي يتعرض لها الإنسان الذي يحضره الموت الفيزيقي أو الإكلينيكي ..وهي حالات لا تنطبق عليها القوانين الفيزيائية المعروفة للعلماء ..وقد عرفها الدكتور / رايموند مودي(1) في كتابه «الحياة بعد الموت» (LIFE AFTER DEATH) «والحياة بعد الحياة» (REFLECTIONS ON LIFE AFTER LIFE) ويقول عنها القرآن العظيم :﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة:83- 85] .

وكما في يوم الوعيد الذي يكون فيه النفخ في الصور – وحقيقته غير معروفة – يقول القرآن العظيم :﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

(1) (RAYMOND MOODY) في تجارب الموت الإكلينيكي .

[ق:22] (1). ثم أذكر باختصار ما يقوله القرآن العظيم عن (الذرة –)أساس البنية الكونية المعروفة .

القرآن والذرة :

تناولت آيات القرآن المجالات التي تبحثها ميكانيكا وفيزياء الكم والمجالات التي تبحثها النسبية العامة ،وهي الكائنات والأشياء اللامتناهية في الصغر والكائنات والأشياء اللامتناهية في الكبر وكلاهما أساس البنية اكلونية وكلاهما داخل في محتوى علم الإله الخالق الشامل الواسع والمحيط الذي يسع كل شيء جملة وتفصيلا في جزئياته وكلياته ، فقد استعمل القرآن العظيم حقيقة «الوزن الذري» في سورة الزلزلة حين يقول : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ ، وذلك عند ميزان أعمال كل إنسان التي يحاسب عليها يوم القيامة ،وكذلك أشارت الآيات إلى الجزئيات والحبيبات الدقيقة الأصغر من الذرة المكهربة في تكوينها الداخلي في أعماقها فيما مثلاً مالا كتلة له كالفوتون وغيره وفي نفس الوقت أشارت الآيات إلى الكائنات والأشياء الامتناهية في الكبر نذكر في سورة لقمان مثلاً : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:16] . ، وذكر في سورة الأنبياء: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:47] . وذلك أنه إذا نسبنا مثقال حبة الخردل فيحجمها ووزنها إلى (صخرة) فإ، الأمر قد يمكننا قياسه أو غدراكه أما إذا نسبنا مثقال حبة الخردل في حجمها ووزنها إلى (الأرض) فإن الأمر يصعب أن لم يكون يستحيل قياسه أو إدراكه .

(1) تحدثنا عن الظواهر المصاحبة للموت الإكلينيكي كما ذكرها الدكتور : رايموند مودي في كتابه ، وذلك في كتابنا «الإسراء والمعراج وعلوم العصر» وناشره دار الكتاب المصري اللبناني .

أما إذا نسبنا حجم وزن مثقال حبة الخردل إلى (السماوات) أي الكون في اتساعه الشاسع فإن المر يكون فوق كل قياس أو إدراك أو تصور أو تخيل أو افتراض نظري وتفسيره حينئذ لا يخضع لاعتبارات فيزيقية بحتة .

وفي كل ما سبق يقول القرآن العظيم : ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ يونس:61] . ، فالآية تشير إلى موجودات أصغر من الذرة من مثل ما اكتشفناه مؤخرًا فقط من البروتون والنيوترون والفوتون والكواركس وغيرها مما يدرس ميكانيكا وفيزياء الكم (Quantum) وضمن (Highenergy – Particle Physics) فيما تخصص وتفوق فيه العالم الكبير مؤلف كتاب «موجز تاريخ الزمن» وترجع فكرة أو مفهوم الذرة على الفيلسوف اليوناني ديموقراط () (460– 370 ق . م) الذي كان يعتقد أن الجسم يتألف من أجزاء صغيرة لا تنقسم أي ذرات لا تتجزأ ولا ترى بالعين .

وأقول عن كوننا الذي نعيش فيه ونعايشه أنه يختلف عن الكون الذي تعايشه الكائنات الروحية النورية أو يعايشه الإنسان في البرزخ بروحه الطليقة أو ربما المقيدة حسب أعماله في الدنيا وذلك لاعتبارات الاختلاف بين المادي وبين الروحي أو النوري وما يتعامل فيه كل منهما من ماديات وقوى وطاقات وخواص وخصائص النور المختلف عن المادي والمغاير لوجودنا وأن كنا لا نرصده أو نراه كما في حياة البرزخ : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون:100] ، والبرزخ هو الحاجز بين الحياتين والوجودين الدنيوي والأخروي ..

وعلى ذلك فقد استعمل القرآن العظيم «الذرة» كوحدة قياس في الصغر ووحدة قياس في الوزن فذكر أن رمز الصغر المطلق في الكون هو الذرة وهو رمز عام أو شامل أو مشترك أو مطلق في القياس في الكون كما في الوزن الذري هو المقياس الرمزي للإحاطة بسلوك الإنسان كله ، وكل تفاصيله ساعة الحساب يوم القيامة .

وأخيرًا يحدثنا القرآن العظيم عن جزئيات الذرة الأصغر من وحدتها الكلية وذلك عند الحديث عن الحجم الذي وقوله :﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ في سورة يونس أي من مثقال الذرة . فالعلماء كانوا عاجزين عن رؤية الذرة مباشرة ولكن أمكن للعلماء فقط إدراك صفاتها وفهم مميزاتها وتفاعلاتها مع الضوء ولكن في مرحلة زمنية سابقة أسيء فهم مقاصد وغايات النظرية الذرية (Atomism) من قبل البعض الذين اعتبروها مقابلة للإلحادية المادية ولم يتم بحث النظرية الذرية أو إحياؤها بصورة جدية إلا في العصور الحديثة (القرن 16 على وجه التقريب) وإذا كان العلماء لم يتمكنوا من رؤية ورصد الذرات وهي في حالة حركة وفي النهاية ثبت أن مفهوم ترابط الجزئيات والذرات مفهوم أساسي في علم الفمتوكيماء باعتباره المفتاح الرئيسي في التعرف على دنيا الجزئيات والتحكم فيها على المستوى الذري واكتشف عندها الدكتور أحمد زويل أن ذلك يكون باستخدام تقنيات تعتمد على استخدام الليزر وتمكن بكاميرا معينة أدق من اجهزة ليزر بيكو ثانية (وهي جزء من ألف بيكو من الثانية) من رصد الذرات وهي في حالة حركة وهكذا ولدت علوم جديدة مثل «الفيمتوكيماء» و«الفيمتوبولوجيا» و«الفيمتوثانية» التي ساهمت في ترويض المادة وقياس الزمن ، ورهنت هذه العلوم أن الجزئيات يمكنها أن تتحرك حركة مترابطة ومنتظمة لا تشوبها شائبة . وتعتبر فكرة قياس الزمن وتسجيل الأحداث وترتيبها ومراقبة ديمومتها في العالم الطبيعي إنجاز علمي .

وأنه مع التسليم بأن الآيات الكونية في القرآن العظيم قد وردت في معرض التذكير بقدرة الله وبديع صنعه فإنها تبقى بيانًا من الله تعالى خالق الكون ومبدع الوجود وهي لذلك كلها (حق مطلق)يؤمن به الراسخون في العلم ، كما هو يقول، ولذلك فإن قوانين الطبيعة وسننها في الكون تنسجم معها ،وكذلك تنسجم معها معطيات العلوم الحديثة فيما تفيد الآيات من (اليقين) عن حقائق الكون وفيما

تتميز به الدقة المتناهية في التعبير والثبات في الدلالة والشمول وبحيث تتميز الدلالات القرآنية بالسبق إلى الحقيقة الكونية قبل أن تدرك الكشوف العلمية شيئًا منها قرونًا طويلة مع العلم أن العلماء يتحدثون عن نظريات (THEORIES) يصوغونها بينما القرآن يتحدث عن حقائق (FACTS) تصوغها آياته . فإذا تحدثنا –مثلا– عن النظريات الفيزيائية فإنها يجب أن تكون دائمًا متسقة مع نفسها – (SELF CONSISTENT) لأنها إن لم تكن كذلك أي كانت غير متسقة مع نفسها (INCONSISTENT) أو بها مضامين متناقضة فوفقًا للفيزياء العامة والرياضة فإن هذه الأمور هي العامل الذي يقضي على النظرية الفيزيائية مهما كانت صحة النتائج الجزئية الناتجة عنها .

هذا وأنه ليست هناك حقيقة علمية مطلقة تثبت باليقين الحق إلا وهي متفقة ومتوافقة مع نظيرها الذي يشير إليه آيات القرآن العظيم بل إننا نقول باليقين أن آيات القرآن العظيم تضفي الثبات والشمول والحق في المحتوى والحقيقة في المعنى المعلوماتي على المعلومة العلمية المتكشفة في الطبيعيات والكونيات والإنسانيات في معناها العام ودلالاتها وذلك لسبب بديهي وطبيعي بسيط قلناه من قبل وهو أن مفردات الكون والطبيعة ركبها الله تعالى الخالق على أساس علمه الذاتي في قرآنه الذاتي (قرآن الذات الإلهي) الشامل والمحيط بكل ما هو مخلوق وكائن وموجود في هذا الكون بسماواته وأراضيه ما ندركه منه وما لا ندركه ، فيما ترصده فيه وما لا نرصده ،ويمكننا أن نقول مع ذلك أن الإعجاز العلمي هو أحد أوجه الإعجاز العديدة في كتاب الله الخاتم ، القرآن العظيم .

ومع ذلك أحب أن أقول أن القرآن العظيم لا يتناول تفصيلات كل علم بما يتناوله من حقائق وتفاصيل ونظريات ومسائل وفروض ودقائق ، إذ ليس من طبيعة ذلك باعتباره دعوة وحجة فهو يهيئنا نحو الحق ويدعونا في ذلك إلى الأخذ

بالعلم واحترام العلم والعلماء والاستزادة من العلم ، كل أنواع ومجالات العلم ، والمستخدمة في إطار عقائد وأخلاقيات الدين وقيمه الروحية وفيما ينفع ويفيد ولا يضر أو يفسد .

وحينما نزلت الآيات الكونية في القرآن العظيم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة تتكلم عن السماوات والأرض وطبقاتها وجبالها وحيواناتها ونباتاتها ..إلخ والنجوم والكواكب والذرات وجزئياتها وعن بدء الخلق وعن خلق الجنين وتكوين الإنسان .. إلخ لم تكن علوم الفلك (الحديث) معروفة ولا علوم الذرة ولا علوم البيولوجيا والتشريح ولا علم الأجنة والفسيولوجيا والإنثرولوجيا وغيرها إلخ .. معروفة كما هي معروفة حاليًا في عصرنا ولذلك يقول المرحوم الدكتور مصطفى محمود في كتابه «حوار مع صديقي الملحد» في فصل عنوانه «القرآن لا يمكن أن يكون مؤلفا»(1) . «لم يتعرض القرآن لهذه الموضوعات بتفصيل الكتاب العلمي المتخصص لأنه جاء في المقام الأول كتاب عقيدة ومنهج وتشريع . ولو أنه تعرض لتلك الموضوعات بتفصيل ووضوح لصدم العرب بما لا يفهمونه .. ولهذا لجأ إلى أسلوب الإشارة واللمحة والومضة لتفسرها علوم المستقبل وكشوفه بعد ذلك بمئات السنين وتظهر للناس جيلا بعد جيل كآيات ومعجزات على صدق نزول القرآن من الله الحق » وهو الذي يقول : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص:88] .انتهى

الدراسة التي أعدها موريس بوكاي

وأختتم هذا الفتح بالإشارة إلى الدراسة المتعمقة والموضوعية التي أجراها الطبيب الفرنسي موريس بوكاي (MAURIECE BUCAILLE) وأخرج بها كتابه الشهير «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» (LEBIBLE . LECORANET ET

(1) يمكن للقارئ الرجوع إليه إن شاء .

(LA SCIENCE)[1] متضمنًا دراسة موضوعية للقرآن العظيم في ضوء المعارف العلمية الحديثة ، وباللغة العربية التي درسها وأجادها الدكتور / بوكاي وخرج من دراسته بنتيجة أساسية وهي أن القرآن يثير وقائع كثيرة ذات صفة علمية وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن ، العلمية من وجهة النظر العلمية ويقول في كتابه : «ويفضل الدراسة للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العهد الحديث » انتهى ..

ومن الضروري أن ننوه أن القرآن الكريم كتاب منزل من خالق الكون العليم بأسراره وقوانينه وسننه ونواميسه لأنه هو الذي أبدعها وأوجدها وجعلها فاعلة ولذلك فمن العبث أن نعقد سباقا لا معنى له ولا يصح بين القرآن العظيم وبين علوم البشر لأنها حتى وإن بلغت في زماننا شأنًا عظيمًا ومبلغًا عاليًا وآفاقًا شاسعة فهي ليست إلا (شيئًا) ضئيلاً وبسيطًا من علم الله الشامل الكامل والمحيط بكل شيء وكما يقول القرآن ذاته :﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ آية الكرسي .وكذلك كان السير جيمس جينس (الفلكي الكبير صاحب كتاب «الكون الغامض» متعجبًا ومندهشًا بما جاء في القرآن العظيم :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ وقال بشأنه : «شهادة مني أن القرآن كتاب موحى من عند الله .لقد كان محمد أميًا ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه ولكن (الله) هو الذي أخبره بهذا السر .. مدهش .. وغريب وعجيب جدًا »[2].

(1) الذي ترجم من الأصل باللغة الفرنسية إلى اللغات العربية والإنجليزية الصربكرواتية والإندونيسية .

(2) عن مجلة (نقوش) الباكستانية وكما جاء في كتاب «كيف نتعامل مع القرآن العظيم» لفضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي .

الفتح التاسع:

من آفاق التفكير العلمي في القرآن

العلم يقوم على الحقائق ، ويصل الإنسان إلى الحقائق حين يتمكن من أداوت المعرفة والبحث العلمي ، وحيث يكدُّ عقله في قوة الملاحظة ودقة المشاهدة ، وعمق التفكير ، وداوم التدبر والتأمل .

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يظهر له بوضوح أنها أسست للتفكير العلمي ، وحثت عليه ، وكذلك ألسنة النبوية المظهرة ، ولنا أن نتأمل المحاول القرآنية التالية التي يظهر فيها أسس التفكير العلمي .

***القرآن يعرض الحقائق بأسلوب علمي واضح :**

فكثير من آيات القرآن جاءت في صورة مقدمات تؤدي إلى نتائج ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:97] .

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق:2].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق:3] .

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾[التغابن:11] .

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء:123] .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:7] .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس :9- 10] .... إلخ .

✽محاربة القرآن للتقليد الأعمى :

قال الله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:170] .

وقال تعالى :﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:166] .

✽الواقعية والموضعية :

فالإسلام دين الفطرة ، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم :30] .وقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:286] .

✽اعتماد القرآن على أسلوب الحجة المنطقية والإقناع العقلي حتى في أعظم ما في الوجود ، وهو الذات الإلهية :

وذلك فيمثل قوله تعالى :

﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:59] .

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان:11] .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن

ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم:40] .

٭الآيات التي تعدد مظاهر القدرة الإلهية لتكون دافعًا للإيمان بالله مثل :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر:40] .

﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل:60] .

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ [الملك:21] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [الفرقان:45] .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ [القصص:71] .

٭تزكية القرآن للعقل :

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:43] .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:44] .

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الرعد:19] . أي الذين يتعمقون في لب الأشياء .

٭حث القرآن على التفكير والتأمل والتدبر :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد:3، 4] .

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران:191] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:82] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد :24] .

***يثير القرآن في النفس روح التأمل والملاحظة العلمية لقراءة مظاهر القدرة في كون الله المفتوح :**

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت:20] .

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ [الملك:4] .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [النحل:48] .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد:41] .

***القرآن يلفت انتباه الإنسان إلى أدوات الحس والبحث والإدراك ؛ السمع والبصر والفؤاد:**

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:36] .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج:46] .

***القرآن يحارب الخرافة ويستبدلها بالعلم :**

وذلك حين أراد الله – عز وجل – أن يظهر تأييده بالمعجزات لسيدنا سليمان – عليه السلام – فكانت الغلبة لمن عنده علم الكتاب ، قال تعالى :

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:39 – 40] .

⁕القرآن يحارب العشوائية :

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49] .

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:3] .

ومن ذلك تقدير النبي ﷺ لعدد من المشركين في غزوة بدر من سؤال الغلام : كم ينحرون في اليوم ؟

إن القرآن العظيم لم تنزل من الله بالرسالة الخاتمة على النبي الخاتم داعيًا إلى إنكار أو رفض أو تجاهل أو إغفال دور القوانين المادية في الطبيعة (الفيزيائية وغيرها) لأنها قوانين وسنن وضعها الله الخالق وأعطاها فعالياتها وتأثيراتها ولذلك فهي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول وتؤكد آيات القرآن ثبوتها وثباتها ومتصالحًا معها لا متحديًا لها فيقول : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:62] ويقول : ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر:43] فالله كما يقول القرآن العظيم هو :﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:1 – 3] . وهي حجة موسى النبي عليه السلام التي حاج بها فرعون مصر في وقته :﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:50] .وهذا الهدى من الله في خلقه يلاحظ واضحًا في الخلايا في

الإنسان وهي التي تعرف الوظائف المطلوبة منه وتؤديها من تلقاء نفسها كما هداها إليها ربها الله المتحكم والمسيطر والموجه والهادي بسر منه لا زلنا لا نعرفه. ربنا : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه :50] .

كما وأن القرآن العظيم لا يحدثنا فقط عن قوانين الله وسننه في الطبيعة وإنما يحدثنا أيضًا عن قوانينه وسننه في الناس الأمم وآجالهم والأحداث المتعلقة بهم إيمانًا وكفرًا ؟؟؟؟؟ مثلا عن (سنة الأولين) كما في سورة الأنفال والحج والكهف والأحزاب وفاطر والفتح ويتحدث عن :﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدۡ خَلَتۡ فِى عِبَادِهِۦ ﴾ [غافر:85] وعن﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُ ﴾ [الفتح :23] وعن :﴿ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [النساء:26] . يبينها الله لنا ويهدينا إليها لمعرفتها والاتعاظ والتدبر كما يقول :﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران :137] .

إن الوجود الطبيعي المخلوق يسير وفق سنن وقوانين نافذة وفاعلة ودائمة بأمر ربها وموجدها لا يغيرها الله ربها أي لا تحويل ولا تغيير لها ولا تبديل إلا في حالات يقضيها الله الخالق متى شاء وكيف شاء كما معجزات الرسل لأن الوجود الطبيعي المخلوق لا يوجد ولا يتحقق ولا يكون ولا يسير في أحداثه وفي إيجاد كائناته ومخلوقاته من خلال عشوائية أو صدفة أو حظ أو فوضى أو تضارب أو تعارض أو اختلاف يمنع أو يوقف أو يبطل أو يعطل فاعلية القوانين والسنن وقواها وطاقاتها الفاعلة بأمر الله والتي هي تعبير عن إرادة وأمر وقدرة وحكمة وتدبير وتوجيه وتصريف وسيطرة وإمساك من الله الأكبر الخالق لكل شيء بتصميم ذكي وحكمة بالغة بادية وبرهان بشرى وفاعلية إيجابية صانعة وموجدة وخالقة من تجليات طاقات وقوى الأسماء الحسنى والصفات العلى لله الجامع لها في وحدتها وتوحدها والمتصف بها في أحديته وواحديته ووحدانيته وحيث كل

حادث يحدث بقضاء من قدر مقدر وعلم أزلي أبدي دستور ويتحقق وينفذ بسر الكلمة (كن) فيما كان وما هو كائن ومال سيكون بإرادة وأمر وقدرة وطاقة لا تحدهم أبعاد ولا يعوقهم أنداد ولا يعجزهم صنم أو وتن في إلحاد ولا شركاء في الخلق والإيجاد .. ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:49] . ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:22] . فالوحدة في الوجود والموجودات وسلوكها هي السمة الواضحة البادية والثابتة وهي حقيقة (التوحيد) في العقيدة في الله وفي كل شيء وكافة رسالاته الدينية التي بعث الله بها أنبياء ورسله وختمها محمد رسول الله وما أوحى إليه ربه من القرآن العظيم خاتم الكتب الإلهية لهداية الناس بالحق والنور والفرقان وهو: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص:29] .

ولكن هذه السنن والقوانين في الكون التي وضعها الله الخالق تحكم الكون وتنظمه بإرادة موجدها وأمر خالقها الذي حدد لها بسر الكلمة الآمرة فعالياتها وخواصها وتأثيراتها المستمرة ؟؟؟؟؟؟ وفق إرادته وأمره .

كونيات وإنسانيات في القرآن :

لقد تناول القرآن العظيم الكثير جدا من المسائل والموضوعات التي لا زالت تحتاج إلى تفسير وتوضيح وتأويل بالتعمق في أسرارها ومعانيها وحقائقها الظاهرة والباطنة لإلقاء المزيد من ضوء المعلومات عليها وربما يعاون في تبينها ما يتوفر حاليًا من معلومات في علوم عند العلماء المؤمنين أو ما قد يتوفر لديهم من معلومات وعلوم في المستقبل ، واذكر من هذه المسائل والموضوعات التي تناولتها آيا القرآن العظيم وعلى سبيل المثال فقط وليس الحصر الذي يصعب جدًا ما يلي ك

1 –حالة وواقع عدم الموت وعدم الحياة .. كما في جهنم التي (لا يموت فيها

الإنسان ولا يحي) .

2-بيان التفاوت في السرعات والمقدرة على الانتقال والحركة .. والزمان في مجيء يوم القيامة وأمر الساعة لمح البصر أو أقرب .

3-ما يقرره القرآن من اختلاف الزمان والتوقيت والواقع في سورة أهل الكهف ..وقد خصصنا لها كتابًا مستقبلاً ينشر قريبًا إن شاء الله .يوضح توافق النتائج في مفارقة التوأم لأينشتاين (TWIN PARADOX) مع دلالات آيات أهل الكهف في أحد مفاهيمها العديدة .ثم مفهوم ومعنى﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ أي أهل الكهف النيام .

4-الذاكرة وكيف ولما يتذكر الإنسان شريط حياته عندما يأتي الله بجهنم ..أسرار العقل المصاحب للمخ ومصدره الروحي (النفخة) .

5-الكتاب الذي يلقاه الإنسان منشورًا عند الحساب يوم القيامة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .. إلخ .. ما هو وكيف يكون .. وصلته بالمخ والذاكرة .. إلخ .

6-سر ظهور الإلوهية والربوبية عند (الطاقة) كما حدث مع نبي الله موسى الذي رأى نار ونورا في سيناء مصر وعند الشجرة . وأسرار تجلى الربوبية والإلوهية عندها : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه:9- 14] .

7-معاني الآية 35 من سورة النور ..﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ ؟ والتي يشير إلى المخ والعقل القلب (CORE) والوعي والإدراك (وسنتحدث عنها

لاحقًا) والشجرة الموقدة وهي الكهرومغناطيسية حسب علمنا .

8-الوفاء حين الموت وحين النوم.. وصلتها بالوعي الإنساني .. وما هي أسرار النوم وكيف يقترب من الموت .. وكيف يقترب الاستيقاظ من البعث ؟ وكيف يكون الإمساك والإرسال للنفس ؟ .

9-ما هو الإعصار .. وما هو الإعصار الذي فيه نار .

10-ما هي النفس الواحدة وهل هي النطفة من المنى .. وهي الخلية الحية الواحدة وهي النطفة من الذكر ؟ .. والتناسل الإنساني والإخصاب وطبيعة السائل المخصب والبويضة التي تعشش في جهاز الأنثى التناسلي وظهور الجنين في الرحمن .. إلخ .

11-منطق الطير .. ما هو..كيف يكون .. وما أصله أو مصدره ؟ ومنطق الحشرات من مثل النمل ، ونحن نعلم الآن أن عالم الحشرات حافل بدراسات مستفيضة عن لغة النمل ولغة النحل والهداية عند الطيور والحيوانات مثل الثعلب والذئب والقرد والفئران .. إلخ . وهم أمم أمثالنا كما يقول القرآن العظيم .

12-تصريف الرياح .. كيف ثقل السحاب الثقال ثم كيف تنزل الماء الذي يُخرج من كل الثمرات وكيف يكون ذلك دليلاً عمليًا على قدرة الله في البعث وإخراج الموتى من القبور ؟

13-فالق الحب والنوى ..كيف يكون ؟وفلق الإصباح ..وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ..ما هو وكيف يكون ؟

14-مجموعتنا الشمسية وبنيتها والظواهر الطبيعية في كوكب الأرض وما هي بنيته ؟وكيف وضعه الله للأنام ؟

15-زيادة البسطة في الخلق للإنسان ..كيف يكون وما هي العوامل الوراثية

التي تؤدي إليه ؟وكبر العمر وأرذله وتأثيراتـه عـلى المـخ والعقـل ، وعـلى نشـاط الإنسان .

16-مواقع النجوم وأنواعها وطاقاتها ومجموعات نظمهـا في كوننـا وأبعادهـا وخواصها وخصائصها .. وكل شيء عنها .. في حياتها وموتها .. والثقوب بأنواعها وموقعها والتي يشير إليها القرآن في (النجم الثاقب) أي الذي يحدث ثقبًا .

17-الذرة .. والجزئيات الأصغر منها التي تـدخل في تكوينهـا .ز خصائصـها وخواصها وطاقتها عند الالتحام أو الانشطار .. إلى غير ذلك .

18-ما هو موضوع .. «لو يعمر الإنسان ألف سنة »الذي جاء في الآية 96 مـن سورة البقرة ..وما هو علم الهندسة الوراثية .. الذي ربمـا قـد يمكنـه إطالـة عمـر الإنسان .. وهل يقضي على الموت .

19-ما معنى «الخلق».. وهل يمكن خلق شيء من العدم ؟كما يخلق الله مـن العدم؟وهل من يخلق كمن لا يخلق ؟

20-إمساك الله للسماوات والأرض أي الكون من أن يـزولا أو يـزول .. ومـا هو سر الإمساك ، ومعناه وأسبابه .. ؟ وقوة أو طاقة الربط في الذرة .

21-جهنم لا تبقي ولا تذر .. ما هو معنى ذلك ؟ وكيف يكون .. وهل لـذلك مظاهر في حياتنـا الـدنيا والكائنـات فيهـا ذات الطاقـة عـلى الإحـراق والانصـهار والذوبان للأشياء .. بما فيها الإنسان ؟

22-الخلود .. والزمان معه .. كيف يكون ..وحقيقة الموت والحياة في الـدنيا وسماته في البرزخ وفي الآخرة .. والتنكـيس في الخلـق عنـد بلـوغ أرذل العمـر .. وتناقض القدرات العقلية والعلمية والجسدية ..

23-الآيات في المجموعـة الشمسـية ..السـماوات والأرض .. والسـماوات

العلى .. واختلاف الليل والنهار .. والظل والحرور ..وما هي إمكانيات الأرض فيما وصفها الله للأنام ..وحياة البشر وسائر المخلوقات فيها .. وتشهدها للإنسان.

24-الانفعالات والمشاعر والأحاسيس مثل الضحك والبكاء (وأنه أضحك وأبكى) كيف ولماذا تكون ؟ وكيف ترجع إلى الله كما يقول القرآن العظيم من خلال (مثل نوره) الذي ورد في سورة النور عن الإنسان ..وإلخ .وما يتصل فيه بالكهرباء والمغناطيسية بقطبيها الشمالي والجنوبي وهي (الشجرة) وقود المخ من نور لم تمسه نار يضيء الزجاجة (وهي المخ) بمصباح هو(العقل) والمذكورة في السورة بأنها لا شرقية ولا غربية .. إلخ (جيمز ماكسويل والكهرومغناطيسية) .

25-الخلية الحية .. والخلايا العصبية .. تكوينها ومنشأها وخواصها ونموها وتكاثرها وتخصصها ودورها في إكمال البنية الإنسانية ..وهي النفس الواحدة في القرآن .

26-خواص وخصائص وفوارق القلب (CORE) والفؤاد واللب والنهى بالنسبة للعقل والوعي والإدراك ..

27-مساكن وبيوت النمل والنحل .. نظامها وما توفره من حماية وعمل مشترك جماعي وغذاء نافع ومفيد (النحل / العسل) حسب الأماكن والظروف المناخية المختلفة في المواسم .

28-أضرار البرودة التي يقول عنها القرآن بالنسبة لإبراهيم عندما ألقى في الخندق ليحرق .. (بردًا وسلامًا على إبراهيم) ..وكيف يكون السلام ضروري مع (البرودة) الشديدة .

29-البعد الكامل لحقيقة كون الله نور السماوات والأرض (الآية 35من سورة النور) ومثل نور الله ..و يشمل هذا البعد كيف يوقد أو يضيء (المصباح)

وهو (العقل) في الزجاجة الهشة وهي (المخ) ثم (الشجرة) التي يوقد منها المصباح أي العقل وكلها في (المشكاة) وهي الدماغ .. إلخ .. وكيف يتولد الوعي والعقل من خواص طاقة النفخة الروحية من مصدرها الرباني ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ بعد التسوية الهيكلية للإنسان في كل مكوناته الخارجية والداخلية والظاهرة والباطنة وأهمها (المخ والقلب والجهاز العصبي المركزي إلخ ..) والأساس (الخلوي) لذلك وصلة الحالات النفسية والعقلية للإنسان بالمخ وسلامته وصحته وما يترتب على اعتلال المخ من أضرار مرضية تؤثر على الإنسان في التكيف مع البيئة الاجتماعية وعلى أنماط التفكير والسلوك والتصرفات في الواقع والعلاقات بالآخر (الهلوسة والجنون والسفه والعته .. إلخ) .

30-كيف يتكيف الإنسان مع الليل والنهار (الليل لباسا) (ونومكم سباتا) 0الليل لتسكنوا فيه) و(النهار مبصرا) و (النهار معاشا) ..إلخ.

31-تأملات القرآن في السماوات وتعددها والسماوات العُلى والخلق الوسط بين السماوات والأرض .. وهو ما دلَّ العلم الحديث على وجوده ..وكيف5 تم ترتيب نظم النجوم والكواكب والموضوعة في مراكز توازن .. وشرح إسحق نيوتن الثبوت الدائم لهذا التوازن في قانونه عن جاذبية الأجرام (سورة :ق ولقمان والرعد والحج ويونس .. وغيرها في القرآن العظيم).

32-الفرق بين ضوء الشمس ونور القمر والكواكب ..ومدارات النجوم والقمر والكواكب ..واكتشاف كوبرنيكوس في القرن السادس عشر عن خطأ (مركزية الأرض) وهو المفهوم الذي كان سائدًا بالخطأ منذ بطليموس .

33-توسع الكون وامتداده وابتعاد المجرات عنا بسرعات هائلة .. (الآية 47 من سورة الذايات) في القرآن العظيم .

34-الآيات التي تتحدث مثلاً عن :

1-دورة الماء والبحر (ومختلف النظريات العلمية ومنذ القرن السابع قبل الميلاد) والتوافق بين معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث وبين كثير من الآيات القرآنية ، كما مثلا في الآية 21 من سورة الزمر والآية 43 من سورة النور والآيات من 68 حتى 70 من سورة الواقعة) ، هذا وليس في القرآن أي آية عن البحار ترجع إلى معتقدات أو أساطير أو خرافات كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن العظيم وقبله .

2-تضاريس الأرض :

وتقول آيات القرآن العظيم أن الطريقة التي خلقت بها الجبال موائمة للثبات وذلك يتفق تمامًا مع معطيات علم الجولوجيا (سور نوح والذاريات والغاشية والنبأ والنازعات .. وغيرها)

3-الطبقة الجوية المحيطة بالأرض – الظاهرات التي تحدث في الجو ويتفق معها العلم الحديث (سور الأنعام والرعد والنور غيرها) .

35- ظاهرة ضيق الصدر للإنسان الذي يصعد ويرتقي في السماء .. لماذا تكون ؟كما في «سورة المائدة الآية 125» .

36- تفسير الرؤى والمنامات .. والرؤى الصادقة .. والرؤى التي تنبئ بمستقبل الأحداث .. كما في «سورة يوسف/ 47» .

37- المساحات الشاسعة الهائلة في الكون .. تقديرها وحسابها .. كما في «سورة الحجر/ 5».

38-انتقاص كوكب الأرض من الأطراف .. معناه .. كما في «سورة الرعد / 49» .

39-الجبال الراسيات التي تحفظ توازن الأرض .. كيف تكون .. كما في

«سورة النحل / 25» .

4-خلق البشر .. التراب ثم النطفة ثم العلقة ثم المضغة المخلقة وغير المخلقة .. كما في «سورة الحج/ 5» ثم العظام ثم اللحم الذي يكسو العظام كما في «سورة الحج/ 5 والمؤمنون / 34» ثم طور الخلق الآخر ، وكيف يتحدد عامل الجنس (DETERMINA TION FACTOR) .

41-بيوت الحشرات وبنايتها وأوهنها بيت العنكبوت ..كما في «سورة العنكبوت/ 41» .

42-كيف يجعل الله من الشجر الأخضر نارا ..وعملية البناء الحيوي التي يقوم بها النبات الأخضر .. وماهية عملية التمثيل الضوئي أو عملية البناء الضوئي .

43-كيف هي بنية السماء بأيد أي بقوة واتساعها وامتدادها المستمر .. كما في «سورة الذاريات/ 47».

44-الحديد من أين جاء أو أنزل ..وما يحيوه من بأس شديد ومنافع للناس ، كما في «سورة الحديد/ 25» .

45-اختلاف بنان أصابع يد الإنسان .. البصمة .. سر عدم تسوية الناس بها وأثار ذلك في حياة الإنسان وسلوكياته ، كما في «سورة النبأ/ 4».

46-النجم الثاقب .. أي الذي يحدث ثقبًا في السماء .وما هي أنواع الثقوب .. السوداء والدودية والدوارة وغيرها ..خواصها وخصائصها وهل هما فعلا لم يذكره القرآن ؟

47-العناصر المشتركة المقترنة بالوعي والعقل والإدراك من سر خواص وطاقات العطاء الرباني من (روحه) وهو سر من أسرار النفخة : فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ

فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجرات:29] .ومستويات العقل والفقه .. المخ والقلب والفؤاد واللب والنهي ..

48-علوم ومعارف النفس .. في الصحة والاعتلال والمرض والتوازن والتوافق والسلوك (السوي والمنحرف) والاستقامة والانحراف أو الضلال .. والغريزة والعقل .. وحالات ومستويات النفس (المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء) وما هو سر ومعنى (إلهام النفس) بالفجور أو التقوى أي الشر والخير ..وكيف يكون .

49-سبح الجبال في الفضاء أي حركتها في أفلاكها المرسومة ، وذلك لأن الأرض كلها تسبح بجبالها حيث هي والجبال كتلة واحدة .. كما في «سورة النمل / 88» .

50-ما طبيعة (السقف المرفوع) في السماء ؟ وكيف تمت بنيتها بأيد (بقوة) ..وما هوسر توسعها وامتدادها المستمر والسريع كما في الآيات (32) من سورة الأنبياء و (47) من سورة الذاريات .

51-ما معنى وكيف جعل الله من الماء كل شيء هي كما يقول القرآن في «سورة الأنبياء / 30» .

52-أسرار وطاقات (قدرات) العوالم اللامادية غير البشرية ، النارية كالجن والنورية كالملائكة والروح .. وكيف يروننا من حيث لا نراهم ؟

53-معنى (الرتق) و (الفتق) للسماوات والأرض في بداية خلق الكون وما يشير إليه المعنى ويتفق ويتوافق مع نظرية الانفجار العظيم (BICBANG) التي يكاد يجمع العلماء على صحتها .

54-الدورة الدموية في أجسام الأحياء كيف ؟ ولماذا ؟

55-مغناطيسية الأرض فيها والإنسان وكفاته في حياته ومماته واستقرارها في مجموعتها الشمسية .

56-حقيقة الروح وهي من أمر رب العالمين ونحن ما أوتينا من العلم إلا قليلا لا يمكننا معه أن ندرك حقيقة وكنه وماهية الروح .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:36] وهذه ليست دعوة لترك العلم وإنما هي لمقتضى ما يمكننا إن نعلمه وليس لما لا يمكننا أن نعلمه كما ومثلا في (الروح) : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:85] .

النفس الواحدة في القرآن العظيم

يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء:1] ، وكذلك في سورة الأنعام الآية 98 وغيرهما من الآيات القرآنية ، إن القرآن الكريم يخبرنا في آية سورة الأعراف عن خلقنا في رحم الأم عن طريق (النفس الواحدة) والمقصود منها والله أعلم نطفة الرجل التي هي خلية حية واحدة تعلق ببويضة الأنثى ليتكون منها زوجها فيصبحوا اثنين أي خليتين ومنها يبدأ انقسام الخلية وتكاثرها ليبث الله منها خلايا أخرى ذكرية أو أنثوية أي رجالاً كثيرًا ونساء . ومن هنا يأمرنا الله سبحانه وتعالى بتقواه في الأرحام وصلاتها عند الناس بقوله في القرآن الكريم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء:1] . وقد استعمل القرآن الكريم النفس الواحدة هنا بمعناها الخلوي الذي ذكرنا .

أن (النفس الواحدة) في الاستعمال القرآني ليست لها صلة بآدم وزوجه كما

يذهب إلى ذلك كثير من المفسرين ، وإنما صلتها في الاستعمال القرآني هي في التطور الإلهي الموجه لمراحل خلق الجنين وتعلق النطفة الذكر ببويضة الأنثى فالنفس الواحدة في فهمنا هي النطفة الذكرية وهي خلية حية واحدة تنقسم بمعنى الزوجية عبر مراحل تخليقها ، وتدل على ذلك الآيات التي أشرنا إليها في مواضعها وفيما يلي :

استعمالات النفس الواحدة في القرآن

استعمل القرآن بكثير النفس الواحدة في الآية / 1 من سورة النساء والآية 98 من سورة الأنعام والآية 189 من سورة الأعراف والآية 28 من سورة لقمان والآية 6 من سورة الزمر ن على النحو التالي :

1 - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: 1] .

2 - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴾ [الأنعام: 98] .

3 - ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: 189] .

4 - ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: 28] .

5 - ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [الزمر: 6] .

وكما ذكرنا فإن المقصود بالنفس الواحدة فيفهمنا هو النطفة الذكرية التي هي

خلية واحدة حية تعلق ببويضة الأنثى لتنقسما بعد ذلـك إلى زوجـين مـن الـذكورة والأنوثة :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ حتى يستكمل الله سبحانه وتعالى تكوين هذه النطفة أو الخلية لتصير جنينًا في رحم الأم يظل ينمو ويتطور خلقًا بعد خلـق كمـا جاء في الآية 6 من سورة الزمر » .حتى اكتمال حمل المرأة لتلد بعده أنسانًا ذكـرًا أو أنثى ، وهي معجزة خلق الجنين في رحم الأم عبر مراحل تكوينه حتى ينفخ الله فيه من روحه وتدب فيه الحياة ويصير (خلقا آخر) كامل البنيـة والتكـوين والتركيـب ليولد في هذه الدنيا إنسـانًا جديـد مكتمـل الـوعي والإدراك والعقـل والحـواس . يحمل تبعات الخلافة في الأرض ويتحقق معه التكاثر الناتج عن التزاوج الجنسـي الذي كانت تمثله في الجنة شجرة الخلد ويمثله الملك الذي لا يـبلى في الأرض إلى حين قيام الساعة وحساب الناس يوم القيامة .وقد تنزلت بـذلك التطـور الجنينـي آيات القرآن الكريم على محمد رسول الله ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام مـن سنين الأرض ، تذكر النفس الواحدة أو الخلية الواحدة أو النطفة الذكرية الواحدة التي تعلق ببويضة الأنثى ، آيات قرآنية تنطق بالحق في هذا الحدث الواقع في خلـق الإنسان في رحم الأنثى والذي عرفه الأطباء والعلماء بعد ذلك بهـذه الدقـة وهـذه التفصيلات بمختلف وسائل المعرفة والمشاهدة ومن هـذا المثـال وغيـره كثيـر ، قال الطبيب الفرنسي موريس بوكاي(1) بعد الدراسة والبحث :

(إن من جوانب إعجاز القرآن البالغ أنه هو الكتاب السماوي الوحيد الـذي لا يوجد به خطأ علمي واحد) وعلل ذلك بان القرآن الكريم لم يتـورط في التفاصـيل بل عرض الحقائق بأسلوب عام يسع كل الأفهام ويفتح البـاب للاجتهـاد وليظـل

(1) في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث) المترجم مـن الفرنسـية إلى العربيـة ولغـات أخرى .

بذلك متفقًا مع الحقائق العلمية الثابتة ..

أما عن النفس الواحدة فقد كان الإمام محمد عبده عليه رحمة الله يقول (وكما جاء في تفسير المنار لرشيد رضا) :« إذا كان المفسرون فسروا «النفس الواحدة» بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسالة المُسلَّمة عندهم وهي أن آدم أبو البشر بالرغم من أنه ليس في القرآن الكريم نص أصولي قاطع على أن جميع البشر من ذرية آدم» وفي تفسير الإمام للآية (21) من سورة الروم :﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ والآية (11) من سورة الشورى : ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ يقول الإمام أن المقصود في الآيتين هو أن أزواجنا من جنسنا الجنس البشري ومن ثم لا داعي من تروية فكرة أن حواء خلقت من ضلع أدم الأيسر وهو نائم كما في جاء في الفصل الثاني من سفر التكوين أو جاء فيبعض الأحاديث المنسوبة إلى السيد الرسول والتي تحتاج صحتها إلى مراجعة ولولا ذلك ما كان ليخطر على بال قارئ القرآن ذلك المفهوم والتفسير النوراني .

القرآن العظيم ومفاهيم في الزمان في آيات الكهف

أهل الكهف ومفارقة التوأم (TWIN PARAOOX) (□)

فكرة العزلة في الكهف :

الأمر بالنسبة إلى أهل الكهف أمر عزلة تامة في المكان وفي الإدراك ينتج عنهما اختلاف في حساب الزمان لاختلاف النظام القياسي للزمان بين أهل الكهف والمراقبين في الخارج ، فالعزلة تعني وجود نظامين مختلفين تمامًا في أبعادهما المكانية والزمانية والقياسات المتصلة بهما وكذلك في الحالة . كما ينتج عن هذه العزلة اختلاف في حساب عدد السنين بالأرقام الحسابية بالنسبة للمراقب من الأرض خارج الكهف يعد أو يحصي عدد مرات طلوع الشمس وغروبها ، سواء

(1) كما شرحها وقال بها ألبرت أينشتاين .

بالنقص أو الزيادة .

كما ينتج عنها اختلاف بزيادة الرقم تسعة على الرقم ثلاثمائة إذا ما قارنا المدة التي لبثها الفتية في الكهف بين القياس الشمسي وبين القياس القمري . وإذا كانت نظرية النسبية التي وضعها ألبرت اينشتاين قد تناولت المفاهيم الزمنية بالنسبة للعالم الفيزيقي ، فإن آيات أهل الكهف قد تناولت المفاهيم الزمنية من الزاوية نفسها ، كما تناولت آيات أهل الكهف قد تناولت المفاهيم الزمنية من الزاوية نفسها ، كنا تناولت آيات أخرى من كتاب الله تعالى المفاهيم الزمنية التي لا تتصل بالعالم الفيزيقي .وإنما تتعداه على عالم الروح وتأثيراته في المادة وحركتها وبالتالي زمانها تتحرك فيه بحسب تكوينها كما في الآيات القرآنية التي تناولت عروج الملائكة والروح : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ونقل الذي عنده علم من الكتاب لعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في الزمن الذي حدده القرآن : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[النمل:40]أو ﴿ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ بالنسبة لقدرات الجن .ونورد أولا التقريرات القرآنية التي تشير إلى فكرة الزمان كما تصورها آيات سورة الكهف التالية : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف:11،12] . ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف:19] . ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الكهف : 25- 26] .

وتتضح فكرة تباطؤ الزمان نتيجة السرعة من خلال هذه الآيات :فحالة أهل الكهف كانت أشبه بحالة الوفاة ،وهي الحالة التي يستوي فيها النوم مع الموت ،

ولهذا استعمل القرآن فيها تعبير (بعثناهم) ، وهوالوصف نفسه الذي استعمله رسول الله ﷺ فيما روى عنه من قول (والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون) .

وإن كان للزمان والهيئة والحركة من آيات الله كما يقرر القرآن في قصة أهل الكهف إلا أن الإسراء والمعراج ذاته من الآيات الأكثر عجبًا والأكبر دلالة على عظمة الله سبحانه وتعالى .والفكرة في الزمان هنا واختلاف قياساته حسب مركز المراقب ونظامه القياسي توضحها الآية التالية : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ [الكهف:12] . هل هم المراقبون الأيقاظ أم هل هم أصحاب التجربة أنفسهم في عزلتهم ؟فكل من الفريقين ذكر زمانًا مختلفًا في عدّه بالنسبة لمدة البقاء في الكهف لأن كلا من الفريقين كان له نظامه الزماني المختلف في قياساته .

فالذي توحيه الآيات هو أنه كانت هناك عزلة تامة تعني اختلافًا في حساب الزمان بالنسبة للمراقب من خارج الكهف ، عنه بالنسبة للمنعزل داخل الكهف بعيدًا عن مكان المراقب الخارجي وحساباتته وقياساته للزمان من مركز مراقبته ، فبالنسبة للمراقب من الخارج – والذي كان لا يعرف مطلقًا ماذا كان يحدث في الداخل – أي داخل الكهف – كان الزمان ثلاثمائة عام شمسية أو ثلاثمائة وتسع أعوام قمرية . وبالنسبة للمنعزل في مكان عزلته – وهو هنا الكهف- كان الزمان يومًا أو بعض يوم . ولما خرج المنعزل من مكان عزلته ليعود إلى المكان الذي تركه قبل عزلته – وهو مكان المراقب من الخارج – وكان الواقع الفعلي لهذا المكان قد تغيَّر تمامًا بالنسبة إليه ، فالأماكن والأشخاص والأحداث قد تغيروا جميعهم تمامًا ، وتعاقبت أجيال وراء أجيال من الناس في المكان بينما المنعزلون في كهفهم ظلوا على حالتهم التي بدأت فيه العزلة لم يتغيروا في الهيئة أو الشكل أو الصورة لأن الزمان الذي مرّ بالنسبة إليهم لم يكن إلا يومًا أو بعض يوم .وهذا هو

بالضبط ما وصلت إليه النسبية الخاصة فيما أسماه علما الفيزياء «مفارقة التوأمان» (Twin Paradox) حيث ذكرت النظرية هذا الفارق في القياس الزمني وبالتالي في اختلاف عدد سنوات الحياة بين توأمين ركب أحدهما مركبة انطلق بها في الفضاء بسرعة الضوء بينما ظل الآخر على الأرض .ولما عاد التوأم راكب الفضاء إلى الأرض وجدا آخاه ميتًا ووجد أن واقع الحياة قد تغيَّر تمامًا نتيجة السنوات الطويلة العدد التي عاشها الناس – ومنهم أخيه – في الأرض عما عاشه راكب مركبة الفضاء المنطلقة بسرعة الضوء . الأخير – أي المنعزل في مركبة الفضاء بسرعة الضوء – تبطأ الزمن بالنسيبة إليه ولم يتغير في الهيئة أو الشكل أو الصورة ، بينما الأول – أي توأمه الذي ظل على الأرض – عمّر طويلاً ومات وأعقبته أجيال أخرى .

راكب الفضاء المنعزل في مركبة الفضاء المنطلقة بسرعة الضوء لم يمض عليه إلا يوما و أيام بينما أخاه في الأرض مضت عليه سنوات كثيرة (1) .

ولهذا السبب ذكر القرآن النص التالي : [الكهف :18] . فهم بقدرة الله لم يحتاجوا إلى الطعام أو شراب طوال مدة رقودهم ،والمخيف حقًا أن يظل الإنسان مدة ثلاثمائة عام من دون تغير هيئته وخصوصًا بالنسبة للكلاب المعروفة بعمرها القصير بالنسبة للإنسان ، وهذا هو جوهر المعجزة أو الآية .

فهم لم ينكسوا في الخلق بسبب التعمير : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ﴾ [يس :68] .ولم تتضائل قدراتهم العقلية بسبب طول العمر : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾[النحل:70] .

ولذلك كان عاديًا بالنسبة إليهم أن يبعثوا أحدهم إلى المدينة يأتي بالطعام

(1) قابل بعض العلماء هذه الحقيقة عندما أعلن عنها ألبرت أينشتاين بالرفض ، ولكن التجارب العلمية التي تمت بعد وفاة أينشتاين أثبتت صحة ما قرره في نظريته خاصة بالتوأمين .

مستعملاً العملة نفسها التي كانت معهم ، و مستخفيًا من الناس حتى لا يظهر عليه أحد ويمكن أن نقول : إن الذي ينطبق على بطء الزمان من عامل السرعة الضوئية ينطبق أيضًا على نظام فيزيقي مغلق من أي نوع آخر ، بمعنى أن أي عضو حي يوضع في الحالة نفسها التي توضع فيها ساعة في سفينة منطلقة في الفضاء بسرعة الضوء فإن هذا العضو الحي سوف يقطع رحلته ذهابًا وإيابًا ويعود وطبيعته لم تتغير عما كانت عليه في بادئ الرحلة ، بينما يكون عضو حي مماثل ممن ظل على الأرض ولم يشترك في الرحلة ، يكون قد مضى وأعقبته أجيال أخرى .وتكون المدة التي قضاها هذا العضو الحي في الرحلة كلها مجرد (لحظة) أو بتعبير آخر يومًا أو بعض يوم.

ويكون الذين لم يشتركوا في الرحلة قد تعاقبت عليهم سنوات وسنوات .وهذا هو الذي نفهمه من فكرة الزمان في آيات سورة أهل الكهف ، وفيه فهم خاص للنصوص فيما تشير إليه من فكرة الزمان وتأثيرها في الكائنات الحية وهي أحد أوجه للمفاهيم الأخرى للآيات .

ويمكن تشبيه حالة الفتية في الكهف في نومهم بالتنويم المغناطيسي أي أن نومهم يشابه المنوم مغناطيسيًا حيث فقدوا الإحساس تمامًا كما فقدوا بالذات حاسة السمع (فضربنا على آذانهم) ونحن نعرف أن المنوم مغناطيسيًا لا يتأثر مطلقًا بأي صوت مهما علا ، كما أنه لا يستجيب إلا إلى تعليمات منومه الذي هو الوحيد الذي يمكنه أن يؤثر في النائم مغناطيسيًا ويتحكم في أفكاره وبالتالي حركاته وتصرفاته .

الدروس المستفادة من أهل الكهف في القرآن .

الذي تمثله معجزة أهل الكهف هو بالضبط ما تمثله مفارقة التوأمين التي تحدث عنها ألبرت أينشتاين في نظرية النسبية وهي النظرية التي تتناول السرعات

العاليـة جـدًا التـي تقتـرب أو تماثـل سـرعة الضـوء المعروفـة لنـا والتـي تبلـغ 300.000 كيلو متر في الثانية .

ونبسط المقارنـة بـين معجـزة أهـل الكهـف ومفارقـة التـوأمين عـلى النحـو التالي(1):

الكهف = المركبة الفضائية المنطلقة بسرعة الضوء إلى كوكب آخر .

أهل الكهف = راكبو المركبة الفضائية .

خارج الكهـف= المراقبـون مـن خـارج المركبـة والمقيمـون عـلى الأرض لم يفارقوها أو أحد التوأمين اللذين تحدث عنهما أينشتاين .

الزمن= حسابه بالنسبة لأهل الكهف غير حسابه لمـن هـم خـارج الكهـف في الأرض أو حسابه بالنسبة لراكبي المركبة غيره لمن هم خارجها في الأرض والتوأم المقيم في الأرض .

تباطؤ الزمن = نتيجة فقدان أهل الكهف للإحسـاس بـالزمن ومـن ثـم تباطـأ بالنسبة إليهم بالقدر الذي يمثله ، ويومًا أو بعض يوم بالنسبة لحقيقة ثلاثمائة سـنة شمسية مكثوها فعلا في الأرض بينما يتباطأ الزمن بالنسبة لراكبـي المركبـة نتيجـة سرعتها الهائلة .

أهل الأرض المراقبون خارج الكهـف = الـزمن بالنسـبة إلـيهم سـيرًا عاديًـا وحسابهم لـذلك أرضـي شمسـي .وفقًـا لحركـة الأرض والشـمس ومـر علـيهم ثلاثمائة سنة شمسية أو ثلاثمائة وتسعة قمرية بالضبط كالتوأم المقيم في الأرض .

---

(1) نحب أن نشير إلى أن قوانين الفيزياء واحدة بالنسـبة للمراقـب الثابـت والمتحـرك وذلـك في مبـدأ النسبية الذي تحدث عنه ألبرت اينشتاين ومن قبله هنري بوانكاريه .وهذه المقارنـة تـدلنا عـلى أن النتائج واحدة في معجزة أهل الكهف وفي مفارقة التوأمين .

النتيجة أو المعجزة = إبقاء أهل الكهف لثلاثمائة سنة شمسية دون غذاء ثم بعثهم دون أن تتغير هيئتهم حتى يتم فهم أساس قياسي مدة اليوم أو بعض يوم التي لبثوها في الكهف وهو ما يعني تباطؤ الزمان بالنسبة إليهم بالضبط كما يتباطأ بالنسبة لراكبي المركبة الفضائية المنطلقة بسرعة الضوء إلى كوكب آخر .

تأثير الزمان في فترة الحياة أو البقاء= المنطلق في مركبة بسرعة الضوء يتباطأ الزمان بالنسبة إليه وبالتالي تمتد فترة حياته أو مدة بقائه لمدة أطول من المدة التي يحياها أو يعيشها من في الأرض وذلك كنتيجة لفرق السرعة بين الوضعين ، وضع من هو بالمركبة المنطلقة بسرعة الضوء ووضع من هو بالأرض بسرعتها المعروفة .

في نظرية النسبية = عودة المنطلق في مركبة بسرعة الضوء بعد فترة زمنية محددة بقياسه هو ليجد أن من تركهم في الأرض قبل انطلاقه قد ماتوا وأعقبتهم أجيال أخرى بعدهم بمعنى أن من في الأرض مضى عليهم زمان أطول ومن ثم بلغوا الكبر وعمروا فترات أطول من فترة تعمير المنطلق في المركبة بسرعة الضوء.

النتيجة = أن أهل الكهف بعد خروجهم من الكهف كانوا ما زالوا على هيئتهم التي دخلوا بها الكهف ومعهم العملة نفسها التي كانت مستعملة في زمانهم وظنوا أنهم ما زالوا في نفس المجتمع المطارد لهم قبل دخولهم الكهف حيث أنهم حددوا فترة بقائهم في الكهف بيوم أو بعض يوم بالنسبة لهم وهو ما يصوره لنا القرآن في آياته نقلاً عنهم : ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الكهف:19-20] . وهو تمامًا ما يحصل للتوأم الذي يعود إلى الأرض بعد رحلته الفضائية بسرعة الضوء فيجد أن أخاه قد مات وأنه أعقبته في الأرض أجيال

أخرى .

وأحد المفاهيم في الآيات من بعثهم في الحياة مرة أخرى هو لبيان هذه المعجزة الزمنية المتصلة بفارق السرعات العالية عن السرعات العادية ، السرعات العالية بمقياس أهل الكهف والسرعات العادية بمقياس أهل الأرض خارج الكهف : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ [الكهف:12] ، وفي آية أخرى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ [الكهف :19] .

أما وجود الكلب مع أهل الكهف فأعتقد – والله أعلم- أنه للدلالة على أن الذي يحدث بالنسبة للإنسان يمكن أن يحدث أيضًا للحيوان وخاصة الكلاب .

القرآن العظيم وعلم المستقبل (FUTUROCOGY)

موسى النبي والعبد العالم

قصة موسى والعبد العالم التي قصها القرآن العظيم في سورة الكهف تعتبر نموذجًا واقعيًا تطبيقيًا للبحوث النظرية لعلم المستقبل فيما تناولته من أحداث ومعارف متباينة عند كل من موسى والعبد ، وفي الآيات إشارة إلى التوقعات والتنبؤات للظواهر التي حدثت والتصرف بشأنها تصرفا هو في الحقيقة رحمة بالأشخاص الذين تتصل بهم هذه الظواهر حيث إن العبد المتصرف كان يجمع بين (الرحمة) و(العلم) : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف:65] . ورغم أن موسى النبي عليه السلام كان رسولا من عند الله بل كان من أولى العزم من الرسل إلا أنه في حدود علمه الحاضر (علم الشهادة) لم يستطع أن يتفهم وبالتالي أن يصبر على تصرفات العبد العالم التي فعلها في حدود علمه والمستقبل الغائب عن موسى .وهذا يعني أن الحكمة التي تأتي بالخير

المؤجل غير الظاهر لا تكون دائمًا مفهومة للناس من خلال محدودية علومهم ومعارفهم بالأوضاع العادية القائمة في حاضرهم وبما يمكن أن يأتي بالخير والمصلحة في المستقبل وهو ما يعني أيضًا أن المؤسسات العلمية عليها أن تقوم بمهمة التوقيع أو التنبؤ المستقبلي من خلال دراسة الظواهر التي تطرح للبحث وأن تقترح وتضع الحلول التي تستهدف الصالح العام في المستقبل وتحقيق النفع الأكبر في المدى الزمني الأبعد حتى ولو كان يبدو الأمر في ظاهره أنه يسبب ضررًا عاجلاً في الحاضر الواقع .

وتفيدنا قصة سيدنا موسى والعبد أيضًا أن العلماء تخصصوا بدراسة الظواهر التي تدخل في مجال علم المستقبل هم أقدر الناس في المجتمع على التخطيط والتوقع بما يخدم الصالح العام في النهاية ولذلك فكل إجراء تطبيقي نابع من الدراسات التوقعية المستقبلية هو مسئولية المؤسسات المختصة بكل ظاهرة مدروسة حسب نوعها .

والقرآن تحدث عن ظاهرة التوقع أو التنبؤ في إطار علم المستقبل (مستقبل الأحداث) بما يعني أهمية هذا العلم ونبين ذلك فيما يلي :

1- في بداية سورة الروم تنبأ القرآن أن الروم بعد أن غلبت من الفرس سوف يغلبون وينتصرون عليهم وحدد المدة الزمنية التي يتم فيها ذلك وهي بضع سنين .

2- في بداية سورة العنكبوت يتنبأ القرآن بظواهر اجتماعية حيث يؤكد أن المؤمنين سيفتون بمختلف أنواع الفتن في المستقبل .

3- سورة آل عمران الآية 49 حيث كان لدى عيسى عليه السلام القدرة على الإنباء بما يأكل الناس وما يدخرون في بيوتهم.

4- سورة يوسف فيما يتعلق بتفسير يوسف لرؤيا الفتيين في السجن ورؤيا ملك مصر الخاصة بالسبع بقرات ، وقيام يوسف بتأويل هذه الرؤيا والإنباء

بمغزاها المستقبلي من خلال تفسيرها بما سيقع من أحداث في المستقبل .

إن العلم الذي تتحدث عنه آيات القرآن في سورة الكهف عند العبد الذي لقيه موسى عليه السلام هو علم ذو طبيعة خاصة فهو علم من لدن الله سبحانه وتعالى ، يتعدى علوم الحاضر إلى المستقبل المنظور والغائب غير المعلوم وغير المنظور . والفهم عندي أن العبد الذي أتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه قد أوتي علم مستقبل الأحداث ، أو علم غيب الأحداث أي الأحداث المستقبلية وهو العلم الذي يسمى في عصرنا الحالي (FUTUEOLOGY) وليس المقصود من هذا العلم معرفة الغيب الذي قصره القرآن على الله سبحانه وتعالى وهو الغيب الذي يشمل المستقبل البعيد المدى جدًا أو غير المنظور ولا يمكن إجراء أي دراسات توقعية خاصة به حتى ولو كانت احتمالية النتائج. فأحداث وظواهر هذا النوع من الغيب هي من علم الله وحده وليس لإنسان مهما كان قدر علمه أن يحدد أحداث أو ظواهر هذا النوع من الغيب ومن أمثلته موعد قيام الساعة ولحظة ومكان الموت في المعتاد والعادي من الحياة ودون وجود ؟؟؟؟؟هذه اللحظة أو وقتها بالضبط من ظروف أو أحوال وموعد النفخ في الصور وموعد نزول النبي عيسى بن مريم .. إلخ .

فهذا الغيب سيظل مجهولا للإنسان وحيث لا يدعي علماء علم المستقبل إمكانية معرفتهم لهذا النوع من الغيب ولذلك أميل إلى استعمال تعبير «علم المستقبل » وليس تعبير «علم الغيب» بالشبه لأحداث وأمثلة موسى والعبد العالم .وإن كان الاثنان يتصلان بغيب الأحداث إلا أن ظاهرة علم المستقبل هي ظاهرة علمية تخضع للدراسة والتحليل والتوقعات ولابد فيها من معطيات خاصة بالظاهرة التي تخضع للدراسة وما يتصل بها من ملابسات وظواهر أخرى كما أنه لابد من وجود فترة زمنية محددة تتحقق فيها المنظورات المستقبلية للحدث أو

الأحداث أو الظواهر التي هي محل للدراسة أما علم الغيب فيتصل بما لا يعلمه إنسان وخاصة في الأزمنة البعيدة جدًا أو المخفي عنه في الكون المرصود ولا يراقبه ولا يعلمه .

والدراسات المستقبلية سواء كانت استكشافية أو معيارية أو مختلطة تضع دائما مدى زمنيًا محددًا لتوقعاتها أو تنبؤاتها كما أن المدى الزمني للمستقبل يختلف حسب اختلاف الظواهر محل الدراسة وتباينها بحيث أن ما يعتبر مستقبلاً منظورًا بالنسبة لحالة من الحالات لا يعتبر كذلك لحالة أخرى .

ويعد «تصنيف مينسوتا » الذي وضعته جمعية المستقبلات الدولية بالولايات المتحدة الأمريكية من أشهر التصنيفات التي تسترشد بها مختلف المدارس في الدراسات المستقبلية . ويحدد «مينسوتا » وهو صاحب فكرة هذا التقسيم ، يحدد المستقبل عن طريق تقسيمه إلى خمس فترات على النحو التالي :

1-المستقبل المباشر ويمتد إلي عام أو عامين في المستقبل .

2-المستقبل القريب ويمتد من عام واحد إلى خمس أعوام في المستقبل .

3- المستقبل المتوسط ويمتد من خمسة أعوام إلى عشرين عاما في المستقبل .

4- المستقبل البعيد ويمتد من عشرين عاما إلى خمسين عاما في المستقبل .

5- المستقبل غير المنظور ويمتد إلى ما بعد خمسين عاما أو أكثر .

وهذه الآماد الزمنية التي حددها« مينسوتا » هي محيط العلماء المتخصصين في مجال علم المستقبل الذين يصعب بل يستحيل عليهم إجراء توقعات أو تنبؤات تزيد بكثير عن هذه الفترات الزمنية التي حددها التصنيف السابق كما لو امتد الأمر الزمني إلى آلاف أو عشرات الآلاف من السنين ناهيك عما هو أبعد من ذلك كملايين أو بلايين السنين في المستقبل . فهذه تخرج عن إمكانيات علم

المستقبل وتدخل فيما يسميه القرآن «الغيب» الذي يقول فيه القرآن : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : 91-92] وهو الغيب الذي يطالب الله الناس الإيمان به ووصف المتقين من الناس – ضمن أوصاف أخرى – بأنهم الذين يؤمنون بالغيب كما في الآية الثالثة من سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:1– 4] .

ويدخل في هذا الغيب أيضًا العوالم غير المنظورة للإنسان كالملائكة والجن والروح وما تخفي علينا من حقائق القوى والطاقات وماهياتها .. إلخ ..

هذا ولم يتبلور علم المستقبل بصورة مؤثرة إلا في السبعينيات من القرن العشرين حيث عقد العديد من المؤتمرات الدولية الخاصة بالدراسات المستقبلية وتم إقامة العديد من المراكز والهيئات العلمية المتخصصة في الدراسات المستقبلية مثل الاتحاد الدولي للدراسات المستقبلية في روما ومعهد علوم المستقبل في نيويورك ، والجمعية العلمية لدراسة المستقبل في واشنطن، ومركز الدراسات المستقبلية في باريس ، ووزارة المستقبل في السويد التي أنشأت عام 1973 ، كما دخلت الدراسات المستقبلية في العديد من المدارس والجامعات الأمريكية وتظل أشهر المدارس الفكرية بالنسبة لهذا العلم هي المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية والمدرسة الروسية .

ويعتبر التوقع أو التنبؤ أحد مظاهر علم المستقبل الذي يشمل أيضًا التخطيط طويل المدى والإسقاط (PROJECTION) وهو يستخدم للإشارة إلى الدراسات التي تركز على المدى الزمني وأخيرًا الاستشراف أي استشراف المستقبل بمعنى الاجتهاد العلمي المدروس الذي يستهدف صياغة مجموعة من التنبؤات

المشروطة الخاصة بالمعالم الرئيسية للمجتمع عبر فترة زمنية لا تزيد عن عشرين عامًا ،وهو لذلك يعتمد على كم ونوع المعرفة العلمية المتوافرة عن الواقع .

وآيات القرآن العظيم وما ذكرته من حوار بين موسى النبي والعبد العالم تشير إلى الفارق الموجود بين (علم الشهادة) وبين (علم الغيب) والله وحده هو عالم الغيب والشهادة كما يقول القرآن العظيم في الآية التاسعة من سورة الرعد : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ وكذا في غيرها وكما بيَّنا سابقًا .فبالنسبة لخرق السفينة قال موسى :﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ . وقال العبد :﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ . وبالنسبة للغلام قال موسى :﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾. وقال العبد :﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾. وبالنسبة للجدار قال موسى :﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ . وقال العبد :﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ . وعن هذه المعلومات الغائبة عن موسى قال العبد في النهاية : ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ .

ذلك أنه عندما سأل موسى النبي العبد العالم في بداية لقائهما :﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف:66] . قال العبد العالم :﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ [الكهف:67- 68] .وفي النهاية أقول إن آيات القرآن العظيم ذكرت تفاوت إرادة العبد العالم في تصرفاته تجاه الظواهر الثلاثة (السفينة ، والغلام ، والجدار) حسب درجات الغيب المستقبلي الغائب عن علم موسى وحسب ما يقتضيه من تصرفات وأفعال في ظل سعة رمة الله التي أتاها من عنده للعبد وما علمه الله للعبد من علم من لدنه

ومقتضيات الأمثال لإرادة الله وأمـره وقضـائه ولـذلك قـال العبـد العـالم الـرحيم بالنسبة لحدث السفينة (فأردت) وبالنسبة لحدث الغلام (فأردنا وخشينا) وبالنسبة لحدث الجدار (فأراد ربك) في اقتران إرادة العبد العالم الرحيم بـإرادة الله سـبحانه وتعالى مُقَدِّر الأقدار ومدبِّر الأمور والفعال لما يريد كيف يريد ومتى يريد .

الفتح العاشر:

مختصر من القرآن عن الإنسان

إنسان القرآن

هو الإنسان الذي يريد ربنا منا أن ينشأ وتنبني شخصيته على أساس تعاليمه والدينية الأخلاقية هو الإنسان الذي يتحلى بالإيمان وبالعلم النافع وبالعمل الصالح والحب لكل الناس وترتبط في عقله وقلبه وكل كيانه الشعور في محبة الله ومحبة الدين ومحبة الوطن ومحبة الناس جمعًا بين الدنيا والآخرة يعمل لهما معا في نفس الوقت ، الدنيا كأنه يعيش أبدًا والآخرة كأنه يموت غدًا .

من هو إنسان القرآن ؟

هو الإنسان البشر من ذرية آدم العاقل الخليفة في الأرض لغيره المكلف الذي حمل الأمانة بالعقل بكل خواصه وقدراته وطاقاته من مصدره الروحي الموهوب له من ربه وخالقه من خلال ما نفخ ربه فيه من روحه بعد أن سواه : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ ص:71 – 72] .

إنه الإنسان الخلوق الحر المكرم من ربه وخالقه المفضل على غيره ممن خلق الله ما يقول القرآن العظيم :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:70] .الإنسان الذي لديه القدرة أن يطيع وأن يعصي خالقه ، أن يستقيم على هديت خالقه أو ينحرف عنه . ترفعه طاعته إلى أعلى عليين – الأرواح الطاهرة ، وتنزله معصيته إلى أسفل سافلين – الشياطين الضالة .

الإنسان مسئول عن علمه في الحياة الدنيا مسؤولية فردية فهو لا يحمل وزر غيره ولا نتائج عمل غيره :﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:46] .وهو لذلك يحاسب حسابًا شخصيًا يوم القيامة فيما يقرأ من كتابه الذي يلقاه منشورا :﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:14] . والإنسان حر في أفعاله وتصرفاته إذا يقول القرآن :﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت : 40] . والإنسان ثنائي التكوين ، روح وجسد ، لكل منهما متطلباته ودواعيه ،وهو بالعقل يحافظ على التوازن بينهما بميزان العدل الذي لا يبخس للجسد ودواعيه حقه بطغيان على روحه المتطلعة إلى الملأ الأعلى ، كما لا يبخس للروح ودواعيها حقها بطغيان الجسد ودواعيه من الغريزة الجامحة غير المنضبطة بشرع الله .. بذلك تتوازن شخصية الإنسان وتكتمل صحته النفسية ليصبح إنسانًا سويًا وسطًا ومعتدلاً في أقواله وأعماله وسلوكياته ، تدعمه أخلاقيات الدين بالقيم الروحية والمعاملات الحسنة التي يمكنها أن تواجه الضغوط المادية التي يواجهها إنسان هذا العصر الذي طغت فيه المادة والنظرة الدنيوية البحتة التي لا تقيم للآخرة وزنًا ولا للحساب شأنًا .

إن الإنسان بأصله البشري هو ابن ذكر وأنثى ينتمي إلى قبائل وشعوب وأمم متباينة لا فضل فيها لأحد على غيره إلا بالعلم الصالح وتقوى الخالق ، ولا تمايز

بين إنسان وآخر فيها إلا بالأخلاق الكريمة التي هي محور الأديان السماوية كلها وأساس التقدم المدني الحضاري . يقول القرآن العظيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ .

إن أول ما نزل إلى الإنسان من آيات كلام الله القرآن هو : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ الذي خلق الطبيعة الكونية وخلق الإنسان وعلمه القراءة (القرآن) والبيان (اللغة) ، وإن خطاب النبوة والرسالة الخاتم الموجهة إلى عقل الإنسان قد اختتم سلطان الأحبار والكهنة والقادة وتقديسهم ، كما اختتم سلطان المعجزات المادية وخوارق العادات ، ليظل الخطاب الديني موجهًا إلى «العقل» المحلة بالإيمان المتناغم مع الطبيعة (المادة – الطاقة)والعامل في الإنسان نفسه الذي يحمل في تركيبه وحدة المادة والفكر ليدرك الإنسان ما حوله من خلال الشعور الذاتي بوجوده – الحر المستقل والإيمان بالله الواحد الذي لا يشاركه أحد في ملكه .

إن القرآن يستند في تعامله مع الإنسان إلى مبدأي الخبرة والعلم الإلهي بالإنسان وبطبائعه ونوازعه وخواطره ، والهامات وقدرات النابعة من عقله وروجه التي نفخ ربه منها فيه فأعطته القوة والنشاط والحركة وكل قدراته الجسمانية . إلى جانب دواعي فسيولوجية وغرائزه ... إلخ ، ومن هنا تأتي المعالجة القرآنية لشؤون الإنسان على اكلم ما تكون المعرفة بالإنسان ذاته: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك :14] . ولتوجيه سائر العلوم والمعارف المتصلة بالإنسان للتعامل معه من هذا المنطلق المعرفي الثنائي خاصة في موضوعات النفس بما يضمن صحتها وسلامتها وتوازنها لأن الإنسان في المنظور الإسلامي كيان متكامل ويجب ألا ننظر إليه من ناحية سلوكه الظاهر ونلغي ما في باطنه من مشاعر وخواطر وخلجات تستند إلى النيات أي الدوافع والاتجاهات ، بل نجمعهما معًا ، لتظل العلاقة بين النفس والقلب والعقل والروح في اتصال

بجسد الإنسان ووظائف أعضائه، علاقة وثيقة ومتشابكة ومتداخلة، كل فيما هو ميسر له ومهدي إليه في تكوينه الطبيعي من خالقه، وقد وضع القرآن مبدأ اجتماعيًا وتربويًا مفادة أن الإنسان هو أساس «التغيير» في المجتمع وفي الدولة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11] كذلك إلى الأفضل أو إلى الأسوأ أي نحو التقدم أو نحو التأخر، بإمكانيات تنبع من تربيته الشخصية المتوازنة السوية ومن تحققه بمكارم الأخلاق التي توجهه في سلوكه وفي علاقاته وتعاملاته مع الآخرين ومن تحققه بالعلم النافع والعمل الصالح والتعليم المفيد والثقافة ؟؟؟؟؟؟؟؟الإيمانية.

***

القرآن والتطوير الإلهي الموجه للجنين

تتحدث آيات من القرآن العظيم عن التطور الإلهي الموجهة في خلق الإنسان في بطن ورحم الأنثى (الأم) ففي الآية السادسة من سورة الزمر يقول القرآن العظيم: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ والظلمات الثلاث في الآية هي ظلمة البطن والرحم والمشيمة التي بداخله وفيها يتم تكوين الجنين وتصويره ونفخ الروح فيه وتدبير أمره حتى يولد لا يعلم من العلم شيئًا كما يقول القرآن العظيم: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:78]. والأفئدة هي العقول. ونسوق بعض الآيات في القرآن العظيم الدالة على الطتور أو التور الإلهي الموجه منه سبحانه في تخليق الجنين في بطن ورحم الأنثى وفي حياة الإنسان بعد الميلاد وحتى الموت ثم البعث:

1- ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً

فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: 11 – 16].

2- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾[الحج :5].

3- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[غافر:67].

النطفة

ويتحدث القرآن العظيم عن (النطفة) من المني الذي يمنيه الرجل (الذكر) باعتبارها المكون الذي خلق الله الخالق منه الإنسان عبر مراحل تطويره في رحم وبطن الأنثى، والمني هو السائل الحامل للنطفة (خلايا التناسل) فإن سر الحياة موجود في النطفة المتناهية الضآلة ويبدأ تكوين الإنسان من اندماج نطفتي الذكر والأنثى (الزوج والزوجة) اندماجًا ناجحًا ينتج عنه الإخصاب الذي يتمثل في النطفة الأمشاج المختلطة (ZYGOTE) والتي اختلطت فيها الشفرة الوراثية في نطفة الذكر (الزوج) مع الشفرة الوراثية لنطفة الأنثى (الزوجة) فيأتي الجنين على قدر من التشابه والاختلاف مع الأبوين. أي أن النطفة هي خلية التكاثر (QAMETE) سواء كانت مؤنثة أو مذكرة واستعملها القرآن العظيم في العديد من السور مثل النحل والكهف والحج والمؤمنون وغيرها. وأحب أن أؤكد هنا أن تعقيد بناء الخلية الحية بنفي امكانية إيجادها (خلقها) بغير تبرير حكم مسبق كما

أن تعقيد بناء ؟؟؟؟؟؟؟ المختلفة في الخلية الحية وبناء الشفرة الوراثية ينفي ذلك نفيًا تامًا مطلقًا .

فكل نشاط طبيعي أو كيمائي أو حيوي وكل ما ينتج عن تلك الأنشطة يؤكد حقيقة الخلق وعلى رعاية الخالق سبحانه وتعالى . فالشفرة الوراثية سجل محكم من المعلومات والأوامر المنظمة تنظيمًا مذهلا تنفذ ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ على أدق التفاصيل مما يعطي الخلية الحية في أبسط صورها مستوى من عظمة التصميم وتعقيد البناء ومستوى من التنفيذ لا يمكن أن تصل إليه أكبر المصانع التي أنشأها الإنسان كما أنه يستحيل على اكبر التقنيات تقدمًا في عصرنا إنتاج واحدة من أبسط الخلايا الحية على الرغم من معرفتنا بتركيبها الكيمائي الرقيق معرفة كاملة ، وهو ما فشل فيه في الماضي العالم الروسي المعروف أوبارين (OBARINE) .

إن النطفة عبارة عن خلية تناسلية حية واحدة وهي المقصودة بالنفس الواحدة التي ذكرتها بعض آيات القرآن العظيم وهي تنقسم وتتكاثر في بطن الأنثى ورحمها كما يقول القرآن العظيم في سورة النساء : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ فالنفس الواحدة في هذا الاستعمال في الآيات هي الخلية الحية الواحدة (التناسلية) التي تعتبر وحدة الحياة وسر تكاثرها : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام:98] .أي موضع استقرار في الأرحام وموضع استيداع في الأصلاب .

أما الآية (189) من سورة الأعراف التي تقرأ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ فتشير إلى السبب والكيفية التي أوجدت النطفة من مني الذكر وهي المعاشرة أوالتزاوج بين الذكر والأنثى (فلما تغشاها) وتشير إلى استمرار الوضع (فمرت به) ثم الحمل وحجمه الكبير الثقيل في

بطن الأنثى (فلما أثقلت) ثم الولادة والنسل الصالح وهو الذرية التي تخرج إلى الوجود كما ذكرت الآية (190) : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ ومن المفسرين من يذهب إلى أن الآيتان تشيران إلى آدم وزوجه حواء وذريتهما الناتجة عن المعاشرة والتزاوج بينهما أما (ليسكن إليها) فتشير إلى التسكين والتثبيت في التكوين الذي تساهم فيه النطفة وبويضة الأنثى معا . والله أعلم .

الماء

يحدثنا القرآن العظيم عن (الماء) باعتباره أصل كل شيء حي فيقول في الآية الثلاثين من سورة الأنبياء : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ وفي الآية الخامسة والأربعين من سورة النور يقول : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ ونحن نعلم الآن أن الحياة بدأت في الخلية في مياه الأرض عبر فترات زمنية ممتدة أشار إليها القرآن العظيم ولكن دون أن يحدد مقدراها الزمني .

إن الجنين في بطن الأنثى ورحمها خلقه الله من نطفة يقول عنها القرآن العظيم : ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات 20– 23] .

كما أننا نعلم الآن أيضًا أن الماء يشكل العنصر الأساسي في بناء أجسام جميع الكائنات الحية وأن جميع الأنشطة الحياتية والتفاعلات الكيميائية اللازمة لإمداد الخلايا بالغذاء لا تتم إلا بوجود الماء ، وبالنسبة للإنسان فإن الماء يكون حوالي70٪ من الدم تقريبًا وحوالي 60٪ تقريبًا من الوزن الكلي للإنسان .

إن الإنسان يتميز بالمخ وبالعقل اللذان ذكرهما القرآن العظيم في الآية (35) من سورة النور في المشكاة (وهي الدماغ) والمصباح (وهو العقل) والزجاجة (وهي المخ) والشجرة المباركة الزيتونة اللاشرقية واللاغربية (وهي الكهرومغناطيسية) بقطبيها الشمالي والجنوبي والمصدر النوري لها باعتبار ذلك

مثل لنور الله الذي هو حقيقة نور السماوات والأرض (أي الكـون) المكهربـي في بنيته الذرية وطاقاته النجمية من جلال النور والنار وهما سر القدرة والطاقة عند الله سـبحانه وتعـالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:67] . وفي كـل يوم غير يوم القيامة : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:74] . كما يتميز الإنسان بالقلب وفرّق القرآن العظيم بين القلب كغدة صماء (HEART) توزع الدم على سائر أعضاء الجسد بما فيها المخ وقال عنها سيدنا رسـول الله ﷺ أنها مضغة في الجسد إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسـد كلـه (أمراض القلب) كما فرّق القرآن بين القلب باعتبـاره الطاقـة المسـاعدة للمـخ في الوظائف في المركز (CORE) الداخلي في الإنسان في تواصل مع (النور) في أسـرار الكهرومغناطيسية في مثل نور الله نور السماوات والأرض (الكون) المضـروب في القرآن العظيم في الآية الخامسـة والثلاثـين في سـورة النـور والـذي تحـدث عنـه الدكتور أندروأمور في أبحاثه عنـه القلـب وهـو مـن المؤسسـيين لعلـم أعصـاب القلب (MEURO CARDIOCOGY) وأثبت أن هناك تواصلا بين القلب والمـخ وأن للقلب دور فعال في المشاعر والأحاسيس عن ريق آليات عصبية وميكانيكيـة وكهرومغناطيسية وكيميائية (1).

وفي كتاب (القلب الذكي) ، يوضح مؤلفاه دور القلب في توجيه حياتنا الفكرية والشعورية ، بأسلوب رشيق لا يحيد عن الدقة العلمية فيقولان :

«مع كل نبضة لا يدفع القلب دفقة من الدم فقط ، بل يبعث برسائل (عصـبية – هرمونية– ميكانيكية – كهرومغناطيسية) إلى المخ ، محملة بالكثير من المعلومات

(1) يراجع تفاصيل ذلك كتاب الأستاذ الدكتور عمرو شريف (ثم صار المخ عقـلا) الناشـر مكتبـة الشروق الدولية .

فإذا كانت نبضات القلب في توافق عال (من ناحية المعدل والتناغم) فسوف تصل هذه المعلومة إلى المخ فتتحسن وظائف القشرة المخية (الحسية والإدراكية والمعرفية والذهنية والنفسية) ويؤدي ذلك إلى صفاء عقلي ونفسي ، مع قدرة أعلى على وزن الأمور واتخاذ القرار ، فتنفجر القدرات الإبداعية للإنسان ويؤدي ذلك كله إلى قدر عال من التوافق العقلي والتوافق النفسي) . انتهى وصدق الله العظيم وصدق ما يقوله في القرآن العظيم عن القلب العاقل والقلب الفاقه : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:179] . ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:46] . تحدث عن أوصاف أخرى كثيرة للقلب منها الاطمئنان والتقوى والعمى والاشمئزاز والسكينة والرأفة والرحمة والختم والمرض ومختلف الآفات كالنفاق والغيظ والكبر والحسد .. إلخ .

الطين

يقول القرآن العظيم إن الله خلق البشر (أيا كان أسلوبه في الخلق) من سلالة من طين (الماء+ التراب) أي من عناصر الأرض فيقول : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ السجدة:7] .فمن الأرض خلق الله الإنسان .وفي الأرض يقبره بعد الموت ومن الأرض يخرج كل الناس عند البعث في الوقت الذي لا يعلمه أحد سواه فيقول القرآن العظيم : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:55] . أو كما يقول :﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:17-18] وأنبتكم في معنى الآية مكتملة يعني أخرجكم ولا يعني أنبت لكم أو أخرج لكم . إن تركيب جسم الإنسان في مجموعه يشبه التركيب الكيميائي لتراب الأرض المختلط بالماء (الطين) مع زيادة واضحة في عناصر الأكسجين والهيدروجين والكربون والفوسفور في جسم الإنسان ويسود فيه عنصر الكربون (حوالي 30٪ تقريبًا) برغم افتقاره لعنصر السليكون الذي يوجد بنسبة عالية في

كـائن مـن الكائنـات الحيـة عـلى سـطح الأرض وحيـدة الخلية تعـرف باسـم الدبو تومات (CDIATOMES) .

النفخة من الروح

يقول القرآن العظيم :﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص:71-72] .

النفخ من الروح في الإنسان عطاء من رب العالمين خالق الإنسان تميز به هـذا المخلوق عن غيره من المخلوقات الجمادية والنباتية والحيوانية كلها منفـردًا بهـا ومستقلا تماما عنها من خلال أسرار قوى الـروح وطاقاتهـا وقـدراتها وخاوصـها وخصائصها خاصة في (العقل) وقدراته وقواه وسطوته مما نعرف ومما لا زلنـا لا نعرف عنه وعما يتصل به في تركيب الإنسان من قوى وطاقات ..إلخ يقول القـرآن العظـــيم :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:85] . وبالنفخ من الروح من رب العالمين الخـالق بعـد التسـوية صـار للإنسان قدرة وطاقـة ونشـاط وحركـة وحيـاة وإرادة حـرة وبيـان وعلـم وإدراك ومشاعر واحسيس بالجمال وبالجلال وبالكمـال وإدراك بالبصـر (الحـواس) أي الإدراك الحسي (S. P) (1) وبالبصيرة والإدراك فوق الحسي (E. S. P) (2) وحتى صار الإنسان متصفًا بكل الصفات التي يتصف بها والقدرات التي يتميز وينفرد بها كما خلقه ربه وسواه وعدله وكمـا أبـرز نموذجـه المتميـز آدم العاقـل أول البشـر العاقلين الذي نفخ الله فيه من روحه في خلق مكتمـل وغيـر منقـوص منـذ البدايـة وجعل سكنه وسكينته وسكونه فيما وصفه القرآن العظيم بالجنة .وقد كان العامل الأساسي في خروج وهبوط آدم العاقل وزوجه من مكان ومكانـة (حالـة) الأرض

(1) (SENSORY PERCEPTION)

(2) (CEXTRA SENSORY PERCEPTION)

هو الشيطان .

وقد تحدث القرآن العظيم عن الشيطان ودوره في غواية آدم وغواية بني آدم وذريته من بعهد حتى قيام الساعة ، وتحدث عن شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرور . إن من بني آدم من استحوذ عليهم الشيطان (فأنساهم ذكر الله)وأولئك حزب الشيطان وهم الخاسرون ويقول القرآن العظيم أيضًا ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف:27] .فقد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله وكل ذلك من خلال كون الشيطان عدو للإنسان وأغواه ليكفرو ويأمره بالفحشاء والمنكر ويصده عن سبيل الله وصراطه المستقيم ويضله ضلالا بعيدا ويعد الناس من أوليائه ويمنيهم ولكنه ما يعدهم إلا غرورا ويزين لهم أعمالهم ويوسوس لهم بالشر وبمخالفة أمر الله في رسالاته وأوامر ونصائح وتوجهات رسل الله ويحذر الله الناس كافة من أن يفتنهم الشيطان كما اخرج أبويهم من الجنة فيقول : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:27] .

ويوجهنا إلى اللجوء إلى الله وذكره الاستعاذة به إذا مسنا من الشيطان نزغ : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:200] . ويقول :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:201] . لقد كان الشيطان للإنسان خذولا وللإنسان عدوا مبينا ولذلك يقول لنا القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[فاطر:6] .

وقد أورد لنا القرآن العظيم حوارا تمثيليًا بين الشر وبين الخير من مصدريهما المتمثلين في حديث (الله) وحديث (إبليس) في وصف شاكل لكيفية وصول الشر

بمصدره إلى الإنسان ليحترس منه كل إنسان ولنتذكر ونتدبر ونحتاط من غواية الشيطان (إبليس وقبيله) لنا فيحياتنا وكل مجالاتها وفي كل استعمالاتنا غير الأخلاقية لعلمنا الحاضر والمستقبلي وخص بالذكر ما نعلمه ونسميه الآن (بالهندسة الوراثية) وتأثيراتها على الإنسان وعلى خلق الله وذلك حين يقول القرآن العظيم على لسان مصدر الشر وضروبه المضرة : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:119] . ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء:120] . ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء:121] وهو بذلك يحذرنا ويحذر العلماء منا من الخروج عن القيم الأخلاقية والمُثل الدينية في مكارمها من خلال التطبيقات العلمية والتكنولوجيات المتقدمة بإتباع التوجيهات الشيطانية (الإبليسية) المضرة غير النافعة في الخير أو المصلحة الإنسانية وإنما فيما هو شر أو مضر بالإنسان فيما يبغيه ويقصده الشيطان (إبليس) من قوله : (ولأمرنهم فليغيرن خلق الله) والذي يحذرنا منه القرآن العظيم في احتمال حدوثه : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ أي احتمال حدوثه في جانب الضرر والشر والفساد (الشيطان إبليس)لا في جانب مكارم الأخلاق والخير والصلاح والإصلاح (الله) من جانب الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين يقول عنهم القرآن العظيم في آخر الآيات التي ذكرناهال أعلاه من سورة النساء : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء:122] .

وانتقل إلى الحديث عن الوعي عند الإنسان . الوعي عند الإنسان عنصر معنوي وليس مادي ولا يستطيع أحدا عالما كان أو غير عالم أن يضع أصبعه على

مكانه في الإنسان أو أين يكون في جسده المسوي . أن الـوعي يتصـل بمصـدر لـه غيبي هو(الروح) الذي نفخ الله منه في الإنسان بعد تسويته الجسدية الهيكلية بكـل مكوناتها ، فالوعي يتصل بالعقل وبالقلب وبالمخ وبالفؤاد وباللـب وبـالنُهى عنـد الإنسان ولا تزال الصلة أو العلاقة بين الروح وطاقاتها وبين مكونات الإنسان التي ذكرنا سر غامض غائـب عـن العلمـاء المـاديين المحلـدين ويحتـاج إلى تكـاتف وتعاون منهم مع العلمـاء المـؤمنين وعلمـاء الروحيـة الحديثـة وعلمـاء مـا وراء الطبيعة والباراسيكولوجي لتكشف أنـواع هـذه العلاقـة وهـذه الصـلة القائمـة في بحـوثهم العلميـة في المسـتقبل ولا يهمنـا في شـيء أن يكـون المجتمـع العلمـي المعاصر في الشرق أو الغرب منقسم على نفسه بين منكر لحقائق الغيب ومؤمن بها لأن مجالات العلم والمعلومات تشتمل عـالم الشـهادة الـذي يتميـز فيـه العلمـاء ،وعالم الغيب الذي مـازال العلمـاء متخلفـين فيـه وهـو عـالم واسـع عظـيم مـليء بالقدرات والطاقات التي يعلم العلماء عنها اليوم إلا القليل .

الوعي الإنساني في القرآن العظيم :

لقد حدثنا الدكتور ستانلي كريبنر في بحث قدمه عام 1967م باللغة الإنجليزيـة في مؤتمر عقد بباريس عن حالات أو مستويات للوعي الإنساني تشمل ما يلي أو ما يكون قد زاد عليها منذ ذلك التاريخ :

1-الإحساسات والمشاعر الجسدية . (Bodily feelings)

2-ذكريات مختزنة . (Stored Memories)

3-كوما أو غيبوبة . (Coma)

4-الوعي الاندماجي . (Stupor)

5-نوم حركة العين الطبيعية . (Normal Eye Movement Sleep)

6-نوم حركة العين السريعة .(Rapid Eye Movement Sleep)

7-وعي الضمير العلمي . (Pragmatic)

8-الوعي عند اللامبالاة .(Lathargic)

9-الوعي عند القلق الزائد . (Hyper Alert)

10-الوعي اللحظي . (Rapturous)

11-الوعي الهستيري. (Hysterical)

12- الوعي الجزئي . (Fragmemtal)

13-الوعي المتأخر .(Retarded)

14-الوعي المجتمعي .(Sociopthic)

15- الوعي العداوني أو الشرس كما في الحيوانات .(Feral)

16-الوعي المسترخي . (Relaxed)

17-أحلام اليقظة . (Day Dreming)

18-الوعي الغائب أواللاوعي .(Trance)

19-الوعي المتمدد . (Expanded)

20-الوعي المتراجع . (Repressed)

القرآن والوعي الإنساني

وتدخل هذه الحالات كلها فيما تحدث عنه القرآن الكريم من حالات ومستويات للوعي الإنساني أجملها في ما يلي :

1-ما دون الجهر :وهو يظهر على ملامح الإنسان في وجهه وفي أقواله أو أفعاله التي يعبر بها عن حالات له تظهرها تقاطيعه وملامحه فيما يعتريه ومن التخافت .

2-الجهر :وهو يظهر فيما يجهر به الإنسان من قو أو فعل .

3-السر: وهو ما يخفيه الإنسان في صدره أي في عقله لأن العقل هو المصدر الذي يصدر عنه عمل الإنسان سواء في الشعور أو في ما يعلوه وحتى بدايات اللاوعي .

4-المكتوم :وهو ما يكتمه الإنسان وهو يأتي في درجة ما قبل السر مباشرة لأنه غير السر ، والمكتوم قد يظهر في الجهر من القول أو العمل أو التصرف ، عند الانفعال أو الشعور بالضيق الشديد .

5-ما يخفي :ويشمل الدافع والنية والقصد وهو ما يخفي على غيره صاحبه . والدافع والنية والقصد يظل خافيًا حتى يظهر في الفعل أو القول .

6-الخفا: مستوى من الوعي متغلغل في باطن الإنسان ونفسه وقد يغيب عن صاحبه فيما لا يعمل .

7-الأخفى: ويشمل مراتب ودرجات وحالات لوعي الإنسان ما زالت مجهولة لا يعرفها أحد .

8-المجهول .

كما أن الوعي في القرآن الكريم عند الإنسان يشمل وعي الحاجة أو الرغبة والوعي عند الانفعال كالغضب مثلا والوعي أثناء النوم أو اللاوعي عنده كما في الرؤى الصادقة ووعي ما يلهم به الإنسان وقد يكون من طاقات روحية أو عقلية خارجية موجودة لكنها غائبة عنا وغير مشهودة لنا ، والوعي الروحي في القبر أو البرزخ بعد الموت .

الفتح الحادي عشر:

القرآن العظيم ونعم الله

يحدثنا القرآن العظيم عن مجموع من النعم المختلفة والكثيرة التي أنعم ربنا بها على الإنسان ويقول عنها القرآن العظيم : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم :34] . وفيما يلي آيات من القرآن العظيم تبين نماذج وأمثلة من نعم الله على الناس .

-﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:15- 16] .

-﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ

وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم:32- 34] .

- ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء:30- 33](1) .

- ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:4- 18] .

- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل:48] .

(1) وقارن نظرية الانفجار العظيم . (BIG BANG)

- ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 65- 69].

- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ [النحل: 72].

- ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل: 78- 79].

- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [النحل: 80].

- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: 81- 83].

- ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾ [النبأ: 6- 16].

- ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس:24- 32].

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:3].

- ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر:9].

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:27- 28].

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[الأنعام:141- 144].

- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى

تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: 95- 96].

- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: 98].

ونختتم هذه الآيات بما ختمت به سورة الأنعام:

- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: 165].

الفتح الثاني عشر :

القرآن معجزة عقلية

القرآن معجزة عقلية يقوم إدراكها على التفكير والتدبر والفهم والعلم ومحاربة التقليد الأعمى أو الجمود والانغلاق والتشدد والتطرف أو التسليم لتبعية الهوى أو التأويل والفهم الخاطئ . وعشرات الآيات تؤكد هذه الحقيقة ، ويكفي تأمل المفردات التالية في آيات القرآن لتكون دليلاً قاطعًا : أولى الألباب ، أفلا تعقلون ، يتفكرون ، يعقلون ، يتدبرون ..إلى آخر ألفاظ الإدراك والفهم في آيات القرآن الكريم كما في الآيات الكريمة :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:109] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ

يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الرعد:3] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء:82] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[الأنعام:97] .

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[البقرة:197] .

﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[آل عمران:190] .

ومن هنا يتأكد لنا أن التعامل مع هذه المعجزة العقلية ينبغي أن يكون في مستوى الرشد والوعي المناسب لها ، وألا نتراجع بهذه المعجزة العقلية إلى المعجزات الحسية ، وأن نرقى بهذه المعجزة العقلية بعيدًا عن الأوهام والخرافات .

والقرآن معجزة عقلية لها الخلود ؛ لدوام تأثيرها في العقل على مر العصور ولا ترتبط بعصر نزول القرآن ، كما هي الحال في المعجزات الحسية ،والعقل الإنساني مطالب في كل لحظة وكل زمن يتدبر الخطاب الإلهي وفهمه فهمًا حضاريًا إيمانيًا عقلانيًا وعلميًا في اعتدال ويسر واستنارة .

وليس في القرآن العظيم في آياته ما يخلو من إشارة دالة أو لحمة موحية للعقل الإنساني تدله وترشده إلى العلم والمعرفة إلى الحد الذي جعل كثير من العلماء يعتبر النظر العقلي وأدلته التي أشار إليها القرآن وجها من وجوه إعجازه إن القرآن يعتبر نقطة تحول حاسمة لا في تاريخ الدين والحضارة الدينية فحسب بل أيضًا في تاريخ الفكر والعلم بالمعنى الديني والعلمي والفلسفي وذلك لاحتواء القرآن على

المبادئ والسنن التي تمثل الضوابط والمتطلبات الإلهية للعلوم والمعارف الإنسانية على النحو لذي يجعل (الوحي) مع (الوجود) مصدرًا ومنطلقًا للعقل الإنساني في هذه العلوم والمعارف . وقد بدأ النظر العقلي والتفكير والبحث وإثارة الأسئلة منذ الأيام الأولى لنزول القرآن وما نشأ من آياته من يقظة فكرية ، وعلى أساس من تعظيم القرآن للعقل والعلم والمعرفة ، ورفعه وإعلائه لشأن العلماء و أيضًا على أساس ما اشتمل عليه من فكرة (الحق) ومن أصول النظرة إلى الكون ومن هنا أقبل المؤمنون بالقرآن على النظر والتفكر والبحث والتبصر والتدبر الذي جعلهم القرآن أساس الإيمان ، وكانوا أيضًا أساس بناء الحضارة الإسلامية . إن النظر العقلي الذي دعا إليه القرآن العظيم لم يكن نظرًا مجردًا بل كان وسيلة لهدف وغاية هي نفسها الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض لأن الإنسان هو محور اهتمام القرآن وهو الذي جعله الله خليفة في الأرض وفضله على كثير من سائر المخلوقات وميزه بالعقل والإدراك والوعي من نفخة الروح فيه وحمَّله أمانة عمارة الأرض وصنع الحضارة فيها وليكون مسئولا عن استخدام وسائل الإدراك كلها الحسية : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:36] وما زاد عليها من خلال سطوة العقل وقدرات البصيرة .(E . S . P) [1] هذا وإن النظر العقلي في القرآن العظيم كان من ضمن غاياته :

1-بناء العقل البشري بناء سليما عن طريق التفكير الصحيح والمنطقي القويم الذي جاء به القرآن .

2-إدراك أسرار الموجودات عن طريق دراسة حقائق الأشياء ودراسة علمية دقيقة شاملة واكتشاف الجديد فيها وفي كل جوانب الحياة .

3-الإيمان بوجود خالق عزيز حكيم وإخلاص العبودية والعبادة له وحده

(1) (EXTRA SENSORY PEREPTION)

دون شريك .

4-إقامة الحياة في الأرض على أسس من الحق والعدل وفي إطار التعاون على الخير والإصلاح والصلاح (البر والتقوى) بتسامح ومساواة وتقوى وإخاء إنساني شامل .

5-تنمية قدراته وتكوينه بالعلم وصحيح الفهم والتفكير والتدبر إيقاظًا للعقل من الغفلة والجمود والتقليد الأعمى والتطرف والتشدد والانغلاق والتعصب ، لأن إيقاظ عقل الإنسان هو باب تكريمه وهدايته وتمدنه وحضارته .

أما مفهوم(التسوية) للبشر ثم (التعديل) للإنسان كما حدثنا القرآن العظيم فيشير إليه في جانب منه اختلاف الإنسان عن أرقى الحيوانات في حوالي 2٪ من شفرته الوراثية العاملة وفي هذه النسبة يكمن سر التفوق المعرفي الشاسع للجنس البشري على غيره من الحيوانات إذ أن هذا الاختلاف في نسبته الضئيلة أدى إلى نمو ضخم للقشرة المخية أضاف مخزنا للمعلومات في خلايا المخ يتسع لحوالي عشرة تريليونات (واحد على يمينه 13صفر) معلومة إضافية (BIT) .ويقول لنا القرآن العظيم :﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس:86] .وتوضح مفهوم هذه الآية القرآنية الحقائق التالية : « يبلغ حجم مخ الطفل الوليد ربع حجم مخ الإنسان البالغ ثم ينمو المخ ويمر بعدة أطوار إلى أن يكتمل نضجه ، ويتقدم العمر الإنساني ويطرق أبواب الشيخوخة .فيصاب المخ بالضمور وتنخفض عدد خلاياه العصبية فترق قرته المخية ويتباطأ التواصل بين مراكزه المختلفة كما ينخفض معدل إفرازه للناقلات العصبية الكيميائية .. ويصحب هذا الانتكاس تدهور في وظائف المخ العقلية والوجدانية والسلوكية والشخصية ، وفي الحالات الشديدة (عند الشيخوخة) يستمر التدهور التدريجي حتى يفقد الإنسان ذاكرته وشخصيته تمامًا ويصاب بسلس البول والبراز ويحيا حياة حيوانية لا يعي منها

شيئًا ما حوله ويحتاج لمن يقوم بإطعامه والاهتمام بجميع حاجاته[1]. وفي كتاب «الطب النفسي المعاصر» الصادر عام 2009 للأستاذان الدكاترة أحمد عكاشة وطارق عكاشة يقسم المؤلفان التغيرات التي تصيب مريض عند الشيخوخة إلى أربعة مجموعات كالتالي :

1- تغير عقلي : فيضطرب الفهم ويتشتت الانتباه ويصعب التركيز وتضمحل الذاكرة تجاه الأحداث القريبة أولا ثم تمتد لتشمل كل حياة الفرد ، مع اضطراب في تعرف الزمان والمكان وتدهور القدرة على الحكم والتقدير السليم مع التأرجح الواقع في درجة الانتباه .

2- تغير وجداني : يظهر عدم التناسب الوجداني والضحك والبكاء دون سبب وبطريقة اندفاعية فجائية .

3- تغير سلوكي: يسلك المريض سلوكًا غريبًا عن طبيعته كالاستغراق في الجنس واستعراض أعضائه التناسلية أمام زوجته وأولاده وأحيانًا أصدقاؤه مع التصرف الصبياني في كثير من نواحي نشاطه العام .

4- تغير في الشخصية :ويأخذ ذلك طابع الأنانية والسلبية وكثرة الطلبات وضيق الاهتمامات والعزلة عن الناس مع حب التملك والسيطرة .

القرآن والتربية

أسس التربية في القرآن الكريم تقوم على محورين :

المحور الأول :تقوية الإيمان ؛ إذ هو الدافع والمحرك لكل الفضائل .

المحور الثاني : العمل الصالح الموافق لهدى القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ

(1) مقتطفات من كتاب »كيف بدأ الخلق « الفصل التاسع «نشئ الإنسان» للأستاذ الدكتور عمرو شريف وفيه إشارة إلى ما جاء في كتاب «الطب النفس المعاصر» الذي ذكرناه .

ويرجى به وجه الله – عز وجل – فالرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ يستفتيه في حاله قائلاً : يا رسول الله . إني أقف الموقف العظيم وأعمل العمل الكبير أريد وجه الله ، غير أني أريد مع ذلك أن يقول الناس عني خيرًا ، إنه رجل مغرم بالشهرة والثناء ، فأنزل الله فيه آخر سورة الكهف ، قال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف :110] .

وتقوم التربية في القرآن على الإقناع والترغيب انطلاقًا من أن الإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل ، ولذلك ركز القرآن في التربية الإيمانية على إقناع العقل بهدي القرآن من أوامر ونواهٍ بإظهار الحكمة من ورائها وبيان الثمرة التي تُرْجَى من طاعة الله ، وبيان العاقبة لمن عصى ، فمثلاً حين يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نؤمن به فإنه يبين أحقيته بهذا الإيمان فهو فاطر السماوات والأرض وهو المحيي وهو المميت ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:3] .

وحين ينهانا الله – عز وجل – فإنه يبين الحكمة من هذا النهي كما في قوله تعالى في سورة الآداب الإنسانية والأخلاق الاجتماعية (الحجرات : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:11] .

ومثل ذلك في القرآن كثير ، فالله – سبحانه وتعالى – يقرن الأمر بعلته ويقرن النهي بعاقبته .

ثم ضرب القرآن الكريم أمثلة عملية من تاريخ البشرية لتكون نموذجاً تطبيقيًا لمن اتبع وأطاع ففاز ، ولمن خالف وعصى فضلَّ وهلك .

إنها نماذج عملية للتحذير كي لا تقع فيمثل ما وقعوا فيه فنضل ونشقى ، وهكذا يغرس القرآن الكريم في عقول الناس وفي قلوبهم أدب الإيمان حتى يصيروا قرآنيين متأسين بحبيبهم المصطفى ﷺ الذي وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقوله :«كان خلقه القرآن» لقد كان ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض وكان كما قالت أم المؤمنين «قرآنا حي» .

القرآن ونماذج الفضيلة :

لقد قدم القرآن الكريم أفضل النماذج الهادية لنقتدي بها ، فنكون ممن رضي الله عنهم وتولاهم بعنايته ، فقدم لنا نموذجًا للعفة والطهارة نقتدي به فلا نسقط في الفتنة ولا تزيغ قلوبنا مع الهوى ، يتجلّى هذا النموذج واضحًا في نبي الله يوسف عليه السلام وقصته مع امرأة العزيز ، واستعصامه بربه ، فنجّاه الله – عز وجل – وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ يوسف:33] .

كما قدم لنا القرآن نموذجًا للقوة مع الأمانة ،وتجلي هذا النموذج واضحًا في نبي الله موسى – عليه السلام– وذلك حين سقى لابنتي شعيب – عليه السلام – وغلى ذلك تشير الآيات الكريمة :﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص:23– 26] .

ويقدم القرآن الكريم نموذجًا هاديًا للبحث المنهجي والتفكير العلمي وعدم التبعية للموروث الخاطئ والتقليد العمى ،وقد تجلى هذا النموذج في نبي الله

إبراهيم – عليه السلام- في قصة إيمانه وإعراضه عن عبادة الشمس والقمر حتى هداه الله لعبادة الحق الواحد الأحد : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام:75- 76] .

كما لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى نموذج فريد في الصبر على البلاء ، وتجلَّى هذا النموذج واضحًا في نبي الله أيوب – عليه السلام- الذي صبر على ابتغاء مرضاة الله وكان دعاؤه في أدب جم وإيمان عميق ويقين ثابت ، يظهر ذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:83] .

كما قدم لنا القرآن الكريم نموذجًا عظيمًا في التماسك وعدم الذوبان في الآخر، ويتجلى هذا النموذج واضحًا في فتية الكهف الذين آمنوا بربهم ، وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة : ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ [الكهف : 13- 16] .

ثم أجمل الله في القرآن الكريم كمالات الأسوة ومعالي القدوة في سيدنا محمد ﷺ فدعانا إلى التأسي به ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب:21] .

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قدم نماذج هادية للفضيلة كي تكون عونًا للمؤمن في المجال العملي ليكون على درب الصالحين والفالحين .

«أما عن آفاق التربية القرآنية فهي تشمل علاقة العبد بربه ،وتشمل علاقة العبد بنفسه ، وتشمل علاقة العبد بغيره من الناس ، وتشمل علاقته بكل المخلوقات وبالكون من حوله ، ولكل علاقة من هذه العلاقات آداب وهدايات يرقى بها الإنسان إلى منازل الرضا ودرجات المقربين ، ويتحول الإنسان بهذه الآداب وتلك الهاديات من إنسان كنود هلوع جزوع إلى إنسان يشكر ربه : يرجو خيره ويأمن سوء العاقبة يعفو ويتسامح ويغفر ، ويعطي ويؤثر على الخير سبَّاق ،وإلى مرضاة ربه يسارع ، كيف لا والله – سبحانه وتعالى – يقول : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:9] .

المنهج القرآني لتربية النفس :

الصلاح والمداواة قبل العقاب والمجازاة والتدرج قبل القهر . حقيقة يقوم عليها منهج القرآن في تربية النفوس ، حيث يركز القرآن على غرس حب الفضائل وبغض الرذائل في النفوس ؛ كي يكون الخير نابعًا من داخل النفس الزكية وليس مفروضًا عليها بقوة من خارجها ، فيقظة الضمير وتربية الإحساس بأن الله رقيب علينا أمر أساسي في تربية القرآن للنفس ، ومن الآيات التي نجد فيها هذه الحقيقة قول الله تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك :13] .

وبهذا حوَّل القرآن مجتمع الهمجية والعدوان الجاهلي إلى مجتمع آمن يأمن فيه الناس على أعراضهم وأموالهم .

وهدي القرآن الكريم في تزكية النفوس لا يصادر الغرائز وإنما يهذبها ويتدرج في علاجها ويجعل لها وسائل إشباع من الحلال ، كما يربِّي القرآن في النفس القدرة على التحكم في المشاعر والسيطرة على الانفعالات الجامحة التي تؤدي إلى

ارتكاب الشرور والحماقات ويقول مادحًا :﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران:134] .

كما يبث القرآن في النفس روح الإخاء وحب العطاء ، ولا يجعل التفاضل بين الناس بلونٍ أو لغة أو جنس أو مال أو غنى وإنما بالعمل الصالح ومكارم الأخلاق.

وقد رسم القرآن المنهاج العملي للإنسان ليرقى لمنزلة خير أمة أخرجت للناس إن هو اتبع هذا المنهج وطبقه في حياته .

*فبين أسس علاقته بربه ومولاه : أن يعبده ولا يشرك به شيئًا ، قال تعالى :﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:11] .

*وبيَّن القرآن علاقة الإنسان بنفسه التي سوَّاها ربنا بقدرته ، قال تعالى : ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ [الشمس :7- 8] .

*ووضح الله علاقة الإنسان بالكون : أن يتأمله وينظر فيه ليهتدي به إلى خالقه ومبدعه ، قال تعالى :﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾ [هود:6] . وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يونس:101] .

*ووضح الله للإنسان علاقته بالحياة الدنيا . أن يتخذها مزرعة للدار الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:201] .

*ووضح علاقة الإنسان بأسرته ، فأقامها على المودة والرحمة ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً ﴾[الروم:21] ،وجعل الله إكرام الوالدين عبادة فقال تعالى :﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا ﴾ [البقرة:83] .

*ووضحت آيات القرآن علاقة الإنسان بجيرانه وإخوانه من حوله ، كما رسمتن الآيات الآداب الرفيعة التي يتعامل بها الإنسان في مجتمعه مع كل الناس فيه من ذلك ما جاء فيوصف عبدا الرحمن ، قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:63] .

وأوضح القرآن العظيم علاقة المؤمنين به بأمتهم الكبرى بالاتصال بشعوبها ودولها والتواصل معهم والتضامن والتوحد معهم بالتعارف والتعاون وتبادل الخبرات والمصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟؟؟؟؟ وتوصلا للخير يَعُمَّ الجميع فيقول : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:104] والآية دعوة للبناء والتعمير والتقدم وإعداد المسلمين لكل ما يستطيعون من قوة مادية ومعنوية في كل دولة من دولهم إذ يقول القرآن العظيم : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال:60] . والعمل بكل وسائل الخير والمصلحة والإصلاح والصلاح والبعد عن كل مضرة وكل أوجه التخلف الضار والتفرق والفرقة التي تؤدي في النهاية إلى الفشل والضعف والتأخر فيقول : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:103] . ويجب الامتثال والطاعة لله ولرسوله وللدين الخاتم فيقول : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:46] .

إن القرآن العظيم هو البذرة الإلهية التي نبتت منها الشجرة الفارهة المثمرة للحضارة التي أقامها المؤمنون به الفاهمون له الفهم الصحيح وامتدت عبر عصورها الذهبية المزدهرة لسنوات طويلة(1) وسيظل هذا القرآن العظيم دائمًا هو المنارة

(1) والأندلس مثالها الأبرز .

الهادية للناس كافة في هذه الإنسانية عامة وللأمة المؤمنة به خاصة وشعوبها في كل دولها وأوطانها ومجتمعاتهم، يضيء بالنور والهداية طريق نهضتها وخطوات الإصلاح والتقدم فيها يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153].

ومن هذا الفهم لآيات القرآن قال فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر محقًا تمامًا: «إن البحث النزيه المنصف لابد له أن ينتهي إلى أن الإسلام برئ من بربرية وهمجية الأعمال الإرهابية ولا علاقة له بها لا نشاة ولا غاية ولا دعما بأي لون من أنواع الدعم حيث أن فلسفة الإسلام (والقرآن) في التعامل مع الآخرين لا تعرف مبدأ الصراع ولا التصنيف بين اسود وأبيض ولا بين شرقي وغربي وإنما تعرف مبدأ واحدا فقط في معاملة الناس هو مبدأ التعارف والقرآن لا يأمر بالحروب التي تفض على القتل وسفك الدماء وتشريد الآمنين وجنى الأرباح من مصانع الموت والتدمير والتفجير ومن هنا كانت الحرب في الإسلام (والقرآن) استثناءًا لا يُلجأ إليه إلا بحكم الضرورات القصوى التي لا محيد عنها بحال من الأحوال ... وإن المسلمين هم الضحايا الأكبر للإرهاب وأنهم المستهدفون بأسلحته وبطريقته البشعة في القتل وإزهاق الأرواح ..»(1) انتهى.

كذلك أكد فضيلة شيخ الأزهر الحالي الدكتور أحمد الطيب لرئيس أساقفة كانتربري السابق اللود البريطاني جورج كاري مؤخرًا أن الأزهر يؤمن بأن الحوار بين الثقافات والأديان يجب أن ينتقل من الإطار النظري إلى التطبيق العملي في المجتمعات والاستفادة من طاقات الشباب وأفكارهم في تعزيز قيم السلام والتعايش وكسر حدة التوتر من اتباع الديانات حول العالم مؤكدًا أن الأزهر الشريف (وهو القيادة الدينية الوسطية في مصر) وكنسية كانتربري مؤهلان للقيام

(1) في محاضرة لفضيلته ألقاها في سلطنة بروناوي بحضور برناوي الحاج حسن البلقية في 7 مايو 1918 م

بدور كبير في إيجاد تفاهمات بين الشرق والغرب وفي نفس هذا الحوار والتفاهم بين الاثنين أكد السفير البريطاني في القاهرة حاجة الدول الأوربية إلى خطاب الأزهر ومنهجه الوسطي فيتحقيق الاستقرار الاجتماعي في ظل التعدد الثقافي وأكد أن رسائل الإمام الأكبر شيخ الأزهر وخطاباته إلى الغرب تحقق الهدف المنشود وتدعو المسلمين في الغرب للاندماج الإيجابي في مجتمعاتهم .

القرآن ويوم القيامة

وفجأة .. وبغتة .. ومن حيث لا يشعر الناس يفاجأ الإنسان بالأحداث الجسام للانقلاب الكبير العظيم الذي يحصل في واقع الأرض الذي يحياه الناس واعتادوا عليه ولا يستطيعون دفعة . في سورة الزلزلة يقول القرآن العظيم : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ . إن القرآن العظيم ينذر البشرية والإنسانية بيوم الزلزلة لتحسب حسابها وهي مقدمة يوم القيامة وأحداثه المفزعة وأهواله المرعبة ورهبتها الهائلة والتي يصفها لنا في كثير من آيات سوره ويتوعدنا بحصولها منذرًا لنا لعلّ ذلك يجعلنا نتقي شر ذلك اليوم وأحداثه النظام أو يُحدث لنا ذكرًا ،وقد يسَّر الله القرآن للذكر ولكنه يقول : ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ في سورة القمر وقد ؟؟؟؟؟ سبحانه بالكثير من أنواع المواعظ والعبر وصرَّف فيه الكثير من الوعد والوعيد ليعتبر ويتعظ الناس ويقول مثلاً في الآية 97 من سورة مريم : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.أي زوي لَدو وشدة في الخصومة بالباطل وكذلك جاء في الآية 58 من سورة الدخان :﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.أي يتعظون فيؤمنوا به ويعلموا بهديه وهداه لينجوا بأنفسهم في الدنيا وفي الآخرة .

إن القرآن العظيم نذير من النذر الأولى بيوم القيامة فقد اقترب للناس حسابهم

وهم في غفلة معرضون ، ما ينظرون إلا صيحة واحدة وهم يخصمون ويختصمون ويتخاصمون ولكنهم لا يستطيعون وضع أو تجنب أحداث القيامة التي تأتيهم : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس 50] ويحدثنا القرآن العظيم في سورة النجم عن اقتراب يوم القيامة الموعود فيقول (أزمة الأزمة) وباعتبار القرآن نذير من النذر الأولى لاقتراب ذلك اليوم الموعود فيقول : ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ [56- 62] .

وفي سورة الأنبياء يقول القرآن العظيم في الآيتين الأولى والثانية : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

وفي الآية السابقة والتسعين في نفس السورة يقول : ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ والحق كما يقول الله لرسوله الخاتم في سورة طه في القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [15- 16] .

ولقد تحدث القرآن العظيم عن يوم القيامة والساعة التي تأتي الإنسان في الأرض بغتة وعن ظواهرها وأحداثها ووقوف وحال الناس يومها وساعتها فقال على سبيل المثال ولي س الحصر :

1- ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة:1- 5] .

2- ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل:17] .

3- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ [الحج:1- 2] .

4- ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴾ [الانفطار :1- 4] .

وقد حدثنا القرآن العظيم عن صور أخرى ليوم القيامة فيسور أخرى مثل سورة الحاقة (13- 18) . والمعارج (8- 18) ، والقيامة (5- 15) . والمرسلات (7- 13) .والنبأ (17- 28) . والنازعات (6- 14) . والتكوير (1- 14) والانشقاق (1- 5) وغيرها من السور القرآنية ، والقرآن يريد من كل إنسان أن يظل على ذكر دائم بأمر الساعة أو القيامة واليوم الآخر لما لذلك من أثر نفسي وعقلي وقلبي وأخلاقي بالغ الأهمية فيسلوك الإنسان الفردي والمجتمعي وكذلك على المجتمعات والشعوب في صلتها ببعضها في الحياة الدنيا في مراقبة لربها وإتباع لهديه وتعارف وتعاون فيما بينها .

طبيعة الخطاب القرآني

إن الناظر والمتأمل في الخطاب القرآني يرى أنه جاء مُوجهًا للناس كافة لأنه يتحدث عن الله رب العالمين ، رب الناس وملك الناس وإله الناس كل الناس .

لذلك جاءت نداءات القرآن العظيم خالية من أي نزعة أو طابع عنصري أو إقليمي أو طبقي جاءت النداءات القرآنية موجهة أحيانًا إلى كل الناس وأحيانًا إلى أهل الكتاب . من اليهود والنصارى وأحيانًا إلى الذين آمنوا من الناس وأحيانًا إلى المسلمين كافة .. إلخ

وذلك يصل بنا إلى حقيقة يقينية ومؤكدة هي (عالمية القرآن) وبالتالي (عالمية الإسلام) و (عالمية نبي الإسلام) الذي أرسله ربه للناس كافة وشملت رسالته

الثقلين الإنس والجن .

إن القرآن هو دستور الإنسانية ورسالته فيها خير البشرية كي تتطهر من الطغيان والظلم والإفساد والعدوان والاقتتال والأهواء الضالة والمضلة والمفسدة للإنسان في أخلاقه في نفسه وفي حياته في مجتمعاته وأوطانه ودوله ، وحتى ترقى هذه الإنسانية إلى منارات الهدى والرحمة والعدالة والخير والسعادة والأمن والأمان والاستقرار والسلام للإنسان ، كل إنسان في كل مكان وزمان ، إن أكثر الناس من غير المؤمنين في جهالة لحقيقة القرآن ومفاهيمهم عنه إما مغلوطة أو ناقصة أو معدومة . وكما يقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي(□) : « إن الأحكام غير الصحيحة المؤسسة على مفاهيم مغلوطة والتي صدرت ضد الإسلام هي من الكثرة بحيث يصعب جدًا على المرء أن يكوّن فكرة سليمة عما عليه الإسلام في الواقع » ويقول أيضًا : « إن الأحكام المغلوطة تمامًا التي تصدر في الغرب عن الإسلام ناتجة عن الجهل حينًا وعن ؟؟؟؟؟؟ العامد وحينًا آخر ...» إن الإسلام طالما أسيء فهمه في بلادنا . انتهى .

***

توجيهات سكرتارية الفاتيكان لإقامة حوار مع المسلمين

ومن هنا كان التغير الكبير الذي حدث تجاه الإسلام وتجاه القرآن في السنوات الأخيرة بضرورة وثيقة سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين وعنوانها :

«توجهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين » وهي تتكون من مائة

(1) في مفتتح كتابه «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » (MAURICE (BUCAIOCCE

وخمسين صفحة تقريبًا تنتمي على بسط ودحض نظرات المسيحيين الكلاسيكية أو الموروثة بالخطأ عن الإسلام وتقدم عرضا لما عليه الإسلام في الواقع ، وقد تناولت وثيقة الفاتيكان بالنقد عددًا من الأحكام الخاطئة الصادرة عن الإسلام من قبل خطأ عقيدة الجبر التي تعارضها آيات القرآن وتتبين فيها مسئولية الإنسان وما سيحكم به عليه مما فعل أو عمل أو تكلم وحرية اختيار العقيدة الدينية في القرآن كما في سورة البقرة في الآية 256 : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ وسورة الحج في الآية 78 : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ وتعارض وثيقة الفاتيكان الفكرة الخطأ والشائعة إن الإسلام دين الخوف فترد الناس إلى الفكرة الصحيحة وهو أن الإسلام دين الحب حب الإنسان المتأصل في الإيمان بالله وأن المسلمين والمسيحيين يعبدون إلهاً واحدًا وقد ؟؟؟؟؟؟ الوثيقة الفكرة التي نُشرت خطأ والتي تقول بعدم كفاية الأخلاق الإسلامية والفكرة الخطأ التي نشرها كثير من اليهود والمسيحيين عن الجهاد وتعصب الإسلام .والآن في زماننا تثار أفكار خاطئة ومغلوطة عن صلة الإسلام بالإرهاب والتطرف وهو منها براء والقرآن منها براء وقد علق الدكتور موريس بوكاي في كتابه الذي أشرنا إليه سابقًا بقوله : « وإني لعلى يقين من أن دفاع الفاتيكان عن الإسلام سيثير دهشة كثير من معاصرينا سواء كانوا مسلمين أو يهود أو مسيحيين فذلك إعلان يتميز بإخلاص وبروح انفتاح يتباينان بشكل واضح عن مواقف الماضي ولكن كم هم قليلون حقًا الغربيون الذين عرفوا تلك المواقف الجديدة التي اتخذتها أعلى سلطات الكنسية الكاثوليكية وهكذا فإن ممثلوا العالمين المسلم والمسيحي على أعلى المستويات يتفاهمون بهذه الكيفية في إخلاصهم لرب واحد وفي احترامهم المتبادل لاختلافهم ويتفقون على إقامة حوار ديني . فمن الطبيعي والحال هذه أن تقام المقابلات بين مختلف جوانب الكتب المقدسة ، التوراة والإنجيل والقرآن ، وحتى تكون هذه المقابلة ذات قيمة يجب أن تكون الحجة العلمية المعتمد عليها ثابتة تمامًا أي

يقينية وألا تكون محل جدال والذين يتذمرون ويماطلون في قبول تدخل العلـم في عملية تقيم الكتب المقدسة ينكرون أن العلم يستطيع أن يشكل مقياسًـا في مقارنـة ذات قيمة » انتهى .

وإن كان كل ما قيل هنا صحيح إلا أنه فيما يتعلق بالمقابلة بـين القـرآن وغيـره من الكتب السماوية (كالتوراة والإنجيل) المتعادلان في المجال العلمي في العلوم المختلفة لا يشمل إلا ناحية واحدة فقط من النواحي العديدة الإعجازية في القرآن العظيم وهي ناحية الإعجاز العلمي دون غيره ومن أوجه الإعجاز التـي ذكرناهـا سابقًا في كتابنا وهي كثيرة .

إننا سنجد في القـرآن العظـيم مـا يمكننـا معـه أن نفهـم ونـتفهم هـذا التوجـه للفاتيكان ولرجال فيه يخفي على أكثر المـؤمنين بـالتوراة والإنجيـل وأكثـر أتبـاع الديانتين اليهودية والمسيحية والإسلامية أيضًا .ويكشف القـرآن العظـيم في آياتـه المنزلة والموحاة من الله رب العالمين الذي يعلم من كل إنسـان مـن كـل معتقـد واتجاه ما يجهر به وما يخفيه وما يعلنه وما يسره وما يبديه وما يكتمه ويقـول عـلى سبيل المثال :

1 - ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:144] .

2 - ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:113 - 115] .

3 - ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ

ٱلۡحِسَابِ ﴾[آل عمران:199] .

4-﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[المائدة:82- 85] .

وتجدر الإشارة إلى أن إجراء الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان السماوية يعتبر عاملاً جوهريًا وأساسيًا في التقريب بين الشعوب وتعزيز التفاهم ورفع مستوى التواصل والترابط بينها .ولذلك فإن تعزيز وتدعيم التبادلات الثقافية للشعوب وأسس هذه الثقافات الدينية الإيمانية واحترام الهويات الثقافية لها المبنية على هذه الأسس من شأنه تطوير العلاقات بينها وهي العلاقات التي يدعو إليها القرآن ويدعمها وينمي أسسها ويؤيدها أنصار ومحبي السلام .

الأمم المتحدة وقرار الحوار بين الحضارات

وجدير بالذكر أنه في نوفمبر 1998 اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارًا اعتبرت فيه عام 2001 عام الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات وكان الهدف من القرار أساسًا – في تقديري – هو تطوير وتفصيل أواصر التعاون والتفاعل بين مختلف الشعوب والحضارات على قاعدة الاحترام المتبادل والفهم الصحيح المشترك . وأنه في الوقت الذي لا تؤيد فيه (العلمانية) ولا يهمها الحوار للتقارب بين الأديان وتركز هي وأنصارها والمؤمنين بها على الحوار بين الحضارات كبديل نجد أن الكنيسة المسيحية (الفاتيكان) قد طورت مفهوم الحوار بين الأديان وأبرزت موقفها في الوثيقة التي أصدرتها سكرتارية الفاتيكان

لشؤون غير المسيحيين والتي تناولنا أجزاء فيها فيما سبق .

إن الحضارات في معظمها ذات أصول دينية ولكنها إذا أصبحت في عصرنا تغلب المادة ومقاييسها الدنيوية البحتة على قوامها ومبناها بمفاهيم تستمد من أصول إما علمانية وإما ماسونية وإما صهيونية وإما شيوعية فلسفية مادية .بمحتويات لا دينية أو إلحادية تحارب الأديان السماوية وأخلاقياتها وتحارب الدين الإسلامي وقرآنه العظيم بصفة خاصة بشتى الوسائل وباعتبار ما يقوله هنتجتون : أن الإسلام هو المشكلة المبهمة بالنسبة للغرب في حين أن الصراع أو الصدام في حقيقة المر ليس بين الديانات السماوية ولا بين الحضارات المبنية على أسسها وإنما هو بين المصالح بمختلف أنواعها لأن الحضارات على اختلافها تشترك في قيم إنسانية رفيعة وثقافات متنوعة تتعايش في سلام وبمحبة تكون أو يجب أن تكون .

هذا وإن الموقف السائد لدى الأوساط العلمية في اليونسكو (UNEBCO) مثلا وغيرها منذ الثمانينيات يعترف بقيمة الثقافات الأخرى غير النسبية حتى أن المفوضية العالمية للثقافة والتنمية أكدت في تقرير لها عام 1995 بعنوان «التنوع البشري الخلاق» كيف أن مشاريع التنمية الاقتصادية التي لم تأخذ الثقافة في حسبانها باءت بالفشل وذكر التقرير « أن التنمية خارج السياق الإنساني والثقافي في نمو بلا روح » . ويلاحظ أن الفكر العلماني لم يستطع طرد الدين كلية من الدولة ولا من السياسة ولا من الحياة العامة في الغرب بل توصلت المجتمعات الغربية (لمعادلة التعايش) تزيد من تأكيد أن الحضارة الغربية حضارة مسيحية وهذا الوصف ليس للإساءة إليها وإنما هو لتقي حيدتها وموضوعيتها وعقلانيتها الخالصة وعدم قبولها لغيرها من الحضارات والثقافات وفي مفاهيم تبني على العولمة في سلبياتها .

ولما كان القرآن العظيم والنبي خاتم المرسلين يعتبر أن الناس سواسية في الإنسانية ولا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أي بخشية الله والتحلي بمكارم الأخلاق الدينية فإنهم يهدفان بذلك إلى تعميق روح التفاهم بين الشعوب والتعاون بينهما والتعارف من أجل إزالة الخصومات وتخفيف حدة النزاعات ودرء الاختلافات بهدف إقرار السلام بين الدول والشعوب والأمم على اختلاف أجناسها وألوانها ولغاتها وثقافاتها وبالطبع معتقداتها الدينية ويقول القرآن العظيم في ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات:13] .

إن الدين في حقيقته وجوهره واحد لأن مصدره واحد ثابت لا يتغير وإن كان – كما يقول جورج برناردشو (1). وصل إلينا في أكثر من مائة إصدار – وفي ذلك يقول القرآن العظيم :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾ [الشورى:13] .

وكذلك كان الشاعر الألماني يوته (GOETHE) يقول في «الديوان الشرقي الغربي » : (إذا كان الإسلام يعني التسليم لله فإننا جميعًا نعيش ونموت مسلمين) . وهنا المفهوم للإسلام هو ما تدعوا إليه وتهدف إليه المسيحية أيضًا أي أن يُسلم الإنسان نفسه لله وبهذا المعنى يكون الدين عند الله هو الإسلام كما يقول القرآن . ويجب أن يكون معلومًا لكل الناس ولكل الأجيال ومراكز ومسئوليات القيادات فيها الحاجة الملحة لإجراء حوار ديني وحضاري يستطيع أن يساهم في بناء السلام العالمي ويُسكت صوت المتطرفين والأصوليين الذين روَّج لهم ولمبادئهم من هم أمثال : صمويل هينجتون دون أساس علمي سليم وبحيث

(1) 1856 – 1950 وهو كاتب مسرحي وفيلسوف إنجليزي إيرلندي المولد وكاتب ساخر .

يخلق ذلك جواً من الخوف والرعب يستغله أصحاب المصالح في تحقيق أغراضهم لمناهضة الجهود للسلام . كما وأن أسباب النزاعات ليست – كما يزعم هينجتون – في اختلاف الحضارات لأن الصدامات والنزاعات تنشأ أيضًا داخل الحضارة الواحدة مثل ما حدث في الحربين العالميتين في القرن الماضي وزاد فيهما الضحايا عن ستين مليونا من البشر وهو عدد لا يقارن بعدد ضحايا الحروب التي دارت بين أوربا والإسلام على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان [1]. ولم تكن هي القاعدة التي غلبت وتميزت بها العلاقات الإيجابية الحضارية بين أوربا والإسلام والتي تمثل الصورة الصحيحة غير المغلوطة تمامًا عن هذه العلاقات وبذلك يمكن القضاء على المفاهيم والمعولمات المنقوصة أو المغلوطة أو الخاطئة التي تصور وتروج للعداء المتبادل بين الجانبين .

القرآن وحضارة المسلمين السابقة

والذين يهاجمون الإسلام في الغرب لا يزالون يعتمدون على الحجج الجدلية القديمة العقيمة المنحدرة من العصور الوسطى في حين أن الظروف في العالم تغيرت تغيرًا تامًا وتتطلب حلولا واقعية للمشكلات القائمة وجهودًا مشتركة للتغلب وغزالة سوء وخطأ الفهم وتصورات العداء والصراع والداعين إليها من الجانبين . والمعروف أنه بعد نهاية الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي (الغرب والاتحاد السوفيتي) تبنت إسرائيل فكرة ومقولة أن العدو الاستراتيجي القادم للحضارة الغربية هو الإسلام أو الأصولية الإسلامية .

وتبنى هذه الرؤية بعد ذلك اليمين الداريكالي في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الغرب بصفة عامة في تحالف مع اليمين الإسرائيلي المتطرف والمتشدد

(1) يراجع كتاب «الإسلام وقضايا الحوار » للدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الأسبق في مصر / المترجم بمعرفة دكتور مصطفى ماهر إلى العربية

لتحقيق أهداف لسياسات منها المعلن المعروف ومنها الخفي غير المعروف تتعاون فيه الصهيونية مع الماسونية .

إن السلام المنشود في عالمنا الواحد لا يعني تذويب الحضارات في حضارة واحدة يفدها السبق العلمي والتقني والتكنولوجي بالقوة المادية وغير ذلك وإلغاء الخصوصيات للحضارات الأخرى فالتمايز الحضاري والديني من السمات الإيجابية التي ستظل قائمة على الرغم من الاتفاق في الأهداف وحتى العولمة التي بدأت تتغلغل في كل أنحاء العالم لا يجب ولا تستطيع أن تفرض حضاراتها وقيمها وثقافتها وأسلوب حياتها في كل أنحاء العالم دون اعتبار لخصوصيات الحضارات والأديان الأخرى وما فيها من قواسم مشتركة تعمل على إزكاء التسامح والتعاون والتعارف من أجل تحقيق سلام العالم يتمتع في ظله كل إنسان بالاستقرار والأمن والأمان بعيدًا عن تفاصيل عقائده في الإله الذي يعبده ويحاسبه عليه الله يوم القيامة في الآخرة وليكون الهدف في الدنيا للجميع كما ذكرت هو تحقيق السلام العالمي والتعاون والتعارف والتعايش السلمي بين الشعوب وبين الناس في مجتمعاتهم ودولهم وأوطانهم .

ومنذ تدهور وسقوط الحضارة الإسلامية لأسباب كثيرة ومتداخلة ومتشابكة تدنى مستوى المسلمين حتى صاروا محسوبين في عصرنا في عداد الشعوب المتأخرة والدول النامية التي يضرب فيها التخلف ومظاهره والانغلاق والجمود فضلاً عن التطرف والإرهاب عند جماعات ومجموعات منهم وينخر في دولها وفي أخلاقيات وسلوكيات شعوبها ابتعادها عن مبادئ وتعاليم هذا الدين وكتابه القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم وتوجهاتهما. بينما وأن الفضل الأكبر يرجع إلى عرب إسبانيا في تقديم خلاصة الفكر العربي في العلوم والآداب والفلسفة إلى غرب أوروبا فضلاً عن تعريف الأوروبيين بكثير من تراث اليونان القديم.

إنه لا يعيب القرآن العظيم أن يكون مستوى حياة ومعيشة المسلمين المؤمنين

به مستوى متدني بالقياس إلى غيرهم كما أنه لا يعيب القرآن العظيم أن تكون الصلة تكاد تكون منقطعة بين حاضر واقع أهله إذا قارناه بما أنجزه السابقون من العلماء العرب والمسلمين من إنجازات كثيرة في المجال العلمي والمعرفي والبحث والابتكار فيهما وأقاموا بذلك في ماضيهم حضارة كانت سباقه على حضارات قامت في وقتهم ولم تزدهر في الغرب إلا مع بداية عصر النهضة في أوروبا.

ويقول المؤرخ جورج سارتون في كتابه «تاريخ العلم» (الكتاب الأول) : «إن المسلمين عباقرة الشرق في القرون الوسطى لهم مآثر عظمى على الإنسانية تتمثل في أنهم تولوا كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمةً وأكثرها أصالةٌ وعمقًا مستخدمين في ذلك لغتهم العربية التي كانت بلا شك لغة العلم للجنس البشري في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر لدرجة أنه كان يتحتم على الشخص الذي يريد الإلمام بثقافة عصره وبأحدث ما يجري فيه من علوم أن يتعلم اللغة العربية» .

وهي نفس اللغة التي يتم بها التواصل مع القرآن العظيم في كل عصر ووقت وزمان متى توفر عند أهله الإخلاص والصدق والحرية والحيدة وعدم التحيز أو العداء والكره أو نقص أو انعدام أو خطأ المعلومات عندهم كما أن فقه العربية فقه بيانًا وهو أداة النظر في كتاب الله وفي كل أوجه إعجازه.

وكما قلنا فإن القرآن العظيم يوحد ولا يفرق بين القضيتين الدينية والعلمية فالعلم دين والدين علم وما جاء به الله في القرآن هو كما يقول ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الأعراف:52] وكما يقول ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود:1] وكما يقول ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ [سبأ:

1] فالذي جاء به الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد هو دين وعلم كما ذكر القرآن العظيم في الآية 120 والآية 195 من سورة البقرة، وكما أشار إلى القضية الدينية بمفهوم القضية العلمية في سور (مريم الآية 93) و (يوسف الآية 25) و (الأنبيا الآية 79) و(النمل الآية 35) و (القصص الآية 19) وغيرها.

والمتحدث في القضيتين (الدينية والعلمية) هو الله العليم الخبير والحكيم القدير بكمالاته المطلقة.

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في عصور نهضتهم السالفة التي مهد لها القرآن العظيم ورعاها أضافوا إلى مفهوم العلم النظري – الذي كان اليونانيون يتمسكون به – نهجاً جديداً هو استخدام العلم من أجل كشف أسرار العالم الطبيعية وتمكين الإنسان من السيطرة عليه واستغلاله لصالحه (المنهج التجريبي)+ (الحقائق الرياضية) وبذلك جمعوا بين النظرية والتطبيق في إطار حضارتهم التي قامت على مفهوم الإسلام الجامع بين الدين والدنيا، ولم تكن فكرة التعارض بين العلم والإيمان أو العلم والدين واردة في أذهانهم.

وقد أخذ الأوربيون من العلماء المسلمين معارفًا وعلومًا وأفكارًا وفنونًا ومخترعات جديدة أثناء احتكاكهم بهم في الأندلس وثقيلية وفي الحروب الصليبية في الشرق وغيرها مهدت للنهضة في أوروبا وفي الإصلاح الديني بها .

وكما يقول «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية» : «لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن لم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة بل هناك مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باقورة أشعتها إلى الحياة الأوربية وليس هناك ناحيةٌ واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة

لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا .. إنه يدين لها بوجوده نفسه ».

القرآن والفرق بين الناس تجاه هذا الكتاب

في القرآن العظيم يقول الله تعالى رب العالمين :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[الإسراء:9- 10] .

ولكل من كان قارئًا لكتابي أقول ما يقوله القرآن العظيم :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد 24] .

وأخيرًا فإن القرآن العظيم يفرق في مواقف الناس من هذا الكتاب الرباني بين المؤمنين وبين الكافرين الملحدين وبين المنافقين المخادعين فيقول في سورة البقرة ثاني سورة من سور المصحف : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا
يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ
وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[البقرة:1- 16] .

وبعد

فإن كل ما ذكرناه في كتابنا هذا مما تناوله القرآن العظيم ليس إلا نزرًا يسيرًا جدًا وقليلاً جدًا لا يقارن بما لم نذكره في كتابنا عما تناوله القرآن العظيم ، ومع ذلك فما ذكرناه يمكن أن نفهم ونتفهم معه ما يدعونا إليه ربنا الله تبارك وتعالى في هذا الكتاب الخاتم وكما في أصول كتبه السابقة وهو المصدق لها فيما يدعو إليه المؤمنين ويدعو غليه جميع بني الإنسان الشركاء في الإنسانية لتبين الحق ومعرفة الحقائق في الوجود وبين الدينوي والأخروي (عالمي الشهادة والغيب) واستشعار الحق والحقيقة وتذوق آيات الجمال والجلال والكمال في الكتاب المسطور (القرآن العظيم) وفي الكتاب المنظور (الكون العظيم) وحتى تنالنا كلنا رحمات الله وينالنا كلنا رضاه .

التوجه القرآني

اللهم يا وجاب الوجود لذاته [1]، خلقت كل شيء بتجليات أسمائك وصفاتك ، اللهم أشهدني مصنوعاتك ممحوة بآياتك ، وآياتك ممحوة بأسمائك وصفاتك وأسماءك وصفاتك مجلية بقدر عظمة ذاتك ، أنت نور السماوات والأرض وأنت قيوم لسماوات والأرض ، وأنت راحم الدنيا والآخرة ، وأنت رحمن الأولى والآخرة ، أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلب ، ونور بصري وبصيرتي ، ورفيقي في دنيا حقيقتي اللهم اجعله لي هاديًا واجعلني به مهديًا ، ووفقني لأكون به مهتديًا ، اللهم علمني منه ما جهلت وذكرني منه ما نسيت ، رب حبب إليّ تلاوته ، وأعني عليه لأفهم مقالته ، واجعل لي في كل يوم قدرًا منه مذكورًا ، وقلبًا به معمورًا ، ووجودًا به مستورًا ، اللهم زدني

(1) واجب الوجود لذاته هو الذي لا يحتاج إلى سبب أو علة لوجوده ولا يفتقر إلى غيره في وجوده .

علمًا بآياته ،وفهمًا لكلماته ، اللهم أعني على ذكرك بالقرآن ، وشكرك بالفرقان ، وحسن عبادتك بالبرهان وفقهني في ديني حتى أرتل القرآن ترتيلا ، ويسر لي قراءته بالفهم تفسيرًا وتأويلاً ، حتى تنكشف لي حقائقه الظاهرة والباطنة ، بفقه وإتباع للشريعة في ظاهري ، وكشف واهتداء للحقيقة في باطني ، حتى يكون قلبي بيت لله معمور بالله ،ونفسي صافية في الله مطمئنة بالله ، وبدني محفوظ بلا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم اجعل لي في كل يوم وليلة من القرآن وردًا موروردًا ، وسلوكًا محمودًا ، وسندًا ممدودًا ، وحافظًا موجودًا ، واجعله حفيظي من الشيطان ، ومن شر كل إنس وجان ، اللهم أمدني بنور من نور القرآن ، وأخلاق من هدْي القرآن ، وطاقة من روح القرآن ، وحكمة من فرقان القرآن ، واجعلني لآيات القرآن عبدًا مطيعًا ، ولحكمة القرآن عبدًا سميعًا ، واجعله لي من المعاصي سدًا منيعًا ، ويوم القيامة شاهدًا وشفيعًا ، لا إله أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

نبذة عن المؤلف

-ولد في بني سويف من محافظات مصر عام 1938 م وعاش في القاهرة .

-حصل على الثانوية العامة الإنجليزية (GCE) من كلية فيكتوريا بالقاهرة (VICTORIA COLLEGE) عام 1954 م ، ثم حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام 1959 .

-تلقى محاضرات الدراسات العليا بقسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة والمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة .

-دورة في المعهد الاستراتيجي للأمن القومي بالقاهرة .

-دورة في أكاديمية ناصر للعلوم الإستراتيجية .

-حاضر في المعهد الدبلوماسي عن دولة الفاتيكان وتلقى بالمعهد دورة تحضيرية لمنصب السفير .

-التحق بمدرسة الإمام محمد ماضي أبو العزائم الصوفية الجامعة بين الشريعة الإسلامية والحقيقة الروحية وخلالها تأسس بنيانه الديني الإسلامي واتسعت ثقافته الدينية العلمية والصوفية .

-عمل في سفارات مصر في البرازيل والسودان والسعودية وماليزيا وكوريا الديمقراطية الشعبية (الشمالية) وقنصلا لمصر في جدة ونيويورك ، ثم سفيرًا لمصر في ماليزيا وسلطنة بروناي وكرويا الديمقراطية الشعبية .

-اتصل عبر عمله في السلك الدبلوماسي المصري في الخارج بالثقافات المختلفة ومكنته إجادة اللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية ، كسب خبرات الاحتكاك بهذه الثقافات في البلاد التي عمل بها أوزارها .

-حاصل على وسام الاستحقاق في مصر في عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات وعلى أكبر وسام من اللجنة المركزية الشعبية للحزب في كوريا

الديمقراطية الشعبية .

-شارك في برنامج دولي ثقافي بماليزيا قدم خلال معارف إسلامية وشعرًا عن فلسطين وشعبها .

-جده لوالدته فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد العباس المهدي شيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية الأسبق .

-له العديد من المؤلفات الإسلامية ذات نهج يجمع بين الدين والعلوم الحديثة والتوجه الصوفي الروحي .

كتب للمؤلف تم نشرها

1-الإنسان والخلافة في الأرض(دار الشروق).

2-حول المرجعية القرآنية – تحديد المفاهيم (مكتبة الشروق الدولية).

3-حول المرجعية القرآنية- أخلاقيات المال(مكتبة الشروق الدولية).

4-حول المرجعية القرآنية-في النفس والأخلاق (مكتبة الشروق الدولية).

5-أصول النهضة الإسلامية (مكتبة الشروق الدولية).

6-الدين والدولة الحديثة (مكتبة الشروق الدولية).

7-الإسراء والمعراج «وعلوم العصر » (دار الكتاب المصري اللبناني).

8-أضواء على الطريق إلى الله (المؤلف).

9-قراءة معاصرة في كتاب الله (المؤلف).

10-مورد الحكمة وأوراد الحكيم (المؤلف).

11-رسالة في التوحيد (مكتبة جزيرة الورد).

12-في معية الرسول في القرآن الكريم (مكتبة الشروق الدولية).

13-الله جل جلاله بين التثليث والتوحيد (المؤلف).

14-حديث الروح في أسماء الله الحسنى (المؤلف).

15-الفتوحات الربانية في الصلاة على الذات المحمدية (المؤلف).

16-مشاهد في جوهر الصلاة (المؤلف).

17-معارج المؤمنين إلى الإحسان واليقين (دار الكتب الصوفي).

18-البعد الحضاري في سياسات (لم يكتمل).

19-الإنسان ويوم الحساب (مكتبة الشروق الدولية).

20-المرجعية الإسلامية للدولة المدنية القانونية – رؤية لمصر ما بعد ثورة 25 يناير 2011 (مكتبة الشروق الدولية).

21-البعد الحضاري الإسلامي للدولة المدنية الديمقراطية (مكتبة الشروق الدولية).

كتب للمؤلف لم تنشر بعد

22-رؤية في الإسراء.

23-مكارم الأخلاق في الإسلام – حاجتنا الملحة.

24-الله يتلجى بأسمائه الحسنى وطاقاتها.

25-واقتراب الوعد الحق – يوم القيامة .

26-زي المرأة المؤمنة ولباس التقوى.

27-إبراهيم الخليل عليه السلام .

28-رؤية في تجديد الخطاب الديني في الإسلام – لم يكتمل بعد.

29-المجهول عن ذلك الإنسان.

30-الطريق إلى الله –دين ودنيا .

31-أضواء على الفكر الاقتصادي في الإسلام.

32-المحمد ﷺ (جزءان).

33-الإمام محمد ماضي أبو العزائم – مجدد الدين في زماننا.

34-مع الإمام المجدد أبي العزائم.

35-الله نور السماوات والأرض –ومَثَلُ نوره .

36-موسى والعبد العالم.

37-يوسف الصديق.

38-أخلاقيات المال في الإسلام .

39-مشاهد في جوهر الصلاة.

40-الحقائق الغائبة في كتاب «موجز تاريخ الزمن» لستيفن هوكنج .